جنة المأوى

الإمام الأكبر
محمد الحسين آل كاشف الغطاء

دار الأضواء
بيروت

جنة المأوى

جنة المأوى

الإمام الأكبر
محمد الحسين آل كاشف الغطاء



الطبعة الثانية

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



للطباعة والنشر والتوزيع

الغبيري - شارع عبد الله الحاج - ص.ب ٢٥/٤٠

برقياً: غبيري حسكو - بيروت - لبنان



١٢٩٤ - ١٣٧٣ هـ

خذوا ظاهراً من صورتي فضميرها تصــور من روح التحنن والـرحم
وألفت بين إسمي ورسمي راجيـاً حياتهما إن بات تحت الثرى جسمي
عسـاني إذا أبلى أنـال بـذكـركم حياة وحسبي من حياتي ذكر إسمي
أروم بقــاء إسمي ورسمي بينكم ولا نافعي إسمي الغداة ولا رسمي

(كاشف الغطاء)

هذه الصورة مهداة من الشيخ الإمـام آية الله المغفـور له كـاشف الغطاء إلى العلامة الخطيب المتضلع الكبير الحاج ميرزا عباسقلي الواعظ الجـرندابي التبريزي دام بقاه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد

لما قضت العناية الأزلية المشيّئة الإلهيّة وتقدير العزيز العليم أن صرت طالباً للعلم الديني منذ ترعرعي وشبابي وكان ذلك من نعم الله تعالى عليّ ثمّ أتمّ لي النعم بعدما عافاني عن بعض السقم وهيّأ لي أوّلاً أسباب الهجرة إلى الأرض الطيبة بلدة (قم) المباركة بإيران والإشتغال في حوزتها العلميّة سنين متطاولة عند الأساتذة كبراء الدين والملّة[1] ثم الهجرة ثانياً إلى الأرض المقدّسة الجامعة الكبرى للشيعة (النجف الأشرف) بالعراق ـ وفقني في تلك الجامعة العلميّة بالحضور عند الأساتذة زعماء الدين وعظماء الملّة[2] تراهم من فقيه عصره إلى نابغة دهره وفيلسوف زمانه ولا سيّما بالحضور مع جمع من أفاضل أصدقائنا لدى شيخنا وأستاذنا الإمام فقيد الإسلام أشهر مشاهير علماء

(١) كالسيد الزعيم ومن ألقت إليه الرياسة زمامها والزعامة مقاليدها المرجع الأعلى للشيعة سيدنا الطباطبائي البروجردي دام ظله الوارف، والسيدالزعيم بطل العلم والفقاهة المرجع الأعلى للشيعة سيدنا الحجة التبريزي الكوهكمرى الجامع بين التتبع والتحقيق في أنواع العلوم الإسلامية ، والسيد الزعيم والمرجع الشهير والمجتهد الكبير سيدنا صدر الدين الصدر الأصفهاني قدّس سره وغيرهم .

(٢) كالسيد الزعيم ومن ألقت إليه المرجعية زمامها والرياسة مقاليدها فقيه العصر المرجع الأعلى للشيعة سيدنا الطباطبائي الحكيم دام ظله الوارف، والحكيم الفقيه والفيلسوف الجامع بين المعقول والمنقول آية الله الشيخ عبد الحسين الرشتى النجفي قدّس الله روحه، والعلامة الفقيه والمجتهد المتبحر الشهير الشيخ ميرزه باقر الزنجاني النجفي ، والسيد العلامة الفقيه الحكيم المتبحر المجتهد الشهير السيد ميرزه حسن البجنوردي الخرساني دام ظله وغيرهم .

الشيعة صيتاً في الدنيا وهو من عظماء العالم آية الله المغفور لـه الشيخ محمّـد الحسين كاشف الغطاء قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ، وكان غالب حضورنا لديه في مدرسته العلميّة[1] للتزوّد من علومه الجمّة ، والإستفادة من أفكاره العلميّة ، والإرتشاف من نمير حكمته العالية ، والإستضاءة من أنوار علمه المتدفق وفكره الناضج ، وهو الوحيد في الإحاطة بأنواع العلوم والنافذ فكره والعميق إلى أعماق الحقائق ودقائق الفضـائل وأسـرار الفنون ، وكـان من جراء ذلـك ظهور كتـاب (الفردوس الأعلى) إلى مرحلة الـوجود وعـالم العلم والأدب . وقد بـرز ذلك الكتـاب القيّم إلى الملأ العلمي وانتشـر باهتمـامنـا بعـد أن امتثلت بـأمـره في ترجمة المسائل القندهاريّة من تصانيفـه من الفارسيـة إلى العربيّـة التي أدرجها في الفردوس الأعلى وبعد نشر ذلك الكتـاب وإرتواء النـاس من مناهله العـذبة ووقوعنا في المضائق المكربة بسبب بعض الحوادث العجيبة وتصاريف الزمان والدهر الخوان عزمنا للقفول إلى الأرض التي نشأنا فيهـا ، ففارقنا حضوره مـع الحسرات والآلام الروحيّـة التي لا انقطاع لهـا إلى آخر عمـرنا أبـداً . وأضف إلى ذلك ما توجه إلينا من التألمات التي حدثت في قلبنا من مفارقتنـا الجامعـة العلميّة مع شوقي الأكيد إلى البقـاء فيها وعـدم الفراق عنهـا ولكن لله أمـر هـو بالغه .

وقـد منّ الله تعالى علينـا أن طبعنا الفـردوس الأعلى في (تبريـز) ثانيـاً بحلّة قشيبة رائعة وطبعـة جديـدة طامحـة في سنة (١٣٧٢) هـ . مـع زيادات وتنقيحات منه قـدس سرّه لم تكن في الـطبعة الأولى مـع زيادات في تعليقـاتنا عليه أيضاً فراجع .

ومن قراء مقدّمة ذلك الأثر الخالد التي كتبها باستدعائي من محضره قدّس سرّه علم أنّه وعد فيها أنّه بعد طبع الفردوس يشرع بطبع كتاب (جنّة المأوى) وهو كالجزء الثاني للأوّل وقال : (إن مواد هذا الجـزء كلها جـاهزة وإن فسـح

---

(١) وفي زمن تـأليفـه كتـاب الفـردوس الأعلى كنت أتشـرف بحضـوره في بعض الليـالي في بيته الشريف الواقع في محلة العمارة من محلات النجف الأشرف أيضاً .

الله تعالى في الأجل ووفقنا لأن نعزّزهما بثالث نجعله « شجرة طوبى ») ولكن الأسف كل الأسف أنّ الأجل وحيل أعداء الدين والإنسانية لم يمهله بجمع كتابه (جنّة المأوى) وتأليفه ، فإنّه بعد أن تمّت الطبعة الثانية من الفردوس التمست بواسطة المراسلات المتوالية من حضوره الشريف إرسال (جنّة المأوى) التي وعد بها المتّقون لإباشر بطبعها ونشرها في (تبريز) ، وتلقى استدعائي بالقبول وأجاب بمسألتي بالترحّب وإجابة المأمول ، فصدر أمره الشريف بإرسال مقدمتها ومقداراً من موادها وبينما أنا في صدر تهيأة أسباب الطبع والنشر وصل إليّ كتاب كريم بخطه الشريف بالفارسيّة مفصّلاً جادت به يراعته من (كربلاء) قبل خروجه منها إلى مستشفى الكرخ (بغداد) بثلاثة أيّام، ولم يترك قدّس سرّه في ذلك الكتاب المشتمل على صفحتين من أمور الطبع وترتيبه ألّا أحصاها ، وأمرني بكتابة مقدمة وأن أدرج فيها بعض المطالب التي ذكرها في مكتوبه الشريف، ولا غرو أن أقول أنّه أحسّ كما يظهر من إشاراته وتلويحاته أنّه آخر مكتوب جادت به يراعته وأرسله إلينا . وأمرني رحمه الله بكتابة بعض التعاليق على (جنّة المأوى) وهذا كان من عنايته الخاصّة إلينا ، فإنّه لم يعهد منه طيّب الله ثراه طيلة حياته الشريفة هذه العناية الخاصّة في حق أحد من تلامذته والإذن بل الأمر عليه بكتابة التعليقات على واحد من مصنّفاته العديمة النظير ، فوجدت من عطفه وكرمه ومن تشويقه وحثّه على الكتابة ونشر العلم ما لا أقدر على وصفه بهذا البيان الضئيل .

إليك أيّها القاريء العزيز بعض فقرات تلك المراسلة الشريفة بعين ألفاظها الفارسيّة : (بسمه تعالى جدّه ومجده سلام الله وتحياته وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد . رقيمه كريمه درضمن سه عدد از فردوس رسيد بكربلاء جون از روز بيست وهفتم[1] براى زيارت عيد فطر مشرف شده ام واز مدّت بنجاه زوز تاكنون عارضه خون كه سال كذشته وارد شده بود نيز عود كرده وظاهراً بعد از سه روز بايد براى معالجه سفر ببغداد كنم وخيلى بى شده

(١) يعني يوم (٢٧) شهر رمضان المبارك سنة (١٣٧٣) هـ .

ام ودكاتره نجف وكربلاء نتوانستند معالجه كنندخيلى التماس دعا از جنابعالى وازهمكى دوستان دارم وقبل از بكهفته و يا بيشتر بابست هـوائي مقدمـه (جنّة المـأوى) بادو يـاسه صفحـه در مقام رفيـع خـاتم الأنبيـاء (ص) بتـوسط آقـا سيد . . . ارسال شده إن شاء الله تعـالى تاكنـون رسيده واكـر محتاج بـاصلاح مى بـاشيد وسـابقا عـرض شده كـه اغلب موادّ اين قسم مـوجود است ولى در أوراق متفرقه ومسودات وفقط بجمع وترتيب ونقل وتبييض محتـاج است واحقر بالين بى حالى وبى مسـاعد بـاكثرت اشغـال وابتلاع ازسـرتا قـدم خيلى برايم خت است وان شاء الله تعالى فرستاده ميشود وجنا بعـالى مرتب نمـوده وهرجـا محتـاج باصـلاح باشـد اصلاح مى نمـائيد (وعـاقبت رفتن بغداد نميـدانم جه خواهد بود والأمر لله ولا حول ولا قوّة الاّ به) . . .

ثمّ شـرع في تفصيل بعض المـطالب إلى أن قال : منتـظر خبـر وصـول مقدّمة جنّة المأوى هستم و جنابعالى مجالى داريد براى سر افرازى[1] مشغول نوشتن مقدّمه آن باشيد وظاهراً سراوار است كه مرقوم فرامائيد وأريكم المسدد الموفّق إن شاء الله تعالى . (ا هـ) .

كـربلاى معلى ـ ٧ شـوال ١٣٧٣ هـ محمّد الحسين آل كـاشف الغطاء .

ثم سافر إلى بغداد ومكث في مستشفى الكرخ شهراً واحداً كما سنفصّل هذا النبأ المؤسف في ترجمته إن شاء الله تعالى . وكنت أهيّأ في تلك الأيام أسباب طبع جنّـة المأوى ، فـإذاً أذاع نبأ وفـاته معـظم محطات العـالم وانتشـر هـذا الخبـر المؤسف في أنحاء الدنيا وعمّت تلك الخسارة العظمى العالم الإسلامي فبقينا على عدم توفيقنا لإتمام طبع هذا الأثر الخالد في أيّام حياته[2] ووصل إلينا في تلك الأيّام المظلمة بسبب فقدانه العظيم من (كرند) كتاباً من نجله الجليل

---

(١) أستاذ بزر كورام سرافرازى براى بنده است كه أثرزحمات وتعليمـات مثل نـابغه اسـلامى تا اين اندازه سر افرازم قرموديد كه بر كتاب نفيس آن يكانـه مرد عـظيم الشأن مقـدمة بنـويسم ومفتخر باشم .

(٢) وهو حي إلى الأبد يـرزق . ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيـل الله أموتـاً بل أحيـاء عند ربهم يرزقون ﴾ (سورة آل عمران آية ١٦٩) وله الحياة الثانية في هذه النشأة الفانيـة أيضاً لبقـاء آثاره ومآثره وذكرى خدماته الإسلامية التي لا تنسى على مر القرون أصلاً .

الشيخ محمّد شريف دام بقاه وكان تاريخه يوم السبت ١٦ ذي العقدة (١٣٧٣) هـ ، ورأينا أنّه أمر نجله الجليل الشريف بإرسال نسخة من أثره الخالد (تحرير المجلّة) في خمسة أجزاء ولاحظنا التاريخ وكان ذلك يوم وروده إلى (كرند) فإنّه ورد إلى (كرند) قرية بإيران بين كرمنشاه وخانقين يوم السبت ١٦ ذي العقدة (١٣٧٣) هـ وانتقل إلى رحمة الله بعد صلاة الفجر يوم الإثنين ١٨ ذي العقدة (١٣٧٣) هـ ق .

ولم نزل وجميع المسلمين متأسفين لهذا الخطب الجليل وعدم توفيقي لإتمام هذا الأثر القيّم إلى أن وفقني الله تعالى بتأيداته الخاصة للسفر إلى العراق في سنة (١٣٧٦) هـ ووردنا إلى مدينة العلم (النجف الأشرف) جامعة العلم والآداب وكنت ضيفاً للأخ العلامة الحجّة الشيخ محيي الدين المامقاني مد ظلّه ، وحين وردت إليها كاد قلبي أن يطير من شدّة الشوق والوجد لحبي الشديد للنجف الأشرف وجامعتها ، لكونها مدفن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه ، ومركز الثقافة الدينيّة والعلوم الإسلامية اللازم حفظها[1] على كل شيعيّ مثقف حيّ ، فإنّ تلك الجامعة الكبرى أوّل جامعة اسّست للشيعة الإمامية وأقدمها منذ أن قدم الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى الكوفة سنة (٣٦) هـ ، فإنّ تاريخ تأسيسها يرجع بعد إمعان النظر والتحقيق إلى زمن الإمام (عليه السلام) ونعم ما قال إبن الحجاج رحمه الله :

يا صاحب القبّة البيضاء على (النجف) ... من زار قبرك واستشفى لديك شفى
زوروا أبا الحسن الهادي فإنكم ... تحظون بالأجر والإقبال والزلف
زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كفى

(١) قال المستشرق الإنكليزي (إدوارد برون) في تاريخ أدبيات إيران ما هذا تعريبه تقريباً : (توطن العلماء والمجتهدين في النجف خارج المملكة الإيرانية زاد على مصونيتهم كثيراً وكسرهم أو تضعيفهم كان محط نظر وآمال كثير من سلاطين إيران قبل الدولة الصفوية وبعدها ولم يصلوا إلى النتيجة المطلوبة إلا قليلاً (أنظر تاريخ أدبيات إيران ترجمة رشيد ياسمي ص ٢٦٣ ط ٢ طهران والقارىء الفطن يفهم من كلامه أن سر توطن الفقهاء والمراجع في تلك الجامعة هو مصونيتهم في أكثر الأمور والحوادث .

وقـل سـلام من الله السـلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف[1]

(١) أنظر القصيدة وترجمة ناظمها في الكنى والألقاب للمحدث القمى (ر ه) جـ ١ ص ٢٤٦ ط صيدا ومراده من (أهل السلام) في البيت أهل وادي السـلام وهم الأموات في مقبرة النجف الكبرى التي تعد أول مقبرة إسلامية ومـراده من أهل العلم والشـرف الذين عنـاهم الشاعـر إبن الحجاج هم العلماء المجاورون لقبـر الإمام (ع) وتـوفي إبن الحجاج (٢٧ جمـادي الثانيـة سنة ٣٩١ هـ) أي قبل ورود الشيخ الطوسي شيـخ الطائفة (ر ه) إلى النجف بـ (٥٧) سنة فإن الشيخ ورد إليها سنة (٤٤٨) هـ .

وفي خلال كتابتي لهذه المقدمة سافـر إلى (إيران) أخي وإبن أستـاذي وشريكي في الـدروس العلامة الخبير الحجة الشيخ محمد الرشتى نجل آية الله المغفور له أستاذنا الشيخ عبد الحسين الرشتى النجفي (ر ه) وكنت قد دعوته أن يشرف (تبريز) لنجدد بزيارته عهدنا الماضي . وقد لبى طلبي وجاء إلى تبريـز في ١٣ ربيع الثـاني ١٣٨٠ هـ ونزل عنـدي ورآني مشغولاً بكتـابة هـذه المقدمة فأرشدني ـ كما أرشد من قبل الشيخ جعفر المحبوبة صاحب ماضي النجف وحاضرها ـ إلى بعض النصوص الدالـة على أن النجف كانت مـأوى الفقهاء والمحـدثين قبل ولادة الشيخ الطوسي (ر ه) .

منها ما ذكره السيد إبن طاوس (ر ه) بإسناده في فرحة الغري ص ١١٤ ط النجف في كيفية زيارة عضد الدولـة البويهي الـديلمي (ر ه) لمرقـد الإمام أميـر المؤمنين (ع) في سنة (٢٧١) هـ وفـرق الأموال الـطائلة على جميع أهـل النجف والمترددين إليهـا ، وخص لكل منهم مبلغـاً ، وعيّن للفقهاء القاطنين أيضـاً مبـلغـاً جسيمـاً « وعلى الفقـراء والفقهـاء ثـلاثـة آلاف درهـم » .

ويظهر أيضاً لمن سبر إسناد كتاب فرحة الغري أن بعضهم كانـوا من المجاورين لمـرقد الإمـام (ع) قبـل مجيء الشيخ إلى النجف كمـا في ص ٦١ : « عن المفيد عن محمـد بن أحمد بن داود عن أبي الحسين أحمـد بن محمد الـرازي المجاور » . وفي ص ١١٣ : « إنـه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله محمد بن السرى المعروف بإبن البرسى المجاور بمشهد الغرى » . ويـروى عن أبي عبد الله هذا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخـازن في سنة (٤٦٢) هـ كما في بشـارة المصطفى ص ٧ ط النجف ، ويـظهر أن أبـا عبد الله محمـد بن أحمد بن شهـريـار القمى الخـازن للروضة المقـدسة العلويـة كان من المجـاورين لمرقـد الإمام (ع) قبـل مجيء الشيـخ (ر ه) للنجف وسبب اختيار الشيـخ (ر ه) النجف دون غيـرهـا من البلدان هـو وجـود الحوزة العلمية فيها ، فانتقل إليها وزوج بنتـه من أبي عبد الله بن شهـريار ، وفي رجـال الشيخ النجاشي (ر ه) ص ٥٠ : « أجازنـا بروايتـه أبو عبـد الله الخمري الشيـخ الصالـح في مشهد مـولانا أميـر المؤمنين (ع) سنة (٤٠٠) هـ عنـه » وإسم هذا : الحسين بن جعفـر بن محمـد المخزومي الخراز المعروف بإبن الخمري .

أنظر ترجمة عبد الله بن إبراهيم من كتاب النجاشى ص ١٥٥ .

وما ذهب إليه بعض الإخباريين من المعاصـرين أن مؤسس الجامعـة النجفية هـو الإمام الأكبـر الشيـخ المفيد (ر ه)المتوفي (٤١٣) هـ فهو غلط فاحش لا مستند له ولا دليـل عليـه ويكـذبـه التاريخ الصحيح وما تجاسر به على الشيخ المفيـد (ر ه) ببعض التعبيرات الـركيكة وارتضـائه طريقة الشيخ الصدوق (ر ه) من أفحش الأغلاط التي لا يعبأ بها أصلاً .

وبعد ما وردنا إلى جامعة النجف الأشرف واجتمعنا مع العلماء و الأصدقاء في أندية العلم وبقينا فيها عدّة شهور واجتمعنا أيضاً مع نجل شيخنا الإمام وقرّرنا ساعة خاصّة للإجتماع معه في مكتبة الإمام (ره) الواقعة في مدرسته العلميّة في محلّة العمارة للفحص عن تلك الأوراق المتفرقة والمواد النفسية التي كان من قصده جمعها وترتيبها في جنّة المأوى ، فحصل منها لدينا مقدار مواد متفرقة مختلفة لها تعلق بموضوع الكتاب ولم تصل أيدينا إلى كل ما ترشح من قلمه الشريف في حق كل واحد من الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم من المواد والمقالات والرسائل التي كان من قصده جمعها وترتيبها وتجديد النظر فيها أو كان من قصده كتابتها عند تأليف الكتاب بل وجدنا مقداراً ممّا يتعلق بخاتم الأنبياء (ص) وبعض الأئمة عليهم السلام ، ورأينا أن كلّ ما برز من قلمه الشريف من المقالات المتفرقة والموضوعات المختلفة ولها تعلق ومناسبة في الجملة بموضوع الكتاب ينبغي ضبطها وثبتها ، فإن كل ما ترشح من قلمه الشريف لها قيمتها العالية عند أهلها ممّن يميّز الجواهر من الحصى لاشتمال كلّ ما جادت به يراعته من مقال أو رسالة موجزة أو مكتوب وجيز أو جواب سؤال أو حلّ أشكال أو دحض باطل أو فكّ عقدة أو إثبات مطلب على الفوائد والمطالب الممتعة بل كلها فوائد وعوائد وموائد وآثار يانعة مترشحة من ذلك القلم السيال والإملاء الخاص له .

فجئنا بتلك النفائس والنوادر والأوراق القيّمة إلى إيران ـ تبريز ثمّ وفقني الله تعالى لزيارة بيته الحرام سنة : (١٣٧٧) هـ وبعد القفول من المكّة المعظّمة سرنا في القدس وسوريا ثمّ قصدنا العراق لزيارة الأعتاب المقدّسة ووردنا إلى مدينة العلم (النجف الشريف) واجتمعنا مع الأفاضل والعلماء في الأوساط العلميّة وأخذنا من نجل الإمام (ره) أعني العلاّمة الشريف دام بقاه أيضاً بعض ما يتعلق بموضوع (جنّة المأوى) بعد الفحص عنه في زوايا مكتبته العامرة . وكنت أتمنى إن سنحت الفرصة وأتاحت لي الظروف وسنح لي الإقبال وساعدني التوفيق أن أجمع تلك المواد وأرتب تلك النفائس ممّا تيسّر جمعها ونالتها يدي من تلك الجواهر الثمينة حبّا لبثّ العلم وخدمة الإنسانية

وحرصاً على نشر الفضائل وحفاظة لمقدار ممّا ترشح من قلمه الشريف وحراستها عن الضياع على مر القرون وتصاريف الزمان وليكون نفعها عاماً. وأرى نفسي الآن واجدة ضالتها المنشودة ، أعني جمع تلك المواد ونضد تلك الدرر وترصيفها وتنظيمها وليس كل هذا الإهتمام إلّا نظراً إلى ما كان من قصد شيخنا الإمام من تأليف هذا الكتاب ونشره .

حياة المؤلف

نسبه ـ تاريخ ولادته ـ أسرته نشأته وبراعته في الآداب ـ مشايخه وأساتذته ـ فقاهته وتبحره في العلوم ـ استحضاره العلمي وإلقاء محاضرة إرتجالية على البعثة المصرية ـ أخلاقه وغيرته على الإسلام والمسلمين ـ يومياته ـ أسفاره ورحلاته ـ مواقفه الإصلاحية ـ تأليفاته ـ وفاته ـ شيوع الإفتراء صنفان من العلماء ـ الإطراء عليه .

نسبه

هو الشيخ محمّد الحسين بن العلاّمة الشيخ علي بن الحجّة الشيخ محمّد رضا بن المصلح بين الدولتين الشيخ الأفقه الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر بن العلاّمة الشيخ خضر بن يحيي بن سيف الدين المالكي الجانجي النجفي .

أشهر مشاهير علماء الإسلام في الشرق وأبعدهم صيتا وأغزرهم علماً في العالم الإسلامي ، بل هو من عظماء المجتمع الانساني وكبراء العالم البشري ومن الشخصيات الأفذاذ وأكابر شيوخ الإسلام وأعاظم فقهاء الشيعة الأعلام وأحد أركان الدين المجددين وروّاد النهضة ودعاة الإصلاح ورث زعامة الدين عن آبائه الفطاحل واجتمع فيه خصال الكمال والفضائل وقام بالأعمال الجلائل .

غير خفي على القارىء الكريم إنّا إن أردنا أن نكتب له ترجمة ضافية نحتاج إلى تأليف كتاب مستقل وترصيف تصنيف منيف حيث أنّ حياته دروس وعبر ؛ وحكم وغرر وعلوّ في الروح وسموّ في الذات ؛ وأخلاق عالية . ولا بد للتاريخ أن يحتفظ قسماً وافراً من حياته إن لم يحتفظ بكله وسيكون موضع دراسة وتحليل بأقلام حرّة . وإنّما تعرضنا لتاريخ حياته إجمالاً أداءً لحقوق الأبوة الروحانية العامّة والحقوق الخاصّة التي له علينا وعلى رجال العلم .

تاريخ ولادته

سألت عنه شفاهاً عن تاريخ ولادته قال : ولادتي في سنة **١٢٩٥** هـ ومن المحقق أنّه وجد بخط والده أنّه ولد في سنة **١٢٩٤** هـ كما أن تاريخ المنظوم ينطق بذلك قال العلاّمة السيد موسى الطالقاني مؤرّخاً ولادة الشيخ المترجم له :

سرور به خص أهل الغرى ... فعّم المشارق والمغربين
بمولد من فيه تمّ الهنا ... وقرّت برؤيته كل عين
وقد بشّر الشرع مذ أرّخوا ... ستثنى وسايده للحسين[1]

١٨٨ ، ٨٦ ، ١٠٢٠
سنة (١٢٩٤) هـ

ولكن في الكلمة التي جادت بها يراعة العلاّمة المرحوم الشيخ جواد الشبيبي (ر ه) والد معالي العلاّمة الشهير الشيخ محمّد رضا الشبيبي في ترجمة شيخنا الإمام (ره) وألحقها بآخر كتاب الإمام الذي وسمه بـ (الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية) صـ ٢١٧ ـ ٢٢٣ ط بغداد[2] جاء البيت الأخير كما يلي :

(به ابتهج العلم) مذ أرخوا ... ستثنى وسايده للحسين

ويتضح من هذا حدسيّة التاريخ الّذي ذكره رحمه الله لي شفاهاً وذهل عن خاطره الشريف هذا البيت المتضمن لتأريخ ولادته .

---

(١)أنظر (ديوان السيد موسى الطالقاني) صـ ٢٦٠ ط النجف سنة (١٣٧٦) هـ .
(٢) الجزء الأول من كتاب (الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية) مطبوع في بغداد بمطبعة دار السلام سنة : (١٢٢٨) هـ ق في (٢٢٤) صفحة بورق جيد يقرب من قطع (الدين والإسلام) بل أصغر منه بقليل ونسخة نادرة الوجود منه موجودة في مكتبة شيخنا الإمام (ر ه) وأدخلت فيها بعد وفاته وهي من بقايا النسخ التي كان رحمه الله مشغولاً بطبع الجزء الثاني من ذلك الكتاب وإذا بالسلطة الغاشمة تهاجمه بأمر الوالي (ناظم باشا) وبإيعاز المفتي (الشيخ سعيد الزهاوي) كما ذكره في مقدمة الفردوس الأعلى وطالعت الجزء الأول في سنة (١٣٧٦) هـ في النجف الأشرف .

أسرتــه

هو من قبيلة بني مالك من قبائـل العراق المعـروفة تعـرف الآن بآل علي يقيم قسم منهم الآن في نواحي الشاميّـة وينتهي نسبهم إلى مالـك بن الحارث الأشتـر النخعي رضـوان الله عليـه من خـواص أصحـاب أميـر المؤمنين (ع) الذي قال في حقّه : (لقد كان لي مثل ما كنت لرسول الله (ص)) .

كمـا نص على ذلك العـلامـة الكبيـر السيّـد مهـدي القـزويني المتـوفي (١٣٠٠) هـ في (أنساب القبائل العراقيّـة) ومدحهم بـذلك جمع من أعلام الأدب في شعـرهم كالسيـد صادق الفحـام والشيخ صـالح التميمى وغيرهما ، وأثبت قسماً منه العلاّمة النوري (ره) في (المستدرك) جـ ٣ صـ ٣٩٧ وذكرهم شيخنا العلاّمـة البحاثـة الشيخ آقـا بزرك الـطهراني النجفي في كتـابه طبقـات أعلام الشيعة جـ ٢ صـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ وهو (الكرام البررة) فراجع .

وجناجي نسبة إلى جناجية وهي قـرية من أعمـال الحلّة يقال لهـا قديمـاً قناقية ، وأغلبها من أملاك أحفاد الشيخ الأكبر (ره) إلى اليوم . هاجر والد الشيخ الأكبر كاشـف الغطاء (ره) وهو العلاّمة الشيخ خضر من جنـاجية إلى النجف الأشرف فاشتغل بتحصيل العلم حتّى عـدّ في الرعيـل الأول من زعماء الـدين في عصره وعرف بالصلاح والتقوى فكان العلماء والصلحاء تزاحم على الصلاة خلفه وتنسب إليه الكرامات وملاقاة صاحب الزمان صلوات الله عليه .

وأسّس هـذا الشيخ هـذه الأسرة في النجف وقـام أولاده الفطاحـل بـالـزعـامـة والرياسة والمرجعية العامّة للشيعة واشتهر صيت جلالتهم في الشرق ونبغ منهم من يعدّ من عظماء العالم وخـدموا الـدين وبثوا العلم ونشـروا الفضل وأخـذوا مقاليد الأمور بيد من حديد ولأسرتنا صلات وشيجة وعلائق ودّ متينة ومـراسلات ثمينة معهم ، ولاسيّما مع الشيخ الأكبر كاشف الغطاء ولده الفقيه الأعظم الشيخ موسى بن جعفر قدّس سرّهما وقد كتب الشيخ الأكبر في حق شريك درسه عند الوحيد البهبهاني (ره) والشيخ العلاّمة محمّد مهدي الفتوني العاملي كما هو موجود عندي الآن بخطه وخاتمه الشـريف ما هـذا لفظه : (المتـولّي لمنصب القضاء

بأمر الله ورسوله العالم العلاّمة ميرزا محمّد تقي القاضي ألخ وكتب كثيراً نظير ذلك في حق جدّنا العلاّمة العالم الربّاني ميرزا مهدي القاضي الطباطبائي (ر ه)[1] يطول الكلام بذكرها .

وقد كتب شيخنا الإمام المترجم له كتاباً نفيساً في تواريخ أسرته الجليلة ووسمه بـ (العبقات العنبرية في الطبقات الجعفريّة) وسوف تسمع وصفه الثناء عليه في كلمة العلاّمة الأديب الشيخ جواد الشبيبي (ر ه) ورأيت نسخة بعض مجلداته عند شيخنا المترجم له وطالعته كراراً كله أدب وتاريخ وفوائد وعوائد .

وعندنا إجازات بخطوط أعلام هذه الأسرة الجليلة في حق جمع من أعلام أسرتنا الشريفة كما أن شيخنا الإمام المترجم له كتب بخطه الشريف إجازة لي وسوف ننشرها في آخر الكتاب في ضمن بعض تعليقاتنا المفصّلة إن شاء الله تعالى .

نشأته وبراعته في الآداب

نشأ في بيته الجليل الطافح بالعلم والعلماء وعباقرة الفقه والإجتهاد نشأة طيّبة ، وربّى في حجر الفطاحل بالسؤدد والشرف والعزة والترف ، ولمّا بلغ

---

(١) توفي العلاّمة الفقيه ميرزا محمد تقي القاضي سنة (١٢٢٢) هـ وولده العالم الرباني الحاج ميرزا مهدي القاضي في سنة (١٢٤١) هـ أنظر ترجمتهما تفصيلاً في كتاب (خانذان عبد الوهاب) المخطوط ـ ورياض الجنة للزنوزي (ر ه) ـ المخطوط ـ ومقدمة تنقيح الأصول صـ ١١ ط النجف وطبقات أعلام الشيعة جـ ٢ صـ ٢٢٨ وفيها في ترجمة جدنا بعض الإشتباهات وكتاب (هدية لال عبا في نسب آل طباطبا) المخصوص بأنساب أسرتنا والمطبوع سنة (١٣٣١) هـ ش بمطبعة مجلس بطهران أنظر ص ٣٥ ـ ٧٠ وهو تأليف السيد حسين علي نقيب زاده ولكن في كتابه بعض اشتباهات مهمة . وكتاب (الوحيد البهبهاني) للمعاصر الدواني حفظه الله ص ٢٩٩ ط قم وفيه أيضاً بعض اشتباهات في ترجمة جدنا نبهنا على بعضها في تعليقاتنا على الأنوار النعمانية للسيد الجزائري (ره) ج ٢ ص ٣٥ ط تبريز سنة (١٣٧٩) هـ وتاريخ تبريز لنادر ميرزا القاجاري المطبوع وغيرها وللسيد ميرزا مهدي القاضي إجازة عن الميرزا الشهرستاني (ره) نقلها العلامة الأميني دام بقاه في شهداء الفضيلة (ص ٢٧٨ وأشار إليها المحدث القمي (ره) في الكنى والألقاب ج ٣ ص ١٦٥ ط صيدا .

العاشرة من عمره الشريف شرع بدراسة العلوم العربية ثمّ قرأ علوم البلاغة كالمعاني والبيان والبديع مع العبقريّة الفذّة والثقافة الأدبية في بيئته التي نشأ فيها فإن في بيته تسلسل العلماء والأدباء منذ قرنين وهو يتعلّم الآداب بين أظهرهم منذ ترعرعه وشبابه ، ثم درس الرياضيات من الهيئة والحساب وأضرابهما وبرع في الآداب لا يدانيه فيه أحد وصار أستاذاً ماهراً في النظم والنثر وكفاك شاهداً كتابه (العبقات العنبريّة) الذي أوعزنا إليه وأشعاره وقصائده التي نظمها وعمره لم يتجاوز (٢٤) سنة . أنظر القصيدة التي نظمها في ردّ بعض علماء أهل سنّة بغداد في سنة (١٣١٧) هـ وهي مطبوعة ملحقة بكتاب أستاذه في الحديث والرجال العلاّمة النوري (ره) الذي وسمه بـ (كشف الأستار) والقصيدة متضمنة لمطالب كتاب استاذه مع الجزالة في النظم والرقة في الشعر تبلغ بـ (٢٤٠) بيتاً وأوّلها : صـ ٢٠٢ :

بنفسي بعيد الدار قرّبه الفكر   وأدناه من عشّاقه الشوق والذكر

وقد وصفه بعض العلماء قبل نقل تلك القصيدة في آخر كتاب كشف الأستار صـ ٢٠٠ بقوله : أما بعد فهذه قصيدة فريدة وعذراء خريدة قد ألبسها أكفّ نسائم الصبا أبراد رقتها ، وكسها رياض حدائق البشر أثواب بهجتها ، فهي أنضرمن روضة فتحت أكمامها نفخات النسيم ، وأرق طبعاً من سلافة أكاويب التسنيم ، فلا الخمرة تحكيها ولا عين ساقيها وليست طبعاً نغمة العود وإن رقّت تضاهيها ولا ريحانة البان وإن مدّت نواصيها بأحلى من معانيها وأزكى من مجاريها ، قد حوت أسمى مراتب الجزالة ورفعت الشبه الناشئة من ظلم الجهالة وضمنت إتمام المحجّة وإقامتها وكشف الحجّة وإماطتها فتقشعت غياهب الجهل وسطعت أنوار اليقين وظهرت دلائل الحق وانبرت شبه الجاهلين قد أجزل ألفاظها بعذوبة معانيها ورصف بنيانها بإحكام مبانيها من سلمت إليه البلاغة مقاليدها وأعطته الفصاحة عدّتها وعديدها فهو مالك أزمّة المعاني والبيان والقاطع من ناظره بأقلّ سير وأبلج برهان والحائز قصبات السبق في ميادين الفضائل والبالغ بعلوّ همّته أعلى مراتب الفواضل المنزّه من كلّ شين الشيخ شيخ محمّد حسين لا زال والمجد قرينه والفضل خدينه خلف

علاّمة البشر والأستاذ الأكبر الشيخ شيخ جعفر كاشف الغطاء قدّس الله سبحانه سرّه وزين به في الجنان الأسره قد جمع بنظمها ما ألّفه المفصح عن معجم الآثار النبوية ، وما أفاده في كتابه آية الله الكبرى بين أظهر البريّة كاشف الحجب والأستار عن الشريعة المحمّدية ومتقن قواعد أصول مذهب الأثنى عشريّة ألخ وهذه الكلمات تنبأ من مكانته العالية في الآداب وعلوم العربيّة والبلاغة والقريحة الشعريّة وهو في سن الشباب لم يتجاوز عمره عن (٢٤) سنة كما عرفت ، فالشيخ الإمام المترجم له من العلماء الّذين تفوّقوا في الأدب والشعر كما سموا في علوم الدين والشرع .

وله أيضاً مقدمة على تلك القصيدة كتبها نثراً يقول فيها : يقول أسير الذنوب والبلايا ورهين الخطوب والخطايا الأحقر محمّد حسين ال الشيخ جعفر أنّه وردت إلينا في هذه الأيام قصيدة من بعض جماعة دار السلام ولكنّها يتيمة وإن كانت في سوق الشعراء مالها قيمة ، يسأل فيها عن أمر الحجّة المنتظر والإمام الثاني عشر، وتصدى شعراء العصر للجواب عنها ولكنّهم لم يبلغوا حقيقته وإن أجادوا وما أصابوا الغرض وإن أحسنوا بما جاؤ ا به وأفادوا، فقلت في نفسي أعط القوس باريها فلا يخطي مراسها فعرضتها على علاّمة الفقهاء والمحدثين ثم بعد الثناء الجميل على المحدّث النوري (ره) يقول: فكتب أيّده الله تعالى رسالة أبهرت العقول والألباب ولم يأت أحد بمثلها في هذا الباب، وحيث أن السؤال كان نظماً أحببت أن يكون الجواب طبق السؤال فنظمتها على الوزن والقافية على تشتت البال وجعلتها خدمة لإمامنا الحجّة (ع) ولنوّابه الأعلام خصوصاً صاحب الرسالة ألخ .

ويعلم مقامه الشامخ في الأدب قبل أن يصل إلى حد التكليف أيضاً ممّا كتبه العلاّمة الشيخ جواد الشبيبي (ره) في كلمته الملحقة بآخر كتاب (الدعوة الإسلامية) حيث يقول فيها ما هذا لفظه : وله سوى ذلك من المصنّفات كتاب أنيق ألّفه قبل أن يألف العذار عارضيه ويجري قلم التكليف عليه أخلصه لتراجم طبقات أسلافه الأكارم وأسره الأعاظم وعدّ مساعي آبائه وأجداده ومآثرهم الجميلة في الدين وغرّ خدماتهم في الإسلام ووسمه بـ (العقبات

العنبرّية في الطبقات الجعفريّة) وهو مشروع تموج فيه مياه الآداب من مسجلات ومراسلات وتواريخ وتراجم ومسائل فقهيّة ومباحث علميّة، ونثر فائق وشعر رائق ممّا قالوه أو قيل في مدايحهم ومراثيهم وتهاديهم وتهانيهم ، ويحتوي على بعض وقايع (العراق) وأحواله وعلى الخصوص المشهد الكريم والزاوية المقدسة منه (النجف الأشرف) وله في النظم رويّة حاضرة وبديهة باهرة ويد طولى تجد القصيدة الواحدة منه تنوف على المأتين والثلاثمائة وكلها بتمام القوّة والإنسجام والرقة والترصيع بأنواع البديع ولولا ضيق المجال لذكرنا منها ما يعجز ويعجب بل يطري بالإعجاب ويطرب لكنه بعد العشرين من عمره قد رفض تعاطي نظم الشعر بالكليّة إلّا ما يتعلق بمدايح النبي (ص) والأئمّة عليهم السلام ومراثيهم وله في ذلك قصائد رنّانة ومجموع شعره حتى الآن بعدما ذهب الكثير منه أدراج الرياح ينوف على السبعة آلاف بيت وعلى الجملة فإنه أدام الله له التوفيق مجموعة فضل وجامعة كمال .

وهو حرسه الله بهجة أيّامه في جميع ما مضى له من العمر الذي به تقدّم وعلّم وتعلّم على نزارته وقلّة عدد أيّامه وضعف عدّته ما خرج من خطة العراق ولا تخرّج على غيرها من الآفاق ، بل وما انفك عاكفاً على أعتاب باب مدينة العلم والإستمداد من روحانيته وروحانية أبنائه الطاهرين الأئمة المعصومين أهل بيت الرحمة ومنابع العلم والحكمة صلوات الله عليهم أجمعين . ونحن نرجو له مزيد التوفيق ونسأله تعالى بكرامتهم أن يجعله فيما لا يزال من حماة الدين ونصراء الإسلام الذابين عنه بالألسنة والأقلام إنّه ولي الإجابة وبها جدير وبالحرّى أن نحمد الله على الكرامة بمثله في هذه العصور فالحمد لله وله المنّةوالشكر وهو ربّ العالمين ؛ .

أيّها العلاّمة الجليل والمتضلّع الأديب وقد استجاب الله تعالى دعاءك وجعله من أكابر حماة الدين وذادته ونصراء الإسلام وقادته وصيّره من أعظم القائدين الذابّين عن الدين تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين ونصر الإسلام بقلمه ولسانه وأقواله وأفعاله ورحلاته وأسفاره (إن تنصروا الله

ينصركم) وصار من أشهر علماء الإسلام وعظمائه في الشرق والغرب . فهو منذ نعومة أظافره إلى آخر نفس لفظه خدم الدين ونصر الإسلام ولم يأخذه في سبيل الذبّ عن الدين والدفاع عنه لومة لائم وصولة أي متغلّب وظالم وتقوّل أيّ جامد وجاحد وقد كنّا في حضوره في النجف الأشرف حينما أراد السفر إلى باكستان وسألوه عن الأسباب والدواعي لسفره فأجاب بما نصه :

إنّه قد وردتنا عدّة كتب مطبوعة عدّة مرّات في أزمنة مختلفة تتضمن تلك الكتب دعوة إخواننا الباكستانيين من أعلام المسلمين وعلمائهم في عاصمتها يدعوننا للحضور إلى مؤتمر إسلامي اعتزموا عقده باجتماع رجال الإسلام للمداولة في شؤون المسلمين والنظر فيما أحاق بهم من البلاء والإستعداد لدفع عواصف تلك الأعاصير السياسية السوداء عنهم وعن الإسلام ومن المعلوم أن السياسة العالميّة اليوم تنذر بخطر هائل على البشرية عموماً وعلى العرب والإسلام خصوصاً والأمل بالنجاة ضعيف والعمل منّا معاشر المسلمين أضعف ولكن حيث أن اليأس موت عاجل والحركة حياة وإن كانت ضعيفة وحديث : (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس من الاسلام في شيء) مع عزّة من به الكفاية وندرة من توجد به المؤهلات الكافية للقيام بهذا العبء وأداء ذلك الغرض لذلك لم أجد بدّاً من المجازفة بحياتي في سبيل الله ونصرة الإسلام وإجابة دعوة إخواني المسلمين في أقصى الأرض على كبر سنّي وضعف بدني وتراكم العلل والأسقام وتزاحم الأشغال والأعمال لمهمات المسلمين ولكني ابتذلت هذا الرمق الباقي من الحياة التي هي على شفا ولم يبق منها إلاّ صبابة .

على أني وله الحمد ما عودت نفسي مدة عمري أن أخلد إلى الراحلة أو أتطلب السكون والدعة وأسأله تعالى أن يقرن مساعينا بالنجاح ويجعلها خالصة لوجهه الكريم والرجاء من إخواننا المؤمنين أن يسعفونا بالدعاء سائلين منه تعالى أن يسعفنا بالنتائج المثمرة للإسلام وحسن الأوبة إلى المقام بسلام وما ذلك على الله بعزيز . وقد خرجت من النجف الأشرف في هذا السبيل ولأجل تلك الغاية صباح يوم السبت ١٢ جمادي الأولى (١٣٧١) هـ متوكلاً على الله

ومفوضاً أمري إليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه محتسباً صابراً (وما انقادت الآمال إلاّ لصابر) وإنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

وقد طبع ونشر هذا البيان في العراق في التاريخ المذكور والغرض أنّه رحمه الله تحمل أعباء الخدمات الدينيّة منذ ترعرعه وشبابه إلى آخر عمره وخاتمة أوانه .

مشايخه وأساتذته

بعد ما أتّم الشيخ الإمام المترجم له دروسه في الآداب والعلوم العربية وبرع فيها وفاق على أقرانه وأخذ بدراسة سطوح الفقه وأصوله وأتمّها وهو بعد شاب فأخذ بالحضور عند الأساتذة الكبار في حلقات العلم وحضر دروس الطبقات العليا كالمحقق الأصولي المولى محمّد كاظم الهروي الخراساني (ره) فقد حضر بحثه في عدّة دورات في أصول الفقه وحضر عند الفقيه الأكبر السيد محمد كاظم الطبطائي اليزدي (ره) من سنة (١٣١٢) هـ إلى وفاة السيد (ره) في سنة (١٣٣٧) هـ واختصّ به مع أخيه الفقيه المتبحر الشيخ أحمد كاشف الغطاء (ره) وكان السيّد يعوّل عليه وعلى أخيه في أكثر مهماته ويثق بهما ويرجع إليهما مرافعاته ، وكان هو مع أخيه الفقيه الأوحد في فتنة المشروطة معيناً على السيّد (ره) وحرضا القاطنين من أهل النجف الأشرف على حفاظة السيّد (ره) وحراسته من شرّ أعداء الدين ولولاهم لكان السيّد مقتولاً وقد حفظه الله تعالى بأيدي الأحرار الشجعان أيّدهم الله تعالى وسددهم ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله[١] .

وحضر الشيخ الإمام أيضاً عند الفقيه الحاج آقا رضا الهمداني صاحب

---

(١) كان الباعث في إيران على المشروطية والراغب فيها هو الإنكليز وكان المخالف لها والمانع عنها هو الـ (روس) وكانت الأمة الإيرانية واقعة بين السياستين بل كالميت بين يدي غسالين ونحن وإن لم ندرك تلك الفتنة الخبيثة والواقعة الفجيعة ولكن الآن نرى أن نتائج المشروطية بأي معنى أرادوها صارت على نقيض من دين الإسلام المقدس .

مصباح الفقيه عشر سنوات عند المحقق الأصولي السيّد محمّد تقي الأصفهاني ثلاث سنوات ، وعند الفقيه الورع التقي ميرزا محمّد الشيرازي سنتين . وحضر في الحكمة والكلام عند العلاّمة الحكيم الشيخ محمّد باقر الأصطهباناتي (ره) الفائز لدرجة الشهادة حينما وقع هدفاً للرصاص في حسينيّة (قوام) بشيراز سنة (١٣٢٦) هـ على العلاّمة الأصولي الحكيم الشيخ أحمد الشيرازي (ره) والعلاّمة الشيخ علي محمّد النجف آبادي (ره) وكان هؤلاء من فحول الحكماء والرياضيين ومن أبطال الحكمة والكلام، وحضر في الحديث والرجال عند العلاّمة المحدّث النوري صاحب المستدرك ويروي عنه وعن الفقيه الحاج ميرزا حسين الطهراني (ره) عن الشيخ الجليل الشيخ علي الخاقاني (ره) وغيرهم[١] .

فقاهته وتبحره في العلوم

إعلم أيها القاريء الكريم أنّي مع هذا البيان الضئيل لا أستطيع أن أصف شيخنا الإمام المترجم له من هذه الناحية فإنّه أنّى لي ووصف مقامه الشامخ العلمي وهو ذلك الشخص العالمي في علمه وفقاهته واجتهاده وجامعيّته وتضلّعه في الفقه وأصوله وتبحره في الحكمة والفلسفة العالية والمعارف الإلهيّة والمطالب العرفانيّة وهو النابغة في العلوم نبوغاً باهراً المتقدم في الفنون تقدماً ملموساً وأربى عمله وفضله على سنّه .

وألّف في حياة أستاذه شرحاً على (العروة الوثقى) ورأيته في مكتبته وهو شرح مزج وشرع بالتدريس فكانت له حوزة تتألّف من الفضلاء وروّاد العلم الّذين ليس لهم نظر إلاّ تحصيل الكمال وكان تدريسه في (مسجد الهندي) تارة والصحن المرتضوي في طرف الطوسي أو مقبرة الإمام الميرزا الشيرازي (ره) أخرى ، وكان يكتب شرح العروة ليلاً ويلقيه على تلامذته نهاراً ، وكان أحد الفقهاء الأكابر في النظر إلى العروة الوثقى والبحث في أطراف

(١) صرح قدس سره بروايته عنهم في إجازته التي كتبها لي بخطه الشريف في سنة : (١٣٧٠) هـ .

المسائل التي كان السيد (ره) يكتبها أولا ثمّ يعطيهم للنظر والبحث في مداركها ثانياً في اللجنة المؤلّفة من الفقهاء المنعقدة في دار الشيخ الأكبر كاشف الغطاء قدّس سرّه كما شرح ذلك شيخنا المترجم له وكتب تفصيل تاريخ تأليف العروة في آخر حاشيته النفيسة عليها المطبوعة في النجف الأشرف سنة : (١٣٦٧) هـ فراجع .

كان فقيهاً قويَّ الحجّة والبرهان مجتهداً في المباني لا مقلداً في المبنى واسع الإطلاع حرّاً في آرائه ونظرياته كان ينتزع كثيراً من الفروع من ذوق عربي سليم قد ارتكز على فهم نصوص الأخبار والروايات التي يبتني عليها المذهب الجعفري ويمتاز بالجرأة في إبداء الرأي الذي يراه قد ارتكز على الحجة وسانده العقل في حين أن خصومه الذين قد وقفوا له بالمرصاد كانوا لا يستطيعون مقاومته أو ردّه وقد شاهدت أنّه يأتي على جمع من الفقهاء مسألة نادرة فقهيّة غير معنونة في الكتب الإستدلالية الفقهيّة فلم يقدم أحد منهم على إبداء الرأي والفتوى وكانوا ينتظرون أن يصدر الفتوى عن الشيخ الإمام المترجم له حتى يلاحظوا أو يتذكروا في حول مداركه ومستنده ، وغير خفي على الفطن أن فقاهة الرجل ومهارته وتضلّعه يعلم من استنباطاته وفتواه في الفروع النادرة وقد كان سيّدنا الإمام المحقق المجتهد الأكبر أستاذنا الحجّة الكوهكمري كثيراً ما قال : إنّا علمنا فقاهة المحقق القمي (ره) من كتابه (جامع الشتات) لكونه مشتملاً على الفروع الفقهيّة والمسائل النادرة التي لا عنوان لها في كتب الفقه قبله ولا نعرف فقاهته من كتابه : (القوانين) في الأصول .

وكتابه تحرير المجلة وهو أهمّ آثاره دليل قويّ على تضلّعه في الفقه وجلالة مؤلّفه وعظمته في مقام الإستنباط وهو من الكتب الممتعة ومن نفائس الآثار المترشحة من قلم شيخنا الإمام وفيه تستبين الموازين العلميّة بين فقه المذهب الجعفري وفقه سائر المذاهب الإسلامية وما في فقه الإمامية من غزارة المادّة ، وسعة الينبوع وكثرة الفروع وقوة المدارك وتشعب المسالك ورصانة المباني ، وسموّ المعاني . ومطابقة العقل والعرف وغير ذلك من المزايا العالية والخصائص الكامنة فيه .

والحديث عن مقامه الشامخ في العلم والفقاهة لا يحتاج إلى بسط فإنّ آثاره العلميّة التي طبعت والتي لا تزال مخطوطة وهي كثيرة تكشف عن سعة اطلاعه وغزارة علمه المتدفق وكان يجمع إلى علمه قوّة البيان واللباقة والجرأة المفرطة مع صوت جهوري ، وكان يسترسل في حديثه كأنّه حفظه عن ظهر الغيب أو يكتب فكأنّه ينقل شيئاً مسطوراً دون أن يمر عليه أو يقرأه ثانياً ، وكثيراً ما يملي المقالات ذات الشأن أو هي موضع المناقشة والإختلاف دون أن يكون لأحد عليه أيّ إيراد أو نقد ، وخصومته العلميّة عنيفة جداً لم يوجد من استظهر عليه من الفقهاء أو حاول أن يستظهر وقد كان كاملاً في الفقاهة والإستنباط مع العبقرية الفذّة لأنّه طلب العلم للعلم لا للزعامة .

إستحضاره العلمي وإلقاء محاضرة إرتجالية على البعثة المصرية

فإليك أيها القاريء الكريم نموذجاً من قوّة استحضاره العلمي وهي تلك الصورة التي سجّلها صديقنا الأستاذ صالح الجعفري آل كاشف الغطاء في المجلد (٢١) ج ٣ ص ٣٠٨ من مجلّة (العرفان) الأغر عند مجيء البعثة المصريّة المؤلّفة من الأستاذ أحمد أمين (يا ليته كان أميناً في النقل) صاحب ـ فجر الإسلام ـ وإخوانه إلى النجف الأشرف في ليلة (٢١) شهر رمضان من عام (١٣٤٩) هـ وزيارته للإمام المترجم له في داره ومشاهدة مكتبة الإمام في مدرسته العلميّة فكان لملاقاته لهم أثر بالغ في نفوسهم وإليك ما دار بينهم من المناظرات والاسئلة لتقف على المواهب العالية وكيف يخص الله تعالى بعض عباده بها قال سماحته لأحمد أمين :

من العسير أن يلم بأحوال النجف وأوضاعها ـ وهي تلك المدينة العلميّة المهمّة ـ شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة فأنّي قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة ومكثت فيها مدّة ثلاثة أشهر متجوّلاً في بلدانها باحثاً ومنقباً ؛ ثم فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً اللهمّ إلاّ قليل ضمنته أبياتاً أتذكر منها :

تبزغ شمس العلى ولكن　　من أفقها ذلك البزوغ
و مثلما تنبغ البرايا　　كذا لبلدانها نبوغ
أكثر شيء يروج فيها　　اللهو والزهو و (النزوغ)

فضحكوا من كلمة (النزوغ) وقال الأستاذ أحمد أمين : مخاطباً الشيخ قلتم هذا قبل عشرين سنة ؟

نعم : وقبل أن ينبغ (طه حسين) ويبزغ (سلامة موسى) ويبزغ (فجر الإسلام) وقد ضمنته = مخاطباً أحمد أمين = من التلفيقات عن مذهب الشيعة ما لا يحسن بالباحث المؤرّخ اتباعه .

أحمد أمين : ولكن ذنب الشيعة أنفسهم إذا لم يتصدوا إلى نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطلع العالم عليه .

الشيخ : = هذا كسابقه . . . فإن كتب الشيعة مطبوعة ومبذولة أكثر من كتب أيّ مذهب آخر وبينها ما هو مطبوع في مصر وما هو مطبوع في سوريا عدا ما هو مطبوع في الهند وفارس والعراق وغيرها هذا فضلاً عمّا يلزم للمؤرخ من طلب الأشياء من مصادرها[١] .

أحمد أمين : = حسناً سنجهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني .

أحمد أمين : = هل يسمح لنا العلاّمة في بيان العلوم الّتي تقرأوها ؟ .

الشيخ : = هي علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والحكمة

---

(١) أشار الشيخ الإمام المترجم له نفسه إلى هذه المناظرة في أثره الخالد (أصل الشيعة وأصولها) وقال : ومن غريب الإتفاق أن (أحمد أمين) في العام الماضي (١٣٤٩) هـ بعد انتشار كتابه ووقوف عدة من علماء النجف عليه ـ زار (مدينة العلم) وحظى بالتشريف بأعتاب (باب تلك المدينة) في الوفد المصري المؤلف من زهاء ثلاثين بين مدرس وتلميذ وزارنا بجماعته ومكثوا هزيعاً في ليلة من ليالي شهر رمضان في نادينا في محفل حاشد فعاتبناه على تلك الهفوات عتاباً خفيفاً وصفحنا عنه صفحاً جميلاً وأردنا أن نمر عليه كراماً ونقول له سلاماً وكان أقصى ما عنده من الإعتذار عدم الإطلاع وقلة المصادر فقلنا : وهذا أيضاً غير سديد ألخ . أنظر أصل الشيعة ص ٦٥ ط بيروت .

والكلام وأصول الفقه وغيرها .

أحمد أمين : = ما هي كيفيّة التدريس عندكم ؟ .

الشيخ : = التدريس عندنا على قسمين :

١ - سطحي . . . وهو أن يفتح التلميذ كتاباً من كتب العلوم المتقدمة بين يدي أستاذه فيقرأ له هذا عبارة الكتاب ويفهمها التلميذ ، وقد يعلق عليها ويورد ويعترض ويشكل ويحل وغير ذلك ممّا يتعلق بها .

٢ - خارج : وذلك أن يحضر عدّة تلاميذ بين يدي الأستاذ فيلقي عليهم الأستاذ محاضرة تخص العلم الذي اجتمعوا ليدرسوه ويكون هذا غالباً في علوم الفقه والأصول والحكمة والكلام ، مع ملاحظة أن التلميذ بكلا القسمين يكون ذا حريّة في إبداء آرائه واعتراضاته وغيرها .

أحمد أمين : = إن البعثة تودّ أن تسمع لبحثكم فهل أنتم فاعلون ؟ .

الشيخ يجيب طلب البعثة بالقبول فيرقى المنبر ويجتمع حوله من حضر الجلسة من تلاميذه ونظراً إلى أن الشيخ على غير سابقة عهد وعلى غير تهيئة وتمهيد لنوع العلم الذي سيبحث فيه ، لهذا تركوا له الحريّة في اختيار العلم ومن أجل هذا يرى القارىء البحث الآتي ذا فصلين . فقه وأصول ، وعقائد . كما كانت أيضاً رغبتهم . وهنا ابتدأ سماحته مرتجلاً فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن ﴾[١] . تشتمل هذه الآية على عقدين : عقد سلب ، وعقد إيجاب ، أمّا عقد السلب ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾ فهو من الأساليب القرآنية التي اخترعها وارتجلها في الإستعمالات العربيّة ولم تكن معروفة من ذي قبل ، وقد تكررت هذه الجملة في الكتاب الكريم . وهي تارة تتعلق بالأفعال مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا

(١) سورة ٦ آية ١٥٤ .

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾[3] ويكون المراد منها حينئذٍ على سبيل إستعارة بالكناية المبالغة في التحذير عن ارتكاب ذلك الفعل . الزنا والصلاة مع السكر أو غير ذلك . . . وشبه إسم المعنى بإسم العين فحذر من قربه فكيف بملاصقته أو الدخول فيه . . . وأخرى تتعلق بالأعيان مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾[5] . ومن هذا القبيل آية العنوان التي هي من براعة الصنعة وإبداع البيان بمكان ، وحيث إن النهي لا يتعلق بالأعيان رأساً بل لا بدّ من توسيط فعل مقدر من البين يناسب تلك العين ، فإذا قيل : حرمت أمهاتكم عليكم ـ يعني العقد عليهن ؛ وإذا قيل : حرمت الخمر ـ يعني شربها ، وإذا قيل : حرم الميسر والقمار ـ يعني اللعب بهما ، وهكذا يقدر في كل مكان ما يناسبه بل أظهر ما يتعلق به من الأفعال التي تطلب من تلك العين وممّا هي معدة له فلا يراد من قول : حرمت الخمر حرمة كل الأفعال التي يمكن أن يتعلق بها فيحرم لمسها أو النظر إليها أو التداوي بها وهكذا . . . كلّا : بل ليس المراد إلّا حرمة شربها ؛ وعليه فيكون المراد والمعنى بالآية التي في العنوان : لا تتصرفوا في مال اليتيم التصرفات المطلوبة عند العقلاء من المال ، التجارة في بيع أو شراء أو صلح أو رهن أو إدانة أو غير ذلك .

والغرض أيضاً بهذا النحو من البيان شدة التحذير والنهي عن التصرف في مال اليتيم بحيث يكون المعنى والمقصود النهي عن المعاملة بمال اليتيم بوجه مطلق من رفع أو وضع أو فعل أو ترك إلّا بالتي هي أحسن أما حيث لا تريدون التصرف فلا شيء عليكم وإن كان التصرف أحسن بخلافه على الوجه

---

(١) سورة ٦ آية ١٥٣ .
(٢) سورة ١٧ آية ٣٥ .
(٣) سورة ٤ آية ٤٧ .
(٤) سورة ٢ آية ٣٤ .
(٥) سورة ٩ آية ٢٩ .

الثاني فإنّ مفاده لزوم التصرف بالأحسن يؤيد الحكم الضروري من حرمة التصرف بمال الغير مطلقاً صغيراً أو كبيراً بغير إذنه ، وليس هو المقصود أصالة بالبيان بالضرورة وإنّما المقصود عقد الإيجاب وهو إعطاء الرخصة بالتصرف في مال اليتيم إذا كان في التصرف مصلحة فيكون مخصصاً لما دل على عموم حرمة التصرف في مال الغير ، إنما الكلام في مقدار تلك الرخصة وحدودها حسبما يستفاد من الآية ، فإن محور البحث والنظر يدور من هذه الجهة على تشخيص المراد من لفظ : (الأحسن) وهل هو من أفعال التفضيل ؟ نظير : الصلاة خير من النوم ، أو صفة مشبهة نظير : النوم خير من الله ، وعلى الأول فهل المراد الأحسن بقول مطلق أي ما لا احسن منه ، او الاحسن نسبياً أي الاحسن من تركه وإن كان غيره أحسن منه ؟ وعلى الثاني فهل المراد منه ما اشتمل على مصلحة ؟ أو يكفي خلوه عن المفسدة ؟ بناءً على أن كل ما ليس بحرام فهو حسن .

ثم لما انتهى الكلام إلى هذا المقام طلب بعض الحضور تغيير الموضوع ونقل البحث إلى مسألة من المسائل الإعتقادية وأساسيات أصول الدين ، فأوصل سماحته الكلام اقتضاباً من غير رويّة ولا تمهل ، ونقل البحث إلى مسألة الحاجة إلى الأنبياء وضرورة البعثة فقال :

إن النظر في عامة أحوال البشر يعطي أنّ أعرف صفاته وألصقها فيه وأقدمها عهداً به هي الخلال الثلاث التي لا يجد عنه محيصاً ولا منها مناصاً مهما كان ، ألا وهي الجهل ، والعجز ، والحاجة ، وهذه الصفات هي منبع شقائه وأصل بلائه وكلّما توغّل الإنسان في العلم والمعرفة تطامن للإعتراف بما توصل إليه من العلم بعظيم جهله ، وإن نسبة معلوماته إلى مجهولاته نسبة القطرة إلى المحيط وكان أكبر علمه جهله البسيط ، وقد سأل أفلاطون حين أشرف على الرحلة الأبدية عن الدنيا فقال : (ما أقول في دار جئتها مضطراً ، وها أنا أخرج منها مكرهاً ، وقد عشت فيها متحيراً ، ولم أستفد فيها من علمي سوى أنني لا أعلم) وقال : (سولون الحكيم) : ليس من فضيلة العلم سوى علمي بأنّي لا أعلم . ومن استقصى كلمات حكماء اليونان وغيرهم وجد لكل واحد منهم مثل هذه الكلمات ، والتشبع بهذه الروح السارية إلى متضلع في

الفضيلة متشبع بروح الفضيلة من علماء الإسلام وحكمائهم ، حتى قال الشافعي (رض) :

وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

والرازي يقول :

نهاية إدراك العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

حين أن علماء الغرب وكبار المخترعين الّذين حوروا الدنيا إلى هذا الشكل العجيب يعترفون بعدم وصولهم إلى حقائق الأشياء ، فهم وإن اخترعوا الكهرباء ولا يعرفون حقيقتها ، هذا فضلاً عن الروح والنفس والحياة وهذا مجال لا يأتي عليه الحصر ، فالإنسان عريق بالجهل لصيق بالعجز والحاجة ، ولا شقاء ولا بليّة إلّا وهي منبعثة إليه من ذلك ، وعقول البشر بالضرورة غير كافية لرأب هذا الصدع ، ونأى هذا الثلم ، وسدّ هذا العوز ، فالعناية الأزلية التي أوجدت هذه الخليقة لو تركتها على هذه الصفة تكون قد أساءت إليها بإيجادها وما أحسنت الصنيع بنعمة الوجود عليها ، ولكان الأحرى لو تركتها في طوامر العدم ؛ وأطمار الفناء ، ويكون ذلك نقضاً للحكمة وإفساداً للنعمة .

إذاً فلا بد من إيجاد رجال كاملين في أنفسهم مكملين لغيرهم يكونون كحلقة الإتصال بين الخالق والمخلوق ، وهمزة الوصل بين العبد والرب ، فإن السعادة منه وإليه ، وأولئك هم السفراء والأنبياء الذين بهم تتم الحجة وتستبين المحجّة ، وحينئذٍ تكون سعادة كل إنسان وشقاؤه باختياره قال تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾[1] وقال : ﴿ أنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإما كفوراً ﴾[2] وتكون حينئذٍ لله على الناس الحجّة البالغة ؛ نعم وكل هذا موقوف

(١) سورة ٩٠ آية ١١ .
(٢) سورة ٧٦ آية ٤ .

على إثبات الصانع الحكيم المنزّه عن البعث والظلم فضلاً عن الجهل والعجز . وهناك أدلى الشيخ بالحجّة وأملى أصول البرهنة على وجود الإله تعالى الحق بعدّة قواعد لا يساعدنا ضيق المجال لسردها وعدّها تفصيلاً ، ولكن نكتفي بالإشارة إليها على وجه الإجمال :

١ ـ قاعدة : (إن ما بالعرض لا بد وأن ينتهي إلى ما بالذات) .
٢ ـ إن معطي الشيء لا يكون فاقده .
٣ ـ إن الصدفة في النواميس الدائمة الكلّية والأشياء المتكررة مستحيلة .
٤ ـ إمكان الأشرف .
٥ ـ قاعدة اللطف[١] .

وأمثال ذلك من أمّهات قواعد الحكمة وأصول الفلسفة الحقّة ، ثم ارتأى في هذا المقام أن يختم البحث لضيق الوقت وهكذا كان وعندما نزل الشيخ من المنبر دارت بينه وبين أحمد أمين الأحاديث الآتية :

أحمد أمين : هل الإجتهاد عند الشيعة مطلق أو مقيد ، يريد بذلك هل هو اجتهاد (في الكتاب والسنّة والإجماع والعقل) ومنه القياس عندهم ، أو هو اجتهاد في فتاوى الأئمة المعروفين كاجتهاد العلماء الّذين بعدهم في كلماتهم وعلى الأصول المقررة عندهم فيكون المجتهد مقيداً بطريقة ذلك الإمام من حنفي أو شافعي أو غيرهما[٢] .

وهذا جواب الشيخ :

---

(١) وقد شرحنا هذه القاعدة في مقال ضاف نشره الشيخ عارف الزين في مجلة : (العرفان) أنظر المجلد٤٢ ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٢) كتبنا مقالاً ضافياً مفصلاً حول الإجتهاد في الشريعة وتاريخ حصر الإجتهاد عند أهل السنة في المذاهب الأربعة وسد باب الإجتهاد عندهم نشره عارف الزين في مجلة : (العرفان) أنظر المجلد ٣٧ ج ١٠ ص ١١٤٦ وذلك المقال رسالة وجيزة في هذا الموضوع ولنا أيضاً مقال حول الإجتهاد نشرته رسالة الإسلام الصادرة من دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة عدد ـ ٤ ص ٤٢٨ من سنتها الثانية سنة (١٣٦٩) هـ .

الإجتهاد عندنا مطلق يستنبط كل مجتهد الأحكام الشرعيّة من نفس الكتاب والسنّة غير مقيد بكلام مجتهد آخر مهما كان ؛ ولكن على أصول وقواعد مقررة عند الجميع ؛ وهي القواعد التي يتكفل بها علم أصول الفقه وهذه القواعد بعضها متفق عليه عند الجميع وبعضها أيضاً موضع نظر واختلاف فتكون اجتهاديّة أيضاً ، ولكل مجتهد فيها رأيه الخاص الذي يبرهن ويبني عليه طريقة الإستنباط .

أحمد أمين : = ما هي الأدلة التي يبتني عليها الإجتهاد عندكم .

الشيخ : = هي الكتاب ، والسنّة ونعني بها الأخبار الواردة عن المعصومين .

أحمد أمين : = هل هناك شيء يعارضها ويتقدم عليها ؟

الشيخ : = كلّا لا يعارضها شيء ، ولا نرفع اليد عن الخبر الصحيح المعتبر إلّا إذا كان مصادماً لضرورة العقل الفطري كما لو ورد خبر بجواز شهادة مؤمن لأخيه المؤمن في دعوى يدعيها على الغير مع عدم علم الشاهد بتلك الدعوى وإن كان عالماً بأن ذلك المدعي لا يدعي باطلاً ؛ فإن مثل ذلك الخبر لا نعمل به مهما كان .

أحمد أمين : = هل يوجد تعارض في أخبار الأئمة ؟

الشيخ : = نعم .

أحمد أمين : = كيف يتناقض كلامهم مع أنكم تشترطون فيهم العصمة ؟

الشيخ : = لا تناقض في الجوهر وإنّما التناقض في الأخبار الواردة عنهم أو في ظواهر كلماتهم ، أمّا في الحقيقة لا تعارض ولا تناقض ، وإنما هو اختلاف في ظاهر الكلام كالإختلاف الذي يوجد في ظاهر الكتاب الشريف وهو القرآن العزيز قال تعالى : ﴿ فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان ﴾[١]

---

(١) سورة ٥٥ آية ٤٠ .

وقال عزّ شأنه : ﴿ وقفوهم أنهم مسؤ ولون ﴾[١] ولكل وجهة وخاصة ، وعلى الجملة . فحال السنّة والأخبار كحال الكتاب الكريم .

فيه النص والظاهر ، والمجمل والمبيّن ، والمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والحكم الواقعي ، والحكم الظاهري ، والأحكام المؤقتة التي تقضيها الأوقات والظروف والأحوال والحوادث الزمنيّة ويقابلها الأحكام المؤبدة التي لا تتغير بتغيير الأحوال وتبدل الزمان . ووظيفة المجتهد الفقيه البالغ تلك المرتبة السامية والملكة الراسخة هي تمييز بعضها عن بعض ؛ والجمع بين متعارضاتها ورد بعضها إلى بعض واستخراج العلل والأسباب التي أوجبت ذلك التعارض والتناقض الواقعي حسب الحقيقة والجوهر فهو مستحيل عندنا بعد البناء على عصمة الأئمة .

أحمد أمين : = ما الدليل على عصمة الأئمة ؟

الشيخ : = حكم العقل الضروري .

فهشّ واستبشر وكان طلب من الشيخ البيان والإيضاح فقال : أنّه بسيط جداً وأنا سائلك (ما الحكمة والغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب) ؟ .

أحمد أمين : = الهداية والإرشاد والتهذيب .

الشيخ : = إذن فهل يحصل الإرشاد من شخص يقول : لا تكذب وهو يكذب ، ولا تشرب الخمر وهو يشرب الخمر ، ولا تزن وهو يرتكب الزنا وهل يحصل الغرض وتتم الفائدة من الهداية من شخص يجوز عليه الغلط والغفلة والنسيان والإشتباه ، ولا شك في أن الجواب بالسلب ، وإذا كان إرسال الرسل وبعث الأنبياء واجباً بالحكمة حسب العناية الأزلية ، فالعصمة أشد لزوماً وأقوى وجوباً ، وإلّا بطل الغرض وماتت الفائدة وانتقضت الحكمة .

أحمد أمين : = ما الدليل على انفتاح باب الإجتهاد عندكم ؟ .

---

(١) سورة ٣٧ آية ٢٥ .

الشيخ : = وما الدليل على انسداده ، وأيّة آية أو خبر تدل على الحجر على العقول والضغط على الأفكار وسلب هذه الحريّة الفكريّة التي منحها الله تعالى لعباده ؛ وكانت من أفضل نعمه على خلقه ، غاية ما هناك أنّ الله سبحانه وتعالى رأفة بالعباد ورفعاً لمشقة الإجتهاد ؛ ورعاية لحفظ نظام الهيئة الإجتماعية ووجوب قيام كل طائفة لشأن من الشؤون الضرورية . فتتوزع الاعمال وتتبادل المنافع لذلك كله رفع وجوب الإجتهاد عن كل فرد من المكلفين وأطلق لهم السراح في ذلك فجعل وجوبه كفائياً وأجاز رجوع العامة إلى المجتهدين وتقليدهم في أمور الدين : أمّا من أنفت نفسه وسمت همّته عن خطة التقليد وخطة الإتباع ، وأراد أن يأخذ الحكم من دليله على قواعد الفن والصناعة فأيّ دليل على منعه وحجر ذلك عليه ؟ وهل نجد عاقلاً في الدنيا يمنع عن العلم ويأمر بالجهل ؟ وإن مذهباً يكون هذا الحكم من دعائمه وقواعده أحرى بأن يسمى مذهب الجهالة والتضليل ، ومن آراء العصور المظلمة وبقايا أديان الجاهلية والإستبداد هذا ؛ أمّا دين الإسلام فهو أرفع وأنصع من ذلك ، ولو لم يكن دليل على شرف مذهب الشيعة وصحّة قواعده وأصوله إلّا هذا لكفى .

إنتهى كلام الشيخ مع أحمد أمين . وكم له من أمثال هذا المناظرات والمحاورات المذهبيّة والإجتماعيّة والعلميّة والأدبيّة لو أردنا جمعها وتأليفها لاحتجنا إلى مجلدات ضخمة فإنّه كان رحمه الله تعالى مدرسة ممتدة الجوانب مستطيلة الأركان راسخة القواعد قد ضمّ بين صدره مجموعة من العلوم فأفرغها بقوالب تخلب السمع وتستولي على الأفئدة .

وليعلم القارىء الكريم أنّه كما كان للشيخ الإمام قوّة الإستحضار العلمي كما عرفت نموذجاً منه كان رحمه الله أجرأ الفقهاء في الفتوى الفقهي بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده وقوّة استنباطه وكان قليل الإحتياط في المسائل أعني الإحتياط الذي يوجب الضيق على العوام بل كان له في المسائل الفرعيّة فتوى ورأي فيفتي ويحكم دون أن يتشبّث بالإحتياط .

وقد أفتى : إن (كل مسلم يموت فله من ماله الثلث أوصى أو لم

يـوصي لإطلاق بعض الأخبـار وشهادة الإعتبـار)[1] وقد أشكـل بعض الأعلام على الشيـخ بهذه المسـألة وبلغ ذلـك الشيخ فقـال قدّس سـره يجب عليـه أن يتفضل إلى مجلسنا فيشكل علينا أمامنا وأن لا يجلس في داره ويشكل وإما أن يسمح لنا أن نذهب إلى داره ونعرض المسألة أمام البحث أما أن يثبت أو أثبت وبلغ كلامه إلى بعض الأعلام فقال أنّ الإمام حجّة فيما يفتى به .

أخلاقه وغيرته على الإسلام والمسلمين

لقد كانت أخلاق الشيخ الإمام (ر ه) وعاداته وسلوكه تنطبق على أخلاق العبـاقرة والعـظماء والنـوابغ من النـاس شديـد التمسـك بـالآداب الإسـلاميّـة والتعاليم الدينيّة خصوصاً أدب أئمة أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم العالية فقد امتاز بحافظتـه القويّـة ، وحضور البـديهة ؛ وحـدة ذهنه وتـوقده ، وصفـاء نفسـه فلم يكن يحمل حقـداً وضغينـة على أحـد ، ويعفـو عمّن أسـاء إليـه ، ويقابل الجاهلين والمخطئين بالحلم ورحابـة الصدر . ولـم يكن عنـوداً متصلّباً في رأيه بل سرعان ما يقتنع ويتراجع عندما يـرى وجه الصـواب ، ويمضي في خطته وعلمه غير هياب ، عندما يجد نفسه على حق وصواب . ولقد شاهـدت من تراجعه عندما رأى وجه الصواب في مطلب عندما عرضت الـواقع عليـه ما يوجب الحيرة والعجب وهكذا يكون العـالم الديني والقـائد المـذهبي ومن لم يكن غرضه إلّا اتباع الحقّ والتجنّب عن الهوى .

وكانت له الثقـة التامـة بنفسه لـدرجة الإعتـداد مع الإبتعـاد عن العجب والغرور ، وكان يرى أنّ الكثير من الناس لا يفهمونه ولا يقدرونه القدر الـلائق به .

وكان مترسلاً في أعماله ، مجرداً من العقد النفسيّة والنـزعات المكبـوتة وكان يرى رأي كثيـر من العباقـرة أن النجاح والتفـوق في الحياة ليس بـالتفكير والتـدبير والحيـل والمؤامرات والـدسائس والخـداع بل بـالإنهماك في العمـل

---

(١) أنظر إلى كتابه (سؤال وجواب) العربي ص ٣٤٦ ج ١ الطبعة الثالثة سنة (١٣٧٠) هـ .

والإنغمار فيه ؛ ويكون القصد من العمل خدمة المجتمع ونكران الذات وأعتقد أن أكبر معرقل للفرد عن النجاح والسعادة كثرة تفكيره واهتمامه بذاته .

لقد كرّس الفقيد حياته منذ شبابه بنشاط وانشراح وانبساط لانتهال علوم الأدب العربي . والعلوم الإسلامية فاستوعبها جميعاً وتعمق فيها ، وكتب وألّف ، وأبدع وأجاد فيما كتب وأنشأ ، ولم يكترث بجمع الأتباع ، فمن أتاه رحب به بل وحيّاه ، ومن انصرف عنه لم يحفل به ، فرأى أن الإستعاضة عن الدعاة ، بمؤلفاته وأعماله ، أفضل وأنفع ومع ذلك كان شيخ الإسلام بحق فقد بلغ في أنواع العلوم الإسلامية إلى الدرجة القصوى والقمّة العليا ولا سيّما بلغ في الفقه درجة عالية وأصبح مرجعاً في التقليد من أكبر مراجع الشيعة في الأقطار الإسلامية وملجأ في الإفتاء والأحكام مع أنّ الدعايات الكاذبة على ضده في البلاد والأمصار ولا سيّما في إيران كانت شديدة خصوصاً من بعض أهل الجمود وأذناب المستعمرين وقد كنت قبل المهاجرة إلى العراق في إيران أسمع من أفواه جمع من السفلة ومن أدخل نفسه في زمرة أهل العلم كذباً وزوراً بعض الكلمات والطعون في حقه وكنت في الحيرة والتعجب والدهشة من ذلك هل لها حقيقة وواقع ؟ أم أنها من الدعايات الكاذبة ؟ وكنت أتفكر في سبب هذه الدعايات وكان من آمالي أدرك حضوره ومشاهدته والتكلم معه مشافهة حتى وفقني الله تعالى لهذه السعادة وتشرفت بلقائه في بعض أسفاره إلى إيران في (شميران) طهران وكان ذلك أوّل لقائي له فرأيت أن عيانه أعظم من سماعه[1] ثم بعد هذا أمعنت النظر والتحقيق حول تلك الدعايات فعلمت أنها من الدعايات الكاذبة وكلها من حيل أعداء الدين ومن جنايات المستعمرين وإنّما اتّهموه عند الجهّال والعوام لئلا يكون إقبال الناس إليه ولئلا تتوجه الزعامة الدينيّة والرئاسة المطلقة نحوه فإنّه إن

---

(١) قال بعض الأعلام أنه ذكر هذا المقال الشيخ الفقيه الكبير الشيخ علي نجل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء (ر ه) في حق الشيخ الأعظم الأنصاري (ر ه) وورد في الحديث : أن كل شيء من أشياء الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من أشياء الآخرة عيانه أعظم من سماعه .

أقبلت الزعامة إليه ، وانحصرت فيه تفشل بسبب ذلك نياتهم ومقاصدهم الممقوتة .

أضف إلى ذلك أنّه نبغ في العلوم العقلية والنقلية وهو شاب أضيف إسمه إلى قائمة رجال الدين في حياة أساتذته مضافاً إلى قلمه السيال والإملاء الخاص الّذي لم يكن نظيره في واحد ممّن عاصره، وأمّا في الخطابة والوعظ وطلاقة اللسان فهو أوّل خطيب بين علماء عصره مع أدبه الرفيع وأسلوبه الحكيم وبيانه الأخاذ يلقي الخطب إرتجالاً ولم يكن أحد منهم من فرسان هذا المجال وكان له استعداد فريد للتكلم في المجالس المهمة ومحتشد الناس في المؤتمرات والمنتديات ولم يكن هذا المعنى في واحد ممّن عاصره فحسد على ذلك كله وبدأت الدعايات المغرضة ضده منذ شبابه .

والمطالع لمصنّفاته وكتاباته والسامع لحديثه وخطبه يعرف غيرته الشديدة على الشرف والمسلمين وتألمه لتأخرهم وجمودهم . ويجد منه لوعة وحرقة لحالهم قلّ نظيرها أو انعدم فكان يتلهف لتقدم الشرق والمسلمين وخلاصهم من الإستعمار ويتلهب غيرة وحماساً ونشاطاً في الأعمال النافعة لهم وله أشعار وقصائد في الحثّ على الخلاص من ذلّ الإستعمار وحض الأمّة على إبادة كبرياء الظالمين ونسف الخائنين .

رأيت مجموعة مشتملة على الأشعار والفوائد العلميّة والأدبيّة وهي حقيبة كلها فوائد وعوائد وأكثرها بل كلها بخطه وممّا رأيت واستنسخت من خطه هذه الأبيات :

ولي كل يوم موقف ومقالة — أنادي ليوث العرب ويحكم هبّوا
فأمّا حياة تبعث الشرق ناهضاً — وأمّا ممات وهو ما يرقب الغرب
وقفت على أحياء قومي براعتي — وقلبي وهل إلّا البراعة والقلب

وله :

قضيت شبيبتي وبذلت جهدي — فلم تكن الحياة كما أريد
إلى كم استحثّ النفس عزماً — وكم أسعى وغيري يستفيد

نهضت فقيل أيّ فتى فلمّا | خبرت القوم أعجبني القعود
وإني بعد مجهدة وقومي | كضاربة وقد برد الحديد
وحيد بينهم ولعل يوماً | عصيباً فيه يفتقد الوحيد
لنا في الشرق أوطان ولكن | تضيق بنا كما ضاقت لحود
نقيم بها على ذلّ وفقر | ونظماً لا يسوغ لنا الورود
أكاذيب السياسة بيّنات | تكيد بها الحكومة ما تكيد
وعود كلها كذب وزور | فكم والى مَ تخدعنا الوعود
إذا ما الملك شيد على خداع | فلا يبقى الخداع ولا المشيد
ومن لم يتخذ ملكاً صحيحاً | فلا تغنى الجيوش ولا البنود

ويصحّ أن يقال : أنّ هذا من تنبآته .

وفي هذه الأشعار يصرّح على سبب نكبة الإسلام والعرب :

كم نكبة تحطم الإسلام والعرب | والإنكليز أصلها فتش تجدهم السبب
بل كل ما في الأرض من ويلات حربٍ | وحرَب هم أشعلوا نيرانها وصيّروا الناس حطب
واستخدموا ملوكنا لضربنا ولا عجب | فمِلكهم بفرضهم كان وإلا لإنقلب
هم نصبوا عرشاً في كل شعب فانشعب | واسواتا إنّ حدّث التاريخ عنهم وكتب

وله في هذا المعنى أشعار كثيرة ذكر بعضاً منها في كتابه : (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) وفي (المحاورة بين السفيرين) فراجع . وله في معنى تلك الأشعار كلمات كثيرة نثراً يتعذر نقلها ويطول الكلام بسردها ، خذ أوّل صفحة من كتابه : (الدين والإسلام) تجده يتلهف لتقدم الشرق والإسلام ويتلهب غيرة وحماساً ونشاطاً في الأعمال النافعة للمسلمين وتحريضهم على توحيد كلمتهم ونبذ فرقتهم والخلاص من مكائد الإستعمار وقد اشتهرت كلمة نيّرة من كلماته القصار وهي قوله : (بني الإسلام على دعامتين كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) .

يومياتــه

كـان رجلاً متـوقداً نشيـطاً في العمـل يقضي القسم الأكبـر من وقتـه في العمـل . فقد كـان يستيقظ عند طلوع الفجـر وقت الآذان قبـل طلوع الشمس بساعة ونصف فيصلي ويقرأ الأدعية ثم يقرأ ويكتب . حدثني بعض المـطلعين على حاله سرّاً يوم كان في إيران في أحد أسفاره إنـه كان لـه في جوف الليـل مناجاة وتضرّع وابتهال إلى الله تعالى بعد صلاة الليل قلّما يتفق نظيـرها للعبّـاد والـزهاد إلاّ للمستغـرقين في محبّة الله وخشيتـه والخائفين من نقمتـه والراجين لرحمته .

وعنـد طلوع الشمس يتناول الفـطور وبعده يعـود إلى المطالعـة والكتابـة حتى وقت الضحى وقبل الظهر بثلاث ساعات فيخـرج إلى الديـوان (مدرستـه العلميّـة) لمقابلة النـاس والوافـدين عليه وذوي المصـالـح لقضـاء حـوائجهم ويفصل بين المتخاصمين وقـرب الظهـر يعود إلى البيت ، وعنـد الظهـر يؤدي فريضة الظهر والعصر في الدار أو الحرم العلوي الشريف ثم يعود فيتناول طعام الغداء . وقد ينـام أقل من سـاعة واحـدة تقريبـاً ثم يستيقظ ويعود إلى الكتـابة والمطالعة وقراءة الرسائل والمسائل وكتابة الأجـوبة ولا سيّمـا أجوبـة المسائـل التي ترده من أنحاء العالم ويستمر إلى قبيل الغروب بساعة فيخرج إلى الديوان لمواجهة المراجعين والزائرين حتى وقت الغروب فيخـرج إلى الصحن العلوي لأداء الفـريضة جمـاعة وبعـد أداء صلاة الجمـاعة كـان يلقي درساً خـارجاً في الفقـه على تلامـذته وهـو جالس على المنبـر والتلاميـذ جالسـون على الأرض ويستمـر درسه سـاعتين وبعد الإنتهـاء يعـود إلى البيت أو يـزور بعض العلمـاء والـوجهـاء في النجف أو القـادمين من خـارج النجف وعنـدمـا يعـود إلى داره يستريح مع أهله مدة قليلة ثم يتناول العشاء وبعده يعود إلى الكتـابة والمـطالعة إلى نصف الليل أو قبله بساعة فينام .

وهـذه الأعمال لا يستـطيع أن يقـوم بها جسم الشـاب القوي فضـلاً عن الشيخ الناهز على السبعين غير أنّه يصدق عليه قول القائل :

وإذا حـل لـلـهـدايـة قـلـب نـشـطـت لـلـعـبـادة الأعـضـاء

أسفاره ورحلاته

سافر عام ١٢٣٩ هـ ـ ١٩١١ م من النجف الأشرف إلى مكّة المكرمة لأداء فريضة الحج ومن مكّة توجه إلى دمشق ومنها إلى بيروت ومكث في ربوع سورية ومصر ثلاث سنوات وفي سفره للحج كتب رحلته التي أسماها (نهزة السفر ونزهة السمر) وفي مدة توقفه بمصر درس الفقه مرّة وفي الفصاحة والبلاغة أخرى في الجامع الأزهر وكان يهجم على نوادي التبشير التي تنعقد كل ليلة في كنيسة من كنائس الأمر يكان ومدارسهم ورد على الخطيب المبشّر وألّف كتاب (التوضيح) وطبع جزؤه الأول في القاهرة والثاني في بغداد أنظر تفصيل هذا الوقائع في كتاب (المحاورة مع السفيرين) واشترك في الحركة الوطنيّة مع بعض أحرار سوريا كالشيخ أحمد طبارة ، والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلّة (العرفان) الغراء ؛ وعبد الكريم الخليل ، وعبد الغني العريسي ، وباترو باولي ، وغيرهم .

وطبع في هذه السفرة كتابيه الشهيرين (الدين والاسلام) وأنجز طبعه بجزئيه في صيدا وكتاب (المراجعات الريحانيّة) وأنجز طبع جزئه الأوّل في بيروت وجزئه الثاني في صيدا ونشر في امهات صحف سوريا مقالات نفيسة وقصائد بديعة بتوقيع (نجفى) أو (سيار) وفي ١٣٣٢ هـ قبل الحرب العامة الأولى بشهرين تقريباً عاد إلى العراق وفي النجف الأشرف زادت صلته باستاذه السيد الشريف الفقيه الأعظم السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي (قده) المرجع الأكبر للاماميّة في الأقطار الاسلاميّة . وبعد نشوب الحرب العالميّة في عام ١٣٣٤ هـ سافر للجهاد مع العلاّمة السيّد محمّد نجل أستاذه اليزدي وجمع من العلماء والمراجع إلى الكوت للجهاد امام قوات الانكليز .

توفي أستاذه الطباطبائي اليزدي (ر ہ) سنة (١٣٣٧) هـ فرجع الناس إلى أخيه الشيخ أحمد بالتقليد وفي سنة (١٣٣٨) هـ رجع إلى الإمام المترجم له في التقليد جماعة فعلق على (التبصرة) وطبعت في هامشها مع تعليقة أستاذه ولم يزل أسمه يشتهر في الأوساط وتتسع دائرة مرجعيّته شيئاً فشيئاً حتى اضطره انتشار المقلدين في الأصقاع والبقاع إلى نشر الرسائل العلمية فطبع له نحو

عشر رسائل وتعليقات بالعربيّة والفارسيّة وتكرر طبعها كما يأتي تفصيلها في قائمة مصنفاته الممتعة .

وفي عام ١٣٥٠ هـ سافر إلى فلسطين وحضر المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف بعد دعوات متكررة من لجنة المؤتمر وأتّم به في صلاة جميع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم (١٥٠) مائة وخمسين عضواً من أعيان العالم الإسلامي وخلفهم عدد كثير من أهالي فلسطين يناهز عددهم عشرين ألف نسمة وكان ذلك ليلة المعراج ٢٧ رجب في المسجد الأقصى وخطب خطبة تاريخيّة إرتجاليّة طويلة طبعت مستقلة وكانت لتلك الإمامة دويّ في الشرق فقد اعتبرت بذرة للتقارب والإلفة وعلقت عليها الآمال غير أن المستعمرين وأذنابهم المستأجرين حالوا دون تحقيقها .

وفي عام ١٣٥٢ هـ توجه إلى إيران عن طريق كرمانشاه ورجع من طريق بصرة ومكث نحو ثمانية أشهر متجولاً في المدن داعياً الإيرانيّين إلى التمسك بالمباديء الإسلاميّة حيث كان اتجاههم يومذاك شديداً نحو التمدن الأوروبي ونصحهم أن لا ينزعوا للخروج من حظيرة المسلمين ونبذ القوانين الإسلامية ورائهم ظهرياً وكان موضع الحفاوة والتبجيل في كل مدينة يحل بها . وقد خطب باللغة الفارسيّة في المدن الآتية : كرمانشاه ، وهمدان ، وطهران ، وقم في الصحن الفاطمي بعد أن فوّض إليه الزعيم المرجع الحاج شيخ عبد الكريم اليزدي الحائري (ر ه) صلاة الجماعة فكان يخطب بعدها . وشاهرود ، والمشهد المقدس ، وأصفهان ، وشيراز ، وأصابته نكبة تردّي السيّارة في الجبل في طريقه إلى شيراز فبقي فيها للمعالجة أكثر من شهرين وصلى في جامعها الأعظم واقتدى به جميع علمائها وأهاليها ومن حولها من القرى وخطب بالفارسيّة خطبة طويلة وبعد شفائه رحل إلى كازرون ، وبوشهر ، والمحمرة ، وعبادان ، واجتمع مع شاه إيران (البهلوي) في طهران بعد أن طلب عن الإمام المترجم له ملاقاته اجتمع مرتين متواليتين معه ونصحه وتذاكر معه في شؤون إسلاميّة وأمور دينيّة .

وسافر في الصيف عام ١٣٦٦ هـ إلى كرند ـ قرية في إيران بين كرمانشاه وخانقين قرب حدود العراق ـ للإصطياف ولم يتجاوز كرند في سفرته هذه لأن بعض من له حب الظهور والشهرة قصد الجهة التي توجه إليها الإمام المترجم له ليشاركه في تعظيم الناس له ولذا رجع الشيخ من كرند إلى النجف الأشرف .

وسافر في صيف عام ١٣٦٧ هـ إلى إيران وتوقف مدّة يسيرة في (شميران) ثم توجه إلى خراسان وزار مرقد الإمام الرضا صلوات الله عليه ورجع إلى العراق في آخر الصيف .

وسافر في صيف عام ١٣٦٩ هـ إلى إيران أيضاً وبعث له شاه إيران الحالي رسولاً يرحب به ويدعوه إلى لقائه فكتب له مع الرسول : إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم الملوك ونعم العلماء فزاره بنفسه وقدم له هدايا نفسية فباع الشيخ معظمها وكان من جملتها سيّارة قيّمة ووزع أثمانها على الفقراء وعلى طلاب بعض المدارس الدينيّة بطهران ومع ذلك كان من تواضعه للعلم واحترامه لعلماء الدين ما لا يوصف وكفاك في ذلك أنّ أستاذنا الإمام بطل العلم والفقاهة المرجع الأعلى للشيعة سيّدنا الحجّة الكوهكمري كان مريضاً في تلك الأيّام وجاء من قم إلى الـ (ري) وأقام عند حرم سيّدنا عبد العظيم الحسنى (ض) قرب طهران للمعالجة فزار الشيخ الإمام مرقد سيدنا عبد العظيم (ض) وبعد الفراغ من الزيارة قصد زيارة سيّدنا الأستاذ وعيادته وكان بينهما صداقة ومودّة كاملة وكان سيّدنا الأستاذ يقول كراراً أن جلّ اطلاعاتي وتتبعاتي في العلوم والأخبار والآثار وغيرها إنما هي من بركات مكتبة الشيخ الإمام[١] وكان يثني على الشيخ ثناءً بليغاً قلّما يوجد نظيره بين المتعاصرين .

وسافر في صيف عام ١٣٧٠ هـ إلى لبنان للمعالجة وكنت وقتئذٍ في

(١) وقد أثنى على هذه المكتبة المجتهد الأكبر الشيخ العلاّمة المامقاني (ر ه) فيما كتبه بخطه الشريف في ظهر كتابه النفيس تنقيح المقال فراجع .

النجف الأشرف وكنا متأسفين على فراقه حتى قفل إلى النجف الأشرف في آخر الصيف .

وسافر يوم ١٢ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ من النجف إلى كراتشي للحضور في مؤتمر إسلامي ، سافر من بغداد بالقطار إلى البصرة ، ومنها جوّاً إلى كراتشي ؛ ورجع جوّاً إلى البصرة ووصل بغداد بالقطار عصر الأربعاء ٢٢ جمادي الآخرة ؛ ولقى في كراتشي من الأهالي وحكومة الباكستان حفاوة عظيمة وخطب خطبة طويلة أذيعت في أنحاء العالم وأحدثت دويّاً من الإستحسان وعندما رجع إلى العراق ونزل البصرة استقبله أهاليها استقبالاً لم يقع له نظير هناك وكذلك عندما ركب السيّارة التي نقلته إلى القطار فقد حملها المشيّعون على أكتافهم إلى القطار وكان يجد في كل بلد يصله استقبالاً رائعاً وعند قدومه إلى النجف الأشرف استقبله أهلها قاطبة من العلماء والوجهاء وعوام الناس وكانت الصحراء بين النجف وكربلاء مشحونة بالسيارات ولو أردنا شرح هذا الإستقبال لطال الكلام وكنت كتبت مكتوباً مفصلاً بالفارسيّة وأرسلته بالبريد إلى كراتشي بعد أن سافر الشيخ الإمام إليها ليصل هناك إليه وذكرت في ذلك الكتاب أسفار جمع من أكابر علماء الإماميّة وخدماتهم الدينيّة بسبب أسفارهم ورحلاتهم ووصل الكتاب إلى الشيخ الإمام في المطار عند رجوعه من كراتشي وحظى عنده بالقبول والإستحسان وأمر بقراءته على المشيّعين لما في الكتاب من ذكرى التاريخ والحثّ على الخدمات الدينيّة وكان بعد رجوعه إلى النجف الأشرف يثني على صنيعي هذا ثناءً بليغاً وكان هذا من الطافه عليّ جزاه الله عنّا خير الجزاء .

وسافر إلى كرند من بغداد صباح الجمعة ١٥ ذي القعدة ١٣٧٣ هـ بعد أن مكث في بغداد في مستشفى الكرخ شهراً واحداً لمعالجة التهاب غدة البروستات الذي عاد إليه وانتابه قبل سنة ووقعت في كرند الوقعة العظمى والمصيبة الكبرى التي عمت العالم الإسلامي كما يأتي في تاريخ وفاته رحمه الله .

مواقفه الإصلاحية

١ ـ إخماد فتنة الحصّان عام ١٣٥١ هـ .

عندما أصدر عبد الرزاق الحصّان كتابه (العروبة في الميزان) الذي طعن فيه العلويين وشيعتهم ومجدّ الأمويين ودولتهم حدث هياج في بغداد والعتبات المقدسة وبعض مدن العراق وخاصة في النجف الأشرف فخطب الشيخ الإمام في الصحن العلوي ونصح فيها أهالي النجف فانصاع الناس إلى كلامه مباشرة وفتحت أسواق النجف في الحال ونال الجاني عقابه .

٢ ـ أبطال العادات المؤذية من العراق عام ١٣٥٣ هـ .

في العشرة الأولى من شهر ربيع الأول إعتاد العوام والصبيان في النجف وكثير من مدن العراق الشيعيّة أن يقوموا في كل سنة بأفظع المنكرات فيرهون الطرقات والمفرقعات في الطرق وفي أثر اهتمامه في إبطال هذه المنكرات بطلت تلك العادات من ذلك الحين حتى الوقت الحاضر وأنقذ الناس من شرّ عظيم .

٣ ـ إخماد ثورة عشائر الفرات عام ١٣٥٣ هـ .

٤ ـ منع الشغب والمظاهرات التي حدثت في وزارة نور الدين محمود .
أنظر تفصيل هذه الوقائع والسانحات في كتاب (المحاورة مع السفيرين) وفي المقال الذي كتبه نجله عبد الحليم آل كاشف الغطاء في ترجمة والده الإمام ونشره في العرفان المجلد ٤٢ ج ٥ , ٦ العدد الخاص بالعراق .

٥ ـ موقفه من مؤتمر بحمدون .

في أواخر شهر آذار عام ١٩٥٤ م . ورد إلى الشيخ الإمام المترجم له كتاب من كارلند إيفا نزهوبكنز نائب رئيس جمعيّة أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكيّة من نيويورك يدعوه إلى حضور مؤتمر لعلماء الدين من المسلمين والمسيحيين ينعقد في بحمدون بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٥٤ للمداولة في :

١ ـ القيم الروحية للديانتين .

٢ ـ موقف الديانتين من الشيوعيّة .

٣ ـ الطرق الكفيلة في الديانتين لنقل القيم الروحية إلى الجيل الحديث . فرفض شيخنا الإمام حضور المؤتمر مبيناً رأيه في مواضيع البحث في كتاب بإسم (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) .

تأليفاته الممتعة

مؤلفاته المطبوعة في الحكمة والكلام والأخلاق والفقه وغيرها ، ألّف :

١ ـ الدين والإسلام والدعوة الإسلامية ، جزءآن طبعا في صيدا ، أحدث جزؤه الأول دويّ استحسان في العالم الإسلامي فتلافقته أيدي الفريقين مستوحية أهدافه الكريمة لكنه مع ذلك بوغت بهجوم السلطة عليه وهو مشغول بطبع جزئه الثاني في بغداد عام ١٣٢٩ هـ بأمر ناظم باشا والي بغداد وإيعاز المفتي الشيخ سعيد الزهاوي فصمّم على طبعه خارج العراق فسافر إلى الحجّ وعاد من طريق الشام فبيروت وأنجز طبعه بجزئيه في صيدا .

٢ ـ المراجعات الريحانيّة ـ جزءآن ـ تكرر طبعهما في الشرق والغرب ، في صيدا وبيروت وبغداد والأرجنتين تضمّن أوّلهما المناظرات التي جرت بينه وبين فيلسوف الفريكة أمين الريحاني ونقد فيه الأب أنستاس ماري الكرملي صاحب مجلّة (لغة العرب) وهو بحوث مهمّة للغاية دلت على استيعابه وتعمّقه في العلوم ، ونقد في الثاني المؤرخ جرجي زيدان أيام ظهور كتابه (تاريخ آداب اللغة العربيّة) وفي هذا النقد فوائد وتنبيهات وبراعة لا يستهان بها .

وقد نقد فيه أيضاً صديقه الشيخ يوسف الدجوي من مدرسي الأزهر الشريف كما نقد فيه الشيخ جمال الدين القاسمي عالم دمشق يومئذٍ .

٣ ـ الآيات البينات، تشتمل على أربع مسائل في الردّ على الفرق الضالّة .

٤ ـ التوضيح فيما هوَ الإنجيل ومن هو المسيح جزءآن وطبع ترجمتها بالفارسيّة أيضاً .

٥ ـ الفردوس الأعلى ـ طبع في النجف وتبريز ـ مع بعض تعليقاتي عليه .

٦ ـ أصل الشيعة وأصولها ـ تكرر طبعها وترجم إلى اللغات المختلفة .

٧ ـ الأرض والتربة الحسينيّة طبعت ترجمتها أيضاً .

٨ ـ نبذة من السياسة الحسينيّة .

٩ ـ الميثاق العربي الوطني .

١٠ ـ المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون ـ وقد لاقى هذا الكتاب رواجاً عجيباً وأعيد طبعه مراراً في ظرف قصير كما ترجم إلى الفارسيّة وطبع في إيران .

١١ ـ المحاورة مع السفيرين ـ طبع في العراق والأرجنتين .

١٢ ـ عين الميزان .

١٣ ـ نقد ملوك العرب للريحاني .

١٤ ـ مختارات من شعر الأغاني .

١٥ ـ الخطبة التاريخيّة في القدس .

١٦ ـ خطبة الإتحاد والإقتصاد . ألقاها في مسجد الكوفة عند رجوعه من المؤتمر الإسلامي بفلسطين وهي من أعظم الخطب .

١٧ ـ الخطب الأربع .

١٨ ـ خطبة الباكستان وترجمتها بالفارسيّة أيضاً مطبوعة ، ترجمها صديقنا الفاضل السيد هادي الخسروشاهي التبريزي حفظه الله تعالى .

١٩ ـ مباديء الإيمان ، دروس دينيّة جمعها من رشحات قلمه الشريف

بعد وفاته ، نجله الأستاذ عبد الحليم وقدم لها وطبعها سنة : (١٣٧٨) هـ .

مؤلفاته في الفقه

٢٠ ـ المسائل الفندهاريّة (فارسي) أمرني قدّس سرّه بترجمتها إلى العربيّة وأدرجها في الفردوس الأعلى .

٢١ ـ حاشية على التبصرة للعلامة الحلى (ر ه) .

٢٢ ـ سؤ ال وجواب عربي .

٢٣ ـ وجيزة الأحكام . تكرر طبعها .

٢٤ ـ زاد المقلدين ـ فارسي . تكرر طبعها .

٢٥ ـ مناسك حجّ عربي . تكرر طبعها .

٢٦ ـ حاشية على العروة الوثقي للسيد الشريف الطباطبائي اليزدي (ره) وفيها فوائد جليلة .

٢٧ ـ حواشي على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد أربع مجلدات دورة فقه كاملة وفيها مسائل نادرة وفوائد جليلة .

٢٨ ـ تحرير المجلّة خمسة أجزاء من جلائل الكتب .

٢٩ ـ حواشي على عين الحياة ترجمة سفينة النجاة بالفارسيّة ـ جزءآن ـ مطبوعة مع عين الحياة في بمباي .

٣٠ ـ حاشية على مجمع الرسائل (فارسي) مطبوعة مع حواشي السيد الزعيم سيّدنا الطباطبائي البروجردي دام ظله في النجف الأشرف سنة : (١٣٦٧) هـ .

مؤلفاته في الأدب

٣١ ـ تعليقات وتراجم على ديوان السيد جعفر الحلى (ر ه) المعروف

بسحر بابل وسجع البلابل .

٣٢ ـ تعليقات على ديوان السيد سعيد الحبوبي (ر ه) .

٣٣ ـ تعليقات على الوساطة بين المتنبي وخصومه .

٣٤ ـ تعليقات على معالم الإصابة .

٣٥ ـ تعليقات على (الكلم الجامعة والحكم النافعة) والظاهر أن الشيخ الإمام (ر ه) جمع تلك الكلم الجامعة من كلمات أستاذه الطباطبائي اليزدي (ر ه) وشرح بعضها في آخر العروة الوثقى حين أشرف على طبعها للمرّة الأولى في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ ولكنه ذكر اسمه الشريف في آخرها رمزاً فراجع .

مؤلفاته المخطوطة في الحكمة والكلام

٣٦ ـ الجزء الثالث من الدين والإسلام .

٣٧ ـ الجزء الرابع من الدين والإسلام .

٣٨ ـ حاشية على كتاب الأسفار لصدر المتألهين (ر ه) .

٣٩ ـ حاشية على رسالة العرشيّة لصدر المتألهين (ر ه) .

٤٠ ـ حاشية على رسالة الوجود لصدر المتألهين (ر ه) .

٤١ ـ دائرة المعارف العليا وقد جمع في هذا الكتاب بعض ما ورد من الأسئلة مع أجوبتها في الفقه والحكمة والتفسير وغيرها يحتوي على ثلاث مجلدات .

مؤلفاته المخطوطة في الفقه وأصوله

٤٢ ـ شرح العروة الوثقى للسيد الطباطبائي اليزدي (ر ه) خمسة مجلدات .

٤٣ ـ حاشية على رسائل الشيخ الأعظم الأنصاري (ر ه) .

٤٤ ـ حاشية على مكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري (ره) .

٤٥ ـ تنقيح المقال في مباحث الألفاظ .

٤٦ ـ حاشية على الكفاية للشيخ آخوند الخرساني (ره) .

٤٧ ـ رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهريّة والواقعيّة .

٤٨ ـ حاشية على القوانين .

مؤلفاته المخطوطة في التفسير والهيئة وغيرها

٤٩ ـ مغني الغواني عن الأغاني مختصر الأغاني ألف صفحة .

٥٠ ـ ديوان شعره الذي أسماه : (الشعر الحسن من شعر الحسين) .

٥١ ـ نزهة السمر ونهزة السفر : رحلته الأولى إلى سوريا ومصر .

٥٢ ـ ترجمة حياته مفصلاً بقلمه بعنوان : (عقود حياتي) تشتمل على أمم الحوادث والتواريخ في تلك العقود ومعه المجموع من شعره الذي نظمه في الكبر بعد سن الخمسين . نأمل ممّن عثر عليه في النجف وكربلاء أو في غيرهما أن يسلمه إلى نجله عبد الحليم أو الشيخ محمّد شريف وله منهما جائزة ثمينة ، وإننّا نأمل العثور عليه إن شاء الله تعالى .

٥٣ ـ تعاليق على أمالي السيد المرتضى علم الهدى (ره) .

٥٤ ـ تعاليق على أدب الكاتب لإبن قتيبة .

٥٥ ـ تعاليق على الوجيز في تفسير القرآن العزيز .

٥٦ ـ تعاليق على نهج البلاغة ونقود على شرح الشيخ محمّد عبده ومؤاخذات عليه .

٥٧ ـ تعليقات على الفتنة الكبرى لطه حسين .

٥٨ ـ منتخبات من الشعر القديم مجموعة كبيرة .

٥٩ ـ منتخبات من الأحاديث والأخبار والتراجم وغيرها .

٦٠ ـ تعريب كتاب فارسي هيئة .

٦١ ـ تعريب كتاب حجّة السعادة في حجّة الشهادة .

٦٢ ـ تعريب قسم من رحلة : (ناصر خسرو) الحكيم المشهور .

٦٣ ـ كتاب (وظائف) .

٦٤ ـ كتاب استشهاد الحسين (ع) .

٦٥ ـ رسالة عن الإجتهاد عند الشيعة .

٦٦ ـ العقبات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة في ترجمة عائلته .

٦٧ ـ جنّة المأوى ـ هذا الكتاب الّذي بين يدي القاريء العزيز، وقد شرحنا الحال بالنسبة إلى هذا الكتاب فيما تقدم وكتبنا ما هو اللازم بيانه سابقاً فلا نعيده .

وله طيلة حياته الشريفة مقالات وبحوث كثيرة في مختلف الموضوعات نشرها في الصحف والمجلّات ومنشور كثير، كمنشور (نصيحة للمسلمين) وأمثالها ، وأيضاً له تصدير وتقريظ كثير على مؤلفات العلماء والأدباء فلو جمع وألّف ما ترشح من قلمه الشريف من هذا القبيل مع أنه يتعذّر بل يتعسر استقصاؤها ليبرز مجلدات ، وقد كان يقرأ ويكتب حتى ساعة الوفاة ، وقد كتب تقريظاً لبعض المؤلفات في مستشفى الكرخ ببغداد مدة مكثه فيها شهراً واحداً قبل سفره إلى (كرند) ، وكان يقرأ كل ما يمرّ عليه من كتاب مطبوع ومخطوط وما أن يفرغ منه حتى ترى الهوامش قد ملئت بالتعليقات النفسية وفي مكتبته عشراة من هذه الكتب .

وكان له إلمام خاص وعناية مخصوصة بخطب أمير المؤمنين (ع) وكلماته الشريفة ، وسمعته وهو يحدّث لي ، إني مع إلمامي الشديد بالأدب العربي وتوغلي في النكات الأدبيّة والمعاني الدقيقة لا أقدر على شرح كلماته (ع) كما هو حقها ويليق بها ، فإن كلامه (ع) فوق كلام المخلوق دون كلام

الخالق ، ولا أتمكن من بيان بعض معاني ونكات كلماته (ع) بغير البيان الذي ذكره (ع) ، وإنّي أتعجب من بعض الناس ممّن ليس لـه حظ وافر من الأدب العربي والنكات العربيّة والعلوم المتنوعة كيف يتصدى لشرح كلامه (ع) نظماً أو نثراً ، وهو يتخيل أنّه أدى حق تلك الكلمات النّيرة وشرحها كما يليق بها ، ثم أراني عدّة أوراق كان أرسلها إليه بعض المتصدين لشرح نهج البلاغة وبيّن لي هفواته وعثراته .

وممّا هو جـدير بـالذكـر أن جمعاً من النـاس ممّن يؤلّف ويصنّف تأليفـاً وتصنيفاً في مختلف العلوم والموضوعات نقلوا كثيراً في مؤلّفاتهم ومصنفـاتهم من كتب شيخنا الإمام (ر ه) ومن مقالاته وبحـوثه القيّمـة المنتشرة في أنحـاء البسيطة والبلاد الفسيحة الأرجاء من دون رعـاية الإحتفـاظ منهم بأمـانة النقـل وأخذوا كثيراً من الفرائد النفيسة والدرر المنضودة والأفكار المترشحة من قلمـه الشريف من غير أن ينسبوها إلى مـرصفها ونـاضدهـا وصاحبهـا ، وهذه خيـانة سوداء بل سرقة الشـوهاء لا ينبغي صـدورها من الـرجال الأحـرار وممّن ينتمي إلى العلم ومن كان من الأمناء والخطباء .

فإليك أيّها القاريء الكريم ذكر مورد واحد ممّا ادعيناه شـاهداً لمـا قلناه فاستمع لما يتلى عليك فيما يلي :

وقد ألّف الخطيب الفاضل السيد حسن القبانجي النجفي حفظه الله كتاباً ووسمه بـ (الجواهر الروحيّة) وذكر فيه مقالاً في أسرار الزكـاة بعنوان (الـزكاة والإشتراكية الصحيحة والتعاون في الإسلام) وأخذ هـذا المطلب بعين ألفـاظه من ابتدائه إلى انتهائه من كلام شيخنا الإمام (ر ه) الذي ذكره بالعنوان المذكور في الفردوس الأعلى من دون تغيير ولو بكلمة واحدة ، ولكنه لم ينسبه إلى الشيخ أصلاً ، وهذا العمل على خلاف أمانة النقل ولعله حفظه الله ذهل عن ذهنه[1]

---

(١) كما ذهل عن خاطره أن ينسب ما نقله عن كتاب طب الإمام الصادق إلى مؤلفه العلاّمـة الميرزا محمـد الخليلي ، أنظر الجـواهـر الـروحيـة ص ٧٢٦ و ٢٧٧ وطب الإمـام الصـادق ص ١٣ و ص ١٤ . الجـواهر ص ٢٧٨ طب الصادق ص ١٥ و ص ١٧ والجـواهـر ص ٢٧٩ و ص ٢٨٠ =

وخاطره الشريف ونسي أن يذكر اسم الشيخ (ره) وينسبه إليه ، وطبع كتابه غافلاً من ذلك والله العالم وهو العاصم . نعم حذف بعض تعليقاتي على العنوان المذكور ولم ينقلها .

أنظر (الجواهر الروحيّة) ج ١ ط النجف سنة ١٣٧٥ هـ من ص (٤٠٢) إلى ص (٤١٠) وانظر إلى الفردوس الأعلى من ص (١٧٤) إلى ص (١٨٤) ط ٢ تبريز . ومن ص (١٢٨) إلى ص (١٣٦) ط ١ النجف . وطالع تلك الصفحات في الكتابين حتى تجد صدق ما قلناه .

وفاتـه

لما مرض شيخنا الإمام مرضه الّذي قضى على حياته الغالية ويئس من شفائه على أيدي أطباء النجف الأشرف سافر إلى بغداد للمعالجة وأدخل مستشفى الكرخ فباشره جمع من حذاق الأطباء مدّة لا تقل عن شهر ولم تتقدم صحته ولم يتحسن مزاجه بل ازدادت آلامه .

هنا احتمل بعض محبيه وخواصه بأن اليد الأثيمة الغاشمة تعبث وأنّ السلطة الحاكمة آنذاك تريد القضاءعليه من طريق مرضه خوفاً من مكانته العظيمة عند الناس وجرأته على القيام ضد الإستعمار[1] ، كما أظهر جرأته في

= وطب الصادق ص ١٧ ـ ١٨ والجواهر ص ٢٨٠ إلى ص ٢٨١ والطب الصادق ص ١٨ و ص ١٩ والجواهر ص ٢٨٢ و ص ٢٨٣ والطب الصادق ص ١٩ و ص ٢٠ ، كما وقد نسي أن ينسب مقدمة طب الرضا التي كتبها العلاّمة السيد مرتضى العسكري إلى كاتبه ، أنظر الجواهر الروحية ص ٢٨٤ إلى ص ٢٨٧ ، أنظر ما كتبه العلاّمة العسكري في مقدمة طب الرضا .

(١) فإن عمال السياسة الظالمة عرفوا منذ زمن بعيد جرأته في الأمور وشجاعته في المعارك واستعداده في إخماد نار الفتن وإيجاد الهياج ومكانته الشعبية وغيرته الدينية والوطنية وهو قادر على النهضة الإصلاحية مع كونه شديداً على الظالمين والمتغلبين عاتباً جريئاً عليهم ، ولم يكن له ند في العتاب على الملوك والرؤساء ، فلا ينسى اليوم الذي جاء (قبل وفاة الشيخ (ره) بسنتين تقريباً) المرحوم فيصل الثاني (ره) مع وزراه إلى النجف وزار قبر جده وعيّن لقائه مع الشيخ (ره) في الحضرة العلوية المقدسة بعد التماس شديد من الحكومة عنه لملاقاة الملك وكان الشيخ (ره) مشغولاً لأداء صلاة نافلة في رواق الحضرة الشريفة والملك مع اتباعه ووزرائه ومنهم نوري السعيد منتظرون للقائه بعد فراغه من الصلاة ، والشيخ (ره) دخل الحرم الشريف بعد الفراغ =

كتابيه : (المثل العليا) و (المحاورة مع السفيرين) ولمّا أبرزهما في الأسواق وراجا رواجهما في العالم وأخذا مأخذهما عند أكثر الناس وخصوصاً عند تلامذة المدارس والكليّات والمعاهد العلميّة . اشمئزت السلطة الغاشمة والبلاط وأخذت تحيك الحيل ضد حياة راحلنا العظيم وقد أشار الأستاذ طالب الحيدري في قصيدته التي أبّن بها شيخنا المغفور له ، إلى أنّ موت شيخنا الفقيد كان مقصوداً قال :

مات الجريء الفذ يدفعه — إخلاصه ليقول مندفعاً
ما مات حتف الأنف أحسبهم — قد جرعوه من الردى جرعا
قتلوه ثأراً منه أو حذرا — والله أعلم بالذي وقعا

أنظر ديوانه : النبضات ص ١٧٨ .

= من الصلاة ولم يتوجه إليهم بل سلّم على أمير المؤمنين (ع) وزار قبره الشريف ، وجاء حتى وقف عند الضريح المقدس تجاه وجهه عليه السلام فسلم الملك واتباعه على الشيخ (ره) وابتدر الملك وقبّل يد الشيخ (ره) ثم وزرائه بعده قبّلوا يده ولم يجلس الشيخ (ره) إلى الأرض واستمر قائما متكئا على عصاه ، فشرع للتكلم باللسان الفصيح وعاتبهم ووبخهم بلحن شديد وقال للملك أمن العدل أن ينتشر في عاصمتك جريدة منحوسة مستأجرة بإسم (السجل) ، وتتجاسر على جدتك الزهراء البتول (ع) بالقول الشائن والكلام المقذع ؟ وأن تكتب في حق الشيعة وعلمائهم ، أنهم خالفوا من أول الأمر للمسلمين ونقضوا اتحادهم حيث أن المسلمين اجتمعوا في مجلس السقيفة والشيعة شقّوا عصاهم بعدم الحضور فيها فخاطب الجماعة وقال : إنا تابعون في المخالفة لمجلس السقيفة لصاحب هذا القبر وأشار بيده إلى الضريح المقدس ثم خاطب الملك خاصة وقال هل كان جدك هذا أمير المؤمنين (ع) حاضراً في ذلك المجلس ؟ أو أظهر المخالفة ولم يحضر فيه أصلاً بل كان ساخطاً على الحاضرين فيه ؟ ونحن معاشر الشيعة تابعون له نخالف في كل ما خالف فيه أمير المؤمنين (ع) ونوافق بكل ما وافق فيه هو (ع) ونعادي من عاداه ونوالي من والاه ، ثم شرع للعتاب والخطاب الشديد عليهم بأمثال تلك الكلمات بالنسبة إلى الموضوعات الدينية والعمرانيةوالإقتصادية وغيرها ولم يكن في واحد منهم جرأة على الجواب وجلس في أثناء الكلام وجلس الملك وأتباعه بعد جلوسه وبعد أن أتم كلامه تفصيلاً وأجاب الملك ووزرائه بإنفاذ أوامره ونواهيه واعتذروا ببعض الإعتذار من مسامحتهم في بعض الأمور يطول الكلام بذكرها قال الشيخ (ره) قوموا عني واذهبوا إلى أعمالكم (كانوا منتظرين لقيامه) فإني جالس في هذا الحرم الشريف فإن هذا المكان المقدس محل إقامتي ومسكني وأنا خادم من خدام هذا الإمام (ع) .

وشعر راحلنا العظيم بذهنه الوقاد وذكائه المتوقد أن الأطباء لا يباشرون مرضه تأمّة ولا يستعملون الأدوية المختصة بدائه ، رغب في الخروج من المستشفى والسفر إلى إيران للإستجمام في ربوع إيران فحبذّ له هذه الفكرة معالي صالح جبر وجماعة من رجال بغداد من مخلصيه ، فجاء معالي جبر بسيّارته إلى المستشفى فأركبوا فقيد المسلمين في تلك السيّارة وأوصلوه إلى قرية كرند ـ قرية جبلية واقعة بين خانقين وكرمانشاهان في الأراضي الإيرانيّة وهي القرية الّتي كان يصطاف فيها شيخنا الراحل في بعض السنين ـ وبعد وصوله إليها ولم تستقر به النوى ، اختطفه ريب المنون وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء إلى جوار ربّه الكريم بعد أدائه لفريضة الفجر صباح يوم الإثنين ١٨ ذي القعدة سنة (١٣٧٣) هـ .

ولما أشيع خبر وفاته انهالت الناس إلى تلك القرية من كل فجّ عميق لتشييع جثمان بطل العلم والفضيلة فقيد الإسلام والمسلمين ، وأذيع أثر وفاته خبر رحلته من معظم محطات العالم وشيعت جثمانه الطاهر مئات السيارات وسرب من الطائرات الإيرانيّة وجيء بجثمانه من القرية إلى الحدود العراقية وهناك استقبل الجثمان من قبل العراقيين واستلمته أيدي جماهير الناس من مختلف طبقات الفريقين ومن كبار رجال الدولة ثم أخذ جثمانه إلى بغداد عاصمة الرشيد ثم إلى حرم الإمامين الجوادين (ع) ثم إلى كربلاء إلى حرم أبي عبد الله الحسين (ع) وحرم أخيه البار أبي الفضل العباس (ع) ثم إلى النجف الأشرف إلى حرم الأمن ، حرم العلم وبابه حرم مولى الكونين والثقلين أمير المؤمنين (ع) الشهيد أبو الشهداء الأحرار لطواف جثمان شيخنا الراحل حول مراقدهم وأن يجدد عهده مع الأئمة (ع) ثم إلى وادي السلام إلى مقره الأخير مقبرته الخاصة التي اعدها بنظره من قبل سنين لنفسه .

نقل لي ثقة عن الشيخ الشريف نجل راحلنا العظيم ، أنه لما أخبر الشيخ في كربلاء بأن سرداب القبر قد عمر وكمل من جهة البنيان ذهب إليه الشيخ في رجوعه من كربلاء ونزل إلى تلك الحفيرة ومكث فيها مدة غير يسيرة وناجى فيها ربّه ثم خرج منها ولحيته الكريمة تقطر من دموع عينيه .

فهـذا إن دلّ على شيء يدل على قـوة إيمـان شيخنـا المغفـور لـه وقـوة عقيدته بالمعاد فهنيئاً له إيمانه وعقيدته فإن الإيمان بالله وبما أرسله إلى النـاس كافة مع أنبيائه المرسلين ينفع في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وأقيمت مجـالس الفـاتحـة في النجف الأشـرف من قبـل أسـرة الفقيـد والعلماء والجمعيات ومن قبل مختلف الطبقـات كما أقيمت مئات الفواتـح في العراق وإيران وباكستان والهند وسوريا ولبنان وأقيمت له في النجف بعد مـرور أربعين يـوماً من وفـاته حفلة تـأبينية في مـدرسة الصـدر حضرتهـا وفود الـدول وغيرها ممثلين لحكوماتهم ووردت إلى النجف مئات البرقيات بمختلف اللغات من الشـرق والغـرب ، من الملوك ورؤساء الجمهـوريـات ورؤسـاء الأديـان والشخصيـات ، تعزي أسـرة الفقيد والعلمـاء خصوصـاً سيدنـا الحجّة الـزعيم الـروحي الأوحـد إمـام الشيعـة السيـد محسن الـطبـاطبـائي الحكيم متـع الله المسلمين بـطول حياتـه لأن وفاة شيخنـا الراحـل كانت ثلمـة كبيرة في الـدين وخسارة عظيمة على الطائفة لا يعرف مدى تأثيـرها إلّا الأوحـدي من العلماء ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم .

شيوع الإفتراء

قال تعالى : ﴿ إنّما يفترى الكـذب الّذين لا يؤمنـون بآيـات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾[1] .

من ينعم النـظر إلى أحوال الأكـابر والنـوابغ من علمـاء الـدين ورؤسـاء المذهب يرى أنه لم يكد يسلم أحد منهم من تشنيع الأعـداء والنقول والـطعن عليهم من الخصماء وقد وقعوا أهدافـاً لسهام اللوم والـطعن والتنفيد ولم يسلم كثير من الشخصيّات العـالميّة من هـذه السهام المسمـومة ولم يشـذ أحد منهم عن القذف والمروق والشذوذ وما شابه ذلك وأكثرهم سـواء في حياتهم أو بعـد

---

(١) سورة ١٦ اية : ١٠٨ .

مماتهم لم يسلموا عن الكلمات الخاطئة في حقهم والتحامل عليهم بالقول الزور وبكل أفيكة .

وغير خفي على الباحث المنقب أن رميهم بالأقوال الشائنة والقوارص الموبقة وبالأفائك والمفتريات ، كان في الزمن السالف ناشئاً في الأغلب من الحسد والحقد ومن افترآت الخصوم وأهل الغرض والأهواء أو المخالفين في المذهب والعقيدة ولذا نجد بعد البحث والتنقيب وإمعان النظر والتحليل الصحيح ، إن كل تلك الأقوال عارية من الصحّة وخالية عن الحقيقة ولا قيمة لها عند الباحث المنقب والمتحري للحقائق نعم هكذا كان الأمر في الزمن الغابر ولكن في عصرنا الحاضر نجد أن شيوع الإفتراء والإختلاق والتهمة على علماء الدين وكبراء المصلحين أكثرها تصدر من ناحية أذناب الإستعمار والخائنين وأجراء المستعمرين ليلوثوا بزعمهم ساحة قدسهم وليحطّوا عن مقامهم في أنظار الناس كما نسب بعض عمّال الأجانب إلى فيلسوف الشرق والإسلام السيد جمال الدين الأسد آبادي الشهير بالأفغاني (ره) بعض الأفائك من تركه الصلاة في بعض أسفاره وأمثال هذه المفتريات التي لا أستحسن نقلها وثبتها في كلامي والإفصاح بها في مقالي وهكذا صار دأب المغرضين والمعاندين للإسلام والخائنين ولكن العجب صدور أفيكة في حق شيخنا الإمام المترجم له من بعض المترجمين لأحواله في كتابه وهو يحسب نفسه في زمرة أحبابه وقال ما هذه عين ألفاظه : (وكان رأيه بالمعاد أنه روحاني ولكنه لم يبح به خوف الفتنة فإن شبهة الأكل والمأكول كانت سداً أمام المعاد الجسماني) .

غفرانك اللهمّ من هذا البهتان العظيم والأفك الصريح والجرأة العظيمة في حق رجل عظيم من عظماء العالم الإسلامي والمجتمع المذهبي . وايم الله أن التفوه بهذا القول ونسبته إلى الشيخ الإمام (ره) أفك عظيم تقشعر منه الجلود وتكفهر منه الوجوه وتشمئز منه الأفئدة وكان الأحرى والأليق بكاتب هذا المقال وناسج هذا الكذب الصراح أن لا يخرج عن فنّه الّذي نشأ عليه أعني العلوم

العربيّة والفنون الأدبيّة ولا يتداخل بالعلوم الّتي لم يكن هو ماهرا فيها بل لم يحم حول حماها .

فيا أخي إيّاك والتداخل في بعض الموضوعات الدينيّة والعلميّة التي ما درستها بالدراسات التحليليّة عند أساتذتها ؛ أيسيغ وجدان عاقل أن ينسب إلى الشيخ الإمام (ر ه) قولاً هو على خلاف ضرورة الدين وعلى نقيض من صريح القرآن المبين ؟ أليس هو الّذي صرّح بالمعادين الروحاني والجسماني معاً في تصانيفه وقد أثبت في الفردوس الأعلى في مسألة المعاد ما هو ضروري دين الإسلام ، والحق وما في الحق مغضبة إن من المصائب ، إن ارتحل بالأمس الإمام كاشف الغطاء إلى عالم البقاء وينسب إليه من يظهر محبّته اليوم القول على خلاف ضرورة الدين أليس هذا من المصائب العظيمة في الجامعة الإسلامية هل إنكار الضروريات الدينيّة صار اليوم من الآراء الصحيحة ؟ كما يؤمى إلى هذا المقال ذلك الكاتب الأديب في كلماته وهل صار إنكار الضروريات الإسلاميّة من التقاليد الغربيّة ؟ أو أنّ هذا أيضاً من بعض حيل الصهيونيّة الشريرة ؟ وقد صارح هذا الكاتب بما في نفسه ونسب ما هو في مكنون خاطره إلى ذلك الرجل العظيم بعد وفاته ، أمّا تسمع أيّها الكاتب الأديب قول الله تعالى في كتابه الكريم : يا أيّها الّذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾[1] .

فدع عنك التقاليد الغربيّة بإنكار الضروريات الدينيّة ولا تنسب هذا البهتان العظيم إلى الرجل العظيم ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾[3] .

الشاهد على قصور هذا الكاتب أنّه حسب أن شبهة الأكل والمأكول

---

(١) سورة ٣ آية : ٩٦ .
(٢) سورة ٢٤ : آية ١٧ .
(٣) سورة ٤ آية : ١١٣ .

كانت سداً أمام المعاد الجسماني ولم يطلع أنّ في هذا العصر ـ عصر الذرّة والنور ـ لم يبق لتلك الشبهة القديمة بعد البحوث العلميّة الجديدة وقع في أنظار الباحثين والعلماء المنقبين ، فالأولى الصفح عن هذا الكلام وإنما اندفعت في هذا المقام لما رأيت الأفك الصريح منسوباً إلى شيخنا الإمام (ره) وقلت في نفسي لو لم أتعرض وأتصدع بالتصريح بكذب هذا المقال لعله ربّما يشتبه الأمر على الجيل الآتي مع لفت نظري إلى أن عقائد شيخنا الإمام (ره) ، واعتقاداته الدينيّة ومعارفه الإلهيّة ممّا لا يخفى على الأنام على مرّ القرون والأعوام مع انتشار مؤلفاته في أنحاء البسيطة فإن مثله لا يقول بالسفاسف ولا تدنس ساحة قدسه بهذه القذائف والفواحش إنّما يفتري الكذب الّذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون .

صنفان من العلماء

جادت يراعة العلاّمة الكبير الشيخ محمّد جواد مغنية ـ نزيل بيروت بكتابة مقالة ونشرها في المجلد ٤٧ من مجلّة (العرفان) الأغرّ التي تصدر في صيدا ـ لبنان ، لصاحبها العلاّمة المجاهد الشيخ عارف الزين ج ١٠ ص ٩٣٨ .

وجاء في ذلك المقال ما هذا لفظه : (وليس من شك أننا في حاجة ماسة إلى نوعين أو صنفين من العلماء ، أحدهما للتفقة في الدين : وبث الشريعة حلالها وحرامها على أهل المذهب ، وثانيها لإظهار عظمة المذهب وإعلان حقيقته على الأجانب والأقارب ، ودفع الإفتراءات والشبهات عنه ؛ ولدينا من الصنف الأوّل القدر الكافي وزيادة ، والحمد لله .

لقد توفي السيّد أبو الحسن الأصفهاني فخلفه من السادة الكبار أكثر من العدد المطلوب ، أما الثاني فأندر من الكبريت الأحمر . . .

توفي الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء ، والسيد محسن الأمين ، والسيد عبد الحسين شرف الدين ، فأحدثت وفاة كل منهم ثلمة في الدين ما زالت تنتظر من يملأها .

إلتقى هؤلاء الأقطاب بالعالم ، لا بالمقلدين والأتباع فحسب ؛ ونقلت عنهم فئات شتى في الشرق والغرب ، وعرف بهم البعيد أن في الشيعة معجزات من العبقريّة ، وأن مذهب التشيع يقوم على أقوى وأمتن أساس .

وبالإختصار المفيد أن ما طلب لم يعرض ؛ وما عرض أكثر من المطلوب ؛ إن لدينا الكثير من الأصحاب الّذين يعرفون الفرائض والسنن ، أما الذين نباهل بهم ؛ كما باهل النبي (ص) بأهل بيته (عليهم السلام) فأين هم بعد كاشف الغطاء والأمين وشرف الدين ؟! . . .

وقد يسمح لغد ، وما ذاك على الله بعزيز . (أ . هـ) .

وليسمح لي الأستاذ الكبير أن أقول أن أمثال كاشف الغطاء وشرف الدين والأمين والبلاغي يندر في القرون فإنّهم في عصرهم كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والعلّامة الحلى (ر ه) وإضرابهم من النوابغ وأعلام الدين الشاهقة في زمانهم وكانوا أشبه بسلفنا الصالح من علماء الدين في الإحاطة بأنواع العلوم الإسلامية وفي الذب عن الدين من كل النواحي أين نظائرهم على مرّ القرون ؟ ومتى كثر أمثالهم في الأدوار ؟ بل هم أندر من الكبريت الأحمر كما صدع به الأستاذ .

نعم إننا في هذا العصر في أمسّ الحاجة إلى أمثالهم أكثر من الزمن السالف ولا يكفي في زماننا الإكتفاء بالفقه وأصوله في الذب عن الدين والدفاع عنه وقلع أساس الأباطيل والأضاليل وقمع جرثومة الزندقة والإلحاد ، وبيان حقائق المذهب على الأقارب والأجانب ودفع الأفائك والإفتراءات ودحض الشبهات ورفع الإشكالات ؛ وقد كنت طالباً للعلم الديني في حوزة (قم) قبل مهاجرتي إلى جامعة النجف وكنت كلمّا أشكل لي مسألة علميّة أو غيرها كتبتها إلى شيخنا الإمام (ر ه) وهو في النجف الأشرف فكان يأتي الجواب بأسرع الأوقات فأين مثله ؟ ولم غاب نجمه ؟ ومتى يأتي نظيره ؟ .

هيهات أن يأتي الزمان بمثله ... إنّ الزمان بمثله لضنين

ولعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً .

الإطراء عليه

ترجم شيخنا الإمام رحمه الله جمع كثير من المؤلفين في كتبهم ـ العربيّة والفارسيّة ـ وكلّ من ترجم له أثنى عليه بكل جميل وأطرأه بحسب فكره وعقله السليم ولا نطيل الكلام بذكر تلك المصادر وأساميها وأسامي مؤلفيها فإن الباحث المتتبع يقف عليها .

ويعلم كل احد انّ شيخنا الامام (ره) في غنى من اطراء الواصفين وثناء المادحين نعم نكتفي هنا نزراً يسيراً ممّا ذكروه وشطراً قليلاً ممّا سطروه ونذكر نص كلماتهم في حقّه رضوان الله عليه فعليك أيّها القارىء العزيز ممّا اخترناه من تلك الكلمات .

(**الكلمة الأولى**) كلمة شيخنا البحّاثة الأكبر المحقق الطهراني دام ظله في طبقات اعلام الشيعة ج ١ ص ٦١٢ ـ ٦١٩ فقد ترجم الشيخ (ره) ترجمة طيّبة جاءت خلاصة لحياته نذكر شطراً ممّا ذكره هنا بعين الفاظه قال دام ظله : وبعد عودته من القدس عرفت شخصيّته في البلاد الاسلاميّة وغيرها بشكل خاص ، وأخذ البريد يحمل إليه كتبا من الأقطار البعيدة والقريبة تشتمل على مسائل غامضة ومطالب عويصة في الفلسفة وأسرار التشريع ، كل ذلك بالاضافة إلى الاستفتاآت الفقيهّة من الفروع والأصول فكان يقوم بذلك بمفرده ولم تشغله هذه الأمور ولا مرجعيّته ولا تدريسه عن التأليف في المواضيع المهمّة اللازمة في بناء صرح الاسلام وهيكله المقدّس .

وقد سمت مداركه ونفذ فكره إلى أعماق الحقائق وأسرار العلوم والفضائل ، حتى تجلى ذلك في نفخات ألفاظه ورشحات أقلامه .

أمّا هو في خصوص الخطب والأدب والبلاغة والفصاحة فسبحان وائل حسث توسع في ذلك وضرب بسهم وافر منه ولا أغالي إذا قلت أنه أخطب خطباء الشيعة . وقد سجل الكثير من خطبه في مختلف المواضيع وشتّى المناسبات وأذيع على أمواج الأثير فقرع سمع القاصي والداني ؛ ودان له القريب والبعيد ونشر قسم منه في المجلاّت والجرائد . أمّا غيرته على الإسلام واهتمامه للإلفة وسعيه لاتفاق الكلمة فحدث عنه ولا حرج فقد بذل في ذلك طارفه وتلاده ، وسخى بمهجته في الله سالكاً اوعر السبل وأشق

المناهج ، ولم يترك طريقاً مؤدية إلى ذلك إلّا سلكها ولا باباً إلّا طرقه وله مواقف مشهودة اعترف له بها المخالف والمؤلف والعدوّ والصديق .

والحقيقة أنه من مجتهدي الشيعة الذين غاصوا بحار علوم أهل البيت (ع) فاستخرجوا من تلك المكامن والمعادن جواهر المعاني ودرارى الكلم فنشروها بين الجمهور ، وقد أدى رسالة جليلة قل من حصل له التوفيق فأدى مثلها حيث كان مطلعاً على التراث الروحي ، يختار منه ما يتفق مع القرآن والسنّة ، ويتناسب مع عقليّة الزمن وحاجة العصر (أ . هـ .) .

(**الكلمة الثانية**) عن العلاّمة الشيخ جواد الشبيبي (ر ه) ذكرها في آخر كتاب (الدعوة الإسلامية) الجزء الأوّل طبع بغداد سنة (**١٣٢٨**) هـ من ص (**٢١٧**) إلى ص (**٢٢٣**) قال ما هذا لفظه :

وأمّا صاحب الترجمة فحدّث عن البحر ولا حرج فهو وإن كانت قضيّة عمره ما تعدّاها إلى أضعافها صغرى آية في العلم والفضائل كبرى ، ومعجزة يقصر الفكر أن يحيط بها خبراً ، ركب جادة الجدّ قبل أن يقبل عارضه وخاض لجنّة الفضل قبل أن يشتد ساعده ، فأدرك ما أملته فيه مدارك العقول وأصبح والمعقول عنه منقول ، والمنقول بحمى إفادته معقول ، حمى الحقيقة وما لسنّه وراء الثلثين من العمر مجاز ، وجاء بمصنّفاته وهي لو أردنا بيان معانيها دلائل إعجاز ومناهل ورّاد ، ورياض روّاد ، فمنها هذه الدعوة البالغة بل الشمس البازغة بل الصواعق التي هي للباطل دامغة التي جمع فيها بين العقائد والأخلاق والحكم والآداب والفصاحة المعجبة والبلاغة المغربة ودقائق الفلسفة العقلانية وحقائق الحكمة الإيمانيّة وتشهد الخبرة والعبرة والإنصاف والتدبر ، أنّه ما سمح الزمان بمثاله ولا نسج أحد على منواله ولا وصف الإسلام واصف كوصفه ولا احتج له كاحتجاجه يشهد لك بذلك الجزء الثاني منه المتكفل بتلك الخطة ، المقصور على تلك العناية ، ونحن نستحث كل من يمتّ إلى الإسلام ولو بأضعف عرق وأرهن ربق على نشره وترويجه وإدمان النظر فيه غيرة لهذا الدين الأغرّ ودفعاً لما يتهدده من شرور أولى الشرّ بعواصم تستنزل العصم وعزائم تسمع الصم البكم ومصابيح تزهر بالهداية في ظلمات

هذا العالم فتبسط أنوار التوحيد على شرعة النبوّة وتنصب ميزان العدل مستقيماً للمعاد متوازن الكفة وتكشف عن أستار ورائها أسرار الإمامة مكتنة ونفائس الشرع مستورة ، فوصبح مجد المصنف أنّ العصر الحالي ليفتخر على العصر الخالي والقرون الأولى بمالىء السمع والبصر من هذا العالم المنشورة على النوع الإنساني ذؤابة علمه المسرجة لفتح حصون المعقولات ، كتيبة المسومة التي لا تسأم رداً عن غاية ولا إحجاماً عن مضمار أو رحماً بعثار (فهكذا هكذا وإلّا) فلا يشرع عامل قلمه في معترك المقال متكلم ولا يسبح في تيّار هذه اللجّة متبحر كيف وخائض غمراتها محمّد النعت الحسين الحجي .

بعلم فصّلته يد المعالي ... عليه وأحكمته له لبوسا
فجاز مجارى القمرين مجداً ... بجعفر جدّه وأبيه موسى

على أنّ نفسه العصاميّة لا ترى ذلك سبب تقدم وعلة رقيّ ما لم يستند إلى علوّ همته وشرف نفسه (فما كان سوى أن أتعب نفسه فأراحها) ألخ .

(**الكلمة الثالثة**) : عن مجلّة (المواهب) لصاحبها الفاضل الصارمي ذكرها بعد وصول نعي شيخنا الإمام (ره) إلى الأرجنتين = أمريكا الجنوبية = وقال ما هذا لفظه :

فاجعة الأمة

بفقيد العرب والإسلام المصلح الكبير الإمام المغفور له الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء .

إن أشر الخطب فلا روعةٌ ... وحسبنا الله ونعم الوكيل
إنّا إلى الله وإنّا له ... أوعظم الأمر فصبر جميل

(**الشريف الرضى**)

أجل لقد أشر الخطب ؛ وعظم الأمر ، ودهى المصاب ، وفجعت الأمّة العربيّة بمصلحها الكبير، وعلاّمتها الجليل آية الله الحجّة الإمام الشيخ محمّد

الحسين آل كاشف الغطاء ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

فجعت بـه ـ رضوان الله عليـه ـ وهي أحوج مـا تكـون إلى منهـل علمـه ومـورد هديـه ، وبثّ تعاليمـه الروحيّـة والوطنيّـة والأخلاقيّـة ؛ فكانت فـاجعة العروبة والإسلام بآية الله آل كاشف الغطاء فادحة . وكانت الداهية به دهيآء !!

لعمري : لقد يمـوت رجل السيـاسة المحنـك ؛ والإقتصادي الخبيـر ؛ والصناعي الشهير ؛ ويموت المخترع والمهندس والمفن وبطل الحـرب وقائـد الكتيبـة المقدام ؛ يمـوت كـلّ هؤلاء وغيـرهم فـلا تبخـل التـربـة ، ولا تعقم البطون ، فتعدم الأمّـة وجود أضـرابهم بين ظهرانيّهـا يشغلون الفراغ ويسـدّون المسدّ .

ولكن من يموت فيعزّ نظيره ويندر وجوده فلا تكاد تقع الأمّة له على ندّ ، ولا تكاد ترى له بين ظهرانيّها مثيلاً ولا عديلاً فهو في زماننـا هذا ـ زمن المـادّة الصمّاء ، زمن الشرّ والفساد والحديد والنار والـدينار ـ رجـل الخير والإحسـان والإنسانية الكاملة ؛ رجل الصلاح والسماح ، هو الفقيه بدينه ، العارف بربّه ، الخبير بأحكـام السنن النبويّـة والشرائـع الإلهيّة ؛ هـو المؤمن الموقن ، التقيّ الـورع ، الناصـح الأمين ، المجاهـد في الله والنـاس والنفس ، هـو من كـان مشتملاً على هذه الخلال الطيّبة والصفات الحميـدة كشيخنا آل كـاشف الغطاء ـ عطّر الله ثراه ـ لا تأخذه في جهاده في سبيل الحقّ لومة لائم ولا فريّة كـاشح واصم .

أجل : رزئت الأمّة ـ للأسف البالغ ـ بمنار هداها وعلم أعلامها كـاشف الغطاء ؛ فقدت به المصلح العربي الكبير ؛ والعالم المجاهد النحـرير ، كمـا فقـدت به الكاتـب اللوذعى والأديب الضليع والخـطيب الملهم العبقريّ ذلكم العلاّمة الإمام الّذي طبقت مآثره وغمـرت فضائله وعمّ نـائله ، فكان قـرّة عين الزمان والمكان والسكّان ، والّـذي ما عـرف سحابـة عمره الـطويل غيـر منهج الصـدق في القـول والعمـل منهجاً ، ولا ولـج غيـر بـاب الحقّ مـولجـاً وأمر به ؛قدّس الله سرّه ومكنّ له في ملوكته ، إن كان كذلك ، وهو من أصلب

خلق الله عقيدة ومن أمتنهم خلقاً ، وأسدّهم رأياً ، وأشدّهم حرباً ونقمة على أهل الظلم والعدوان والمعصية والكفران وكيف ؟ وهو الّذي أنبته الله نباتاً حسناً فأخذ نفسه منذ نشأتها بالصقل والتهذيب وتعهدها بالترتيب والتدريب ، حتّى أصبحت مرآة تتجلّى على صفحتها النقيّة المعارف والعلوم : علوم آل بيت الرسول (ص) أئمّة الهدى ومنائر الرشد ومصادر الحقّ والخير والجمال ، وحتّى أصبحت تشرق علّى جنباتها أشعّة سناهم وأسرار علاهم ، ولا غرو فشيخنا الراحل سقى الله مثواه ، إن هو إلّا ثمرة طيبة من ثمار علوم موالية ونفحة شذيّة من نفحات أئمّته الطاهرين المطهّرين الذين ما ورد غير موردهم العذب ، ولا صدر إلّا ونفسه الزكيّة ريّا من فيوضات حكمتهم وبحار علمهم وسحائب جودهم وفضلهم .

وهذه هي تآليفه الغزيرة المادّة الكثيرة التعداد الطافحة بالجهاد والسداد والرشاد تنطق بكبير فضله وجزيل برّه في سبيل الأدب والعرب ها هي ذي تتجلّى للأبصار بتصانيفه القيّمة البارعة : « الهدى إلى دين المصطفى[1] » « الدين والإسلام » و« المراجعات الريحانيّة » « الميثاق العربي الوطني » « الفردوس الأعلى » « المحاورة » « المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون » وغيرها . . . الّتي لا يسعنا عدّها لعدم إطّلاعنا عليها وجهلنا معرفة أسمائها . عملاً بقوله تعالى :

﴿ إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾

أولئك الطلّاب الذين يعدّون بالألوف الكثيرة ، والذين يؤمّون وردها النمير من أقاصي البلدان كأكبر جامعة في الشرق العربي تمنح الشهادات العليا في شتّى مناحي العلوم العربيّة والفنون العصريّة ولا سيّما في فقه موالينا آل البيت عليهم السلام ، فقه القرآن الشريف والشريعة الإسلاميّة الغرّاء .

تلك المدرسة العالية التي هو نفسه ـ رضي الله عنه ـ يصف جهودها في

---

(١) هذا الكتاب القيم من تصانيف العلامة الأكبر البلاغي (ره) لا من تصانيف شيخنا الإمام (ره) .

رسالته إلينا بعض الشيء ، هذه الرسالة الكريمة التي تشرّفنا باستلامها في الثاني من محرم الحالي في حين أن وصولها لدينا كان منتظراً في يوم عيد رمضان المبارك الفائت ، كما سيعلم قارؤ ها ولكنّه البريد والّتي ترانا نتشرف بنشرها عقيب هذه السطور . لا لما يتخلّلها من مدح خطة « المواهب » والثناء عليها ، هذا الثناء الجميل البليغ الذي لا تستحق بعضه بل كله ، وإن كانت استحقت عطف الإمام الفقيد وتشجيعه وتطوّله ، بل نتشرّف بنشرها كأثر شريف وكذكرى تاريخيّة خالدة ، اذ ربّما كانت آخر ما خطت أنامله الطاهرة من الرسائل ، كما انّ كتابه « المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون » ربّما كان آخر ما جرى به قلمه الشريف من التأليف ؛ ونرجّح هذا الظنّ بما نتبيّنه من تاريخ الكتاب وإرساله إلينا في البريد العادي لدن الفراغ من طبعه ، ومن تأريخ الرسالة الّذي هو في السادس والعشرين من رمضان اي قبيل إلتحاقه بالرفيق الاعلى ـ اكرم الله مثواه ـ ببضعة عشر يوماً .

نعم : وليطّلع القراء بهذه الرسالة على مقدار جهود هذا الفقيد العظيم في سبيل نشر العلم وتوزيع الثقافة العربيّة على الناس ومقدار خدماته الجلّى وتضحياته الضخمة في سبيل طلاّب معهده الغرباء المعوزين الذين كان يحدب عليهم ويتوجع لهم ويتمنّى على كل ذي عاطفة رقيقة وشعور نبيل حسّاس أن ينفق عليهم ويبرّ في سبيلهم . رحم الله آل كاشف الغطاء عداد حسناته ومبرّاته وهباته وعداد جهوده العليا في نصرة أمّته ووطنه الذين كان لهما خير نصير وخير معوان فلقد كان والله فرداً في أمته وأمّة في فرد .

وأحسن الله عزاء الآل والصحب والدين والدنيا بهذا المصاب الفادح الجلل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يوسف صارمي

بسمه تعالى شأنه وله الحمد

رسالة كريمة

من الأب الروحي فقيد العرب والإسلام الحجّة الإمام آية الله الشيخ الحسين آل كاشف الغطاء ؛ إلى ولده في الروح : يوسف صارمي صاحب مجلّة المواهب :

عزيز مصر الفضيلة ويوسف عصر الأخلاق النبيلة ، الصحافي الحرّ مشعل الغيرة في دنيا العروبة صارم الحقّ ولسان الصدق الأستاذ صارمي أدام الله مواهبه وأعزّ جانبه .

وردني كتابك الأغرّ ، ورقيمك البديع في طيّ عدد مواهبك الغراء التي لا تعدّ غرر أياديها ، ولا تحصى لوامع لئاليها فحمدناه تعالى على سلامة الأنامل الّتي تنظم تلك العقود وتبذل هاتيك الجهود في نثر تلك الدرر البوارق على صفحات المهارق وتجود بها مواهب تهذيب للبعيد والقريب .

ولا أزال شاكراً تلك العواطف الطافحة بالعوارف والمعارف وهديّتكم الثمينة لنا ولعموم المنتهلين من مكتبتنا العامّة في النجف الأشرف أدام الله هداياكم وهداكم وزاد مجدكم وعلاكم .

ذكرتم وصول نسخة من الفردوس الطبعة الثانية وقد عرّفنا سماحة السيد القاضي أنّه أرسل إليكم نسخة من تبريز هديّة لكم أيضاً فإذا وصلت تحتفظون بواحدة في مكتبتكم العامرة وتهدون الثانية لمن تحبّون من إخوانكم أو لإحدى الجمعيّات المباركة في بلادكم[١] وسوف نرسل ما أشرتم إليه عشرين عدداً منه في البريد العادي تدريجاً الإثنين أو الثلاثة ضمن دفعات إن شاء الله[٢] وطلبتم أن نعرفكم عن الثمن فليعلم عزيزي أعزّه الله أنّ القضيّة ليست قضيّة بيع وشراء بل هو منّا إهداء ومن إخواننا في المهجر تفضّل وسخاء وإحسان

---

(١) نعم ، وصلت دامت هداياه وبركاته فاحتفظنا بواحدة وأهدينا الثانية لأخ أديب غيور .

(٢) لم يصل لدينا منه حتى الساعة سوى تسعة أعداد .

ومعروف وتعاون على البرّ ، وثقوا جميعاً أنّي لا أتناول لنفسي فلساً واحداً[١] لأنّي بفضله تعالى في غنىً عن ذلك ، وكلّما تجود به أنفسهم الكريمة من الإحسان حسب الإمكان في هذا السبيل يوزع قوتاً لأبناء السبيل أعني طلبة العلم والغرباء في مدرستنا بالنجف الأشرف الذين لا يجدون للمؤنة وحفظ الرمق حيلة ولا يهتدون سبيلا ، ولو رأيتهم ليلة البارحة ليلة ٢٥ من شهر رمضان المصادف ليلة الجمعة وقد صنعنا لهم وليمة إفطار عشاء وهو أكثر من تسعين وفي حدود المأة ، ولو رأيتهم ساعة الأكل لرثيت لحالهم ولأبصرت مشهداً عجباً ؛ لأبصرت كيف يتهاوى الجياع على القصاع .

ولا غرو فقد يمرّ الشهر عليهم أو أكثر ولا يذوقون مضغة لحم ولا يقوتهم إلّا الخبز مع التمر الجاف أو لبن المخيض ، فأيّ برّ أفضل من البرّ بهؤلاء المهاجرين[٢] من أقاصي البلاد لطلب العلم من أعالي تبيت والصين وأفغان وغيرها فضلاً عن إيران وهند وباكستان ، وبعضهم يأتي من مسافة شهرين من بلاده هؤلاء يحملون معالم الشريعة الغرّاء إلى تلك الأقطار النائية واللغات الغريبة ويكون لهم بهذه المساعي أعظم الأجر ؛ والساعي في الخير كفاعله طبعاً بل شرعاً ، وأنّي أشكركم عن نفسي وعن السيد القاضي الطباطبائي وسوف أبلغه عواطفكم الكريمة بنقل كلماتكم إليه حرفياً .

وقد أرسلنا إليكم بالبريد العادي رسالة « المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون » عرّفونا وصولها ؛ وربّما يصادف ورود رسالتنا هذه في أسبوع عيد الفطر إعاده الله عليكم وعلى جميع إخواننا المسلمين ولا سيّما إخواننا في المهجر بالسلامة والعافية والخير والبركة إن شاء الله .

والله يحفظكم ويرعاكم بعنايته وبدعاء الأب الروحي

« محمّد الحسين آل كاشف الغطاء »

---

(١) حاشى لله .

(٢) سنبذل الجهد في هذا السبيل الخير بين إخواننا هنا أهل البر والمعروف إن شاء الله . صارمي .

من مدرستنا بالنجف الأشرف ٢٦ رمضان ١٣٧٣ هـ .

أنظر مجلّة (المواهب) عدد ٣ و ٤ السنة العاشرة ـ ذو القعدة وذو الحجّة سنة (١٣٧٣) هـ الصادرة في (بوئنوس ايرس) من الأرجنتين[١] أميركا الجنوبيّة .

هذا آخر ما وفقنا الله تعالى إليه وأتاح لنا من كتابة تأريخ حياة شيخنا الإمام (ر ه) على حسب ما سنحت الظروف ووسعت الفرصة .

وراجعنا في تأريخ ترجمته إلى طبقات أعلام الشيعة ، ومجلّة العرفان الأغرّ المجلد (٤٢) العدد الخاص بالعراق وشعراء الغرى المجلد ٨ ، ومقدمة الفردوس الأعلى ، وكلمة المرحوم الشبيبي في آخر الدعوة الإسلامية وغيرها .

وبعد ذلك نشرع لنقل المقدمة التي كتبها بقلمه الشريف لكتابه « جنّة المأوى » وبعدها نشرع لنقل المواد والمطالب التي نالتها أيدينا منها ممّا تيسّر لنا جمعها من المواد التي كان من قصده نقلها وتأليفها في ذلك الأثر الخالد . إن شاء الله تعالى والله الموفق .

محمّد علي القاضي الطّباطبائي

(١) ARGENTINA .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة المؤلف

ربّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين وإجعل لي لسان صدق في الآخرين وإجعلني من ورثة جنّة النعيم ، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين .

ذكرنا في مقدمة (الفردوس) رغبتنا بعد إصداره بأن نشفعه بجزء ثانٍ يكون عنوانه (جنّة المأوى) خاصّة بالائمة المعصومين وجدّهم سيّد المرسلين أو يكون أكثره فيهم ممّا سبق صدوره منّا حسب المناسبات والظروف الخاصّة والطلبات الملّحة من أرباب الصحف وغيرهم من رؤس الجمعيّات والنوادي والحفلات الّتي تعقد بمناسبة ولادة أو شهادة ، وأعياد دينيّة أو مذهبيّة كعيد المولود النبوي أو عيد الغدير أو عيد ولادة الأمير (ع) وما إلى ذلك من الأفراح والأتراح وفاقاً لقولهم سلام الله عليهم (شيعتنا منّا يفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا) ، وحيث أنّ تلك الآثار التي رشح بها يراعنا قد ذهبت منّا شعاعاً ولم نحتفظ لا بالأصل ولا بالصحف التي نشرت فيها ، ولم يبق عندنا إلّا أوراق مبعثرة في أماكن متفرقة ، وكنّا نحسب موادّه جاهزة لا يعوزها سوى النظم والترتيب ، واستبان بعد المراجعة أنّ جمعها يحتاج إلى عمل شاقّ وجهود متبعة وفراغ متّسع ؛ فكيف نتّجه إلى ذلك وقد ضاق وقتنا عن أعمالنا الضروريّة وأشغالنا اليوميّة من المراجعات وأجوبة الكتب والإستفتاءآت والشفاعات وقضاء الحاجات ، وفصل الخصومات كلّ هذا والأكثر منه يستغرق

ليلي ونهاري ؛ ويستوعب حركة أقلامي وأفكاري ولا يدع لي نصيباً من الراحة لا في قليل ولا في كثير ، فحياتي كلّها عناء وإفلاس إلّا ما هو وقف على مصالح الناس ، ولكن أتراني مع هذا كلّه يتبقى لي شيء من الأمل للقيام بذلك العمل أضف إلى ذلك العمر العتي وتراكم العلل ومن ثمّ أوشك أن يستولي اليأس على عزائمنا المتحجرة فيجعلها كالهباء المنتشر ، وقلت كيف لي وأنّى ولا يدرك المرء كلّ ما يتمنّى (وكم حسرات في نفوس الكرام) .

ولكنّ السادة الأشراف من أسرة القاضي الطباطبائيّين الّذين لم تنزل لهم الزعامة الروحانيّة في عاصمة آذربايجان (تبريز) منذ أكثر من أربعة قرون وما أندر ما يستمرّ العلم والشرف في أسرة تجد كلّ مخائل النجابة في كلّ واحد من أبنائها محتفظة طول تلك المدة بشرف أجدادها وآبائها (من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم) .

تبرز في تبريز من هذه الأسرة الجليلة[1] منذ زهاء خمسة قرون العلماء والقضاة وشيوخ الإسلام ، وكان لهم المقام الرفيع عند سلاطين الصفويّة والسفارة إلى ملوك الدول الإسلاميّة كالحجاز وتركيا وغيرهما ، ولبعض الأعلام منهم صلات وشيجة وعلائق ودّ متينة ومراسلات ثمينة مع جدّنا الأعلى كاشف الغطاء وولده جدنا الأقرب موسى بن جعفر كما ألمع إليه في تعليقات (الفردوس) نبغة دوحتهم ونجعة سحابتهم الأخ العزيز العلّامة الحجّة السيد محمّد علي القاضي دامت بركاته ، وهو أيده الله مع إبني عمة الأماجد الكرام السيد المحترم سيد علي القاضي والسيد الأديب السيّد محمّد حسين الطباطبائي أطال الله أعمارهم كما أطاب أعمالهم تقديراً للعلم والمعارف

---

(١) من أراد الإطلاع على تاريخ أسرتنا وتراجم رجالها فعليه بالرجوع إلى الكتب التي أوعزنا إليها في ذيل صفحة ١٧ من هذا الكتاب وغيرها كتاريخ (عالم آراء) وحبيب السير ورياض العلماء وروضات الجنان للحفاظ حسين التبريزي المتوفي (٩٩٧) هـ ق وهذا الكتاب الأخير سيطبع بتصحيح وتعليق صديقنا الفاضل المحقق (آقاميرزا جعفر) سلطان القرائي التبريزي إن شاء الله تعالى .

الإسلامية ونظراً إلى تلك المودّة الوراثيّة (وما في الأباء يسرى إلى الأبناء) بعد أن أنجزوا الطبعة الثانية (للفردوس)[1] بتلك الحلّة القشيبة وبتلك

---

(١) لما تم طبع كتاب (الفردوس الأعلى) = الطبعة الثانية = وانتشر في إيران والعراق وغيرها نوه به من العلماء وأرباب الأقلام النزيهة في الصحف والمجلات ، وجاء في مجلة (المواهب) لصاحبها الفاضل الصارمي الصادرة في (بوئنوس ايرس) من الأرجنتين (أميركا الجنوبية) ما هذا نصه : (الفردوس الأعلى) = طبعة ثانية = تأليف سماحة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

كان سبق لنا فنفحنا قراء « المواهب » الكرام في عددها ٩ و ١٠ من سنتها الثامنة ، بنشر فصل من « الفردوس الأعلى » ـ بعض أسرار الحج ـ لدن إن كان تطول آنذاك مؤلفه البارع الأكرم بإهدائنا نسخة منه ، بعد أن كنا مهدنا له بكلمة عبرت بإيجاز من رأينا الضعيف في « سفر » آية الله المجتهد الأكبر سماحة علامتنا الأجلّ الإمام حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء مد الله بعمره هدى للمؤمنين ورحمة للعالمين .

هذا السفر الجليل « الفردوس الأعلى » الذي وضعه مؤلفه الأعلم الأفقه سنة ١٣٧١ هجرية ، على صاحبها وآله الصلاة والسلام في أيدي القارئين وأعين المستبصرين ، سراجاً وهاجاً ، يغوصون به في أعماق بحار العلم والعرفان ، فتستضيء عقولهم وتستنير أفهامهم ومداركهم .

وها إننا الآن ، وقد تشرفنا ثانية بإهداء نسخة جديدة من الطبعة الثانية لهذا الكتاب الشريف ، المزدانة ببعض الزيادات والتنقيحات بقلم سماحة المؤلف ، والمطرزة الحواشي بتعليقات قيمة وضيئة واسعة البيان عظيمة النفع ، بقلم حضرة المجتهد الكبير العلاّمة المفضال الثقة السيد محمد علي القاضي الطباطبائي التبريزي (إيران) معيد طبعه ونشره بإجازة من جناب المؤلف الكريم عام ١٣٧٢ هـ . ونفعنا الله بعلمهما في الدنيا والآخرة ووفق ملة الإسلام إلى الأخذ بهديهما ورشادهما وتقواهما .

هذه الطبعة الثانية ، الحسنة الوضع ، المتقنة الطبع ، الكريمة الأصل والفرع ، التي يسرنا أن نعود فنعطر أنفاس القراء منها بشذى الفصل التالي (بعض أسرار الصوم) ، والتي أبى العطف وكرم الأخلاق والنبل على ناسج بردتها ، آية الله كاشف الغطاء ، وعلى معيد طبعها ونشرها أستاذنا الجليل القاضي الطباطبائي ، إلا أن يزيد أنابها تشريفاً وتفضلاً وعناية بأن أثبتا بصدرها ، بعد قدمة الناشر الفاضل ، كلمة « المواهب » بالطبعة الأولى ، كما أثبتا في كلمتي زميلتنا المجاهدتين في عاصمة الأرجنتين « العلم العربي » و « الرفيق » .

وهذا منهما أيدهما الله ، يد غراء ، وتطول وإحسان وأنعام ، نعود فنكرر عظيم شكرنا لهذه الهدية الثمينة . بل هذه التحفة الفريدة النادرة المثال في زماننا هذا .

ونعود أيضاً فنهنيء رواد العلم بهذا الينبوع الجديد الصافي الذي تفضل به عليهم سماحة الإمام كي ينهلوا من معينه ويعبوا من فيضه قال : ألخ . أنظر مجلة « المواهب عدد (٩) من =

الصورة الفائقة من كلّ النواحي اقتضى كرم طباعهم وتعشّقهم لنشر المعروف والمعارف أن يشفعون المكرمة الأولى بثانية ، فألحوا عليّ بإرسال جزؤات الجزء الثاني (جنّة المأوى) للشروع في نشره وطبعه على غرار طبع الجزء الأوّل ، ولمّا تظافر الطلب منهم وأنست منهم صدق الرغبة وإخلاص النيّة والقصد لا لشيء سوى وجهه تعالى والنفع العام وخدمة الإسلام ولم أجد بدّاً من الإجابة مهما كلّفني الأمر من المشقة والعناء والتعب والإعياء .

ولكن خطيرات المهالك ضمنّت   لصاحبها أن الجزاء خطير

فاتجهت إلى عيابي وحقائب مهارقي وأوراقي فاستخرجت منها ما لعلّه يدخل في الموضوع الذي نحاوله ، وأعانني على جمع متفرّقاتها بعض السادة الأفاضل المتّصلين بنا . . . . . دام توفيقه ، ثم جعلت لهذه الجنّة (ذريعتين) في كلّ ذريعة وسائل ، ففي الأولى أربعة عشر لكلّ واحد من المعصومين

= سنتها التاسعة ، رجب ١٣٧٣ هـ ص ٦ ـ ٧ .
وجاء في مجلة « الغرى » الصادرة في النجف الاشرف لصاحبها العلامة الاستاذ شيخ العراقين آل كاشف الغطاء = عدد = ١ = من سنتها السابعة عشرة ١٨ رجب سنة : (١٣٧٤) هـ ما هذا لفظه ص ٢٩ :
الفردوس الأعلى تأليف المغفور له الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره لقد طبع هذا الكتاب لأول مرة في مطبعة الحيدرية لصاحبها الأستاذ محمد كاظم الكتبي في النجف سنة ١٣٧١ = ١٩٥٢ م يقع في ٢١٦ ص ولنفاذ الطبعة الأولى وكثرة الطلب من الرواد عليه ، قام سماحة العلاّمة الشهير السيد محمد علي القاضي الطباطبائي من أشهر العلماء في تبريز تبرعا منه ومن بعض إخوانه المؤمنين من أهل التقوى والصلاح وفقهم الله بخدمة الدين الحنيف فطبع مرة ثانية بمطبعة (رضائي) في تبريز سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م يقع في ٣٠٨ ص جميل الطبع صقيل الورق ، وفي مقدمته (بيان) بقلم العلامة السيد محمد علي السالف الذكر ، ذكر فيه آراء العباقرة في الأرجنتين وصحف المهجر والعراق وبقية الممالك العربية وأدبائها حول الكتاب بالإضافة إلى بذل مجهوده في تعليقاته النفسية وشرحه الوافي يدلك على سعة علمه واطلاعه وتتبعاته فنلفت أنظار القراء لاقتنائه . (ا . هـ) .
وأنظر إلى مجلة : (مسلمين) الصادرة في طهران = عدد (١٠) سنة ١٣٧٥ هـ ص ٢٠ وإلى مجلة : (يغما) الصادرة في طهران = عدد ٧ من سنتها الثامنة سنة ١٣٣٤ هـ ش ص ٣٣٢ . وإلى جريدة : (توحيد أفكار) الصادرة في تبريز لصاحبها الدكتور مجتهدي عدد ٧٢ سنة ١٣٧٣ هـ (٨) اسفند ١٢٣٢ هـ ش . =

وسيلة[1] ونشير في كلّ واحـدة منها إلى (المعجب) (المعجـز) من صاحب تلك الوسيلة ثمّ نذكر ما عثرنا عليه من كلماتنا القديمة بشأن ذلك من ولادته أو شهادته أو غير ذلك .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) ولكن المـوت حجـز بين راحلنـا العـظيم وبين إنجـاز تصميمـه الفني لهـذا الكتـاب : « جنّـة المأوى » . وبما أن مواد الكتاب كانت جاهزة في أوراق مبعثرة وموارد متعددة أحببنا إبرازها من زاوية الخفاء إلى عالم البروز والنشـر ولو بغيـر ذلك النـظم والترتيب الـذين كان في نـظر الإمام المؤلف . فإن الميسور لا يترك بالمعسـور ولأن كل أثـر جاد بـه يراعـه الشريف مفيـد وكل من يطالع مؤلفات شيخنا الراحل يستفيد فإن نميره عذب سائغ للشاربين .

كلمة مجلة "الغري" الصادرة في النجف الأشرف

الإمام المصلح الكبير الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء دام بقاه أعرف من أن أعرّفه إلى العالم البشري عامّة والعالم الاسلامي في آفاق الدنيا خاصّة هو مجموعة كمال حاطت بشتّى العلوم ؛ وقد حاز الأعلميّة الّتي تستوجب أن تلقى إليه مقاليد العالم الإسلامي في التقليد ، هو مضافاً إلى كلّ ذلك لقد عرف بجهاده المستميت حول فلسطين المنكوبة ، وإنقاذها من جراثمة اليهود الّتي أخرجتها (إلمانيا) من مملكتها ؛ فأصبحت أيدي سبأ في بقاع الأرض ، كالأنعام بل هم أضل سبيلاً في قيد الأسر والإضطهاد يتطلّبون الصاع فلم يجدوه ، فجمعوا شتاتهم واستعدوا بعدّتهم فكادوا كيدهم وكوّنوا كيانهم والمسلمون نيام لا يفيقون ولا يفقهون ، فأخرجوهم من أوطانهم وديارهم بعد تشتّت كلمتهم وعدم إعتصامهم في مقابلتهم فخلا الجوّ للصهاينة في الأرض المقدّسة .

ما القدس يحفظ أهله ... وبها سرى السمّ الأفاعي

فشتّوا المسلمين في الأرض أيّما شتات ، ونال الصهاينة بخذلان المسلمين أشنع التجاوزات والتعدّيات ، حيث لم يجدوا في المسلمين فكرة ولا نهضة ولا دفاع .

لا نهضة دينيّة ترجى ... ولا للحقّ راعى

ما الأمر إلّا غلبة والسيف أحسم للنزاع
قرّى على ضيم الهوان وشاطرى ذات القناع

ولم يزل سماحة الإمام يدافع عن فلسطين وأبناء الضاد بقلمه وخطبه وكتبه في كلّ حركة أو دعوة يبثّ بها روح الإصلاح والإعتصام بالوحدة والدلالة على أهدى السبل الإصلاحيّة النافعة للمسلمين ولعامّة الحكومات العربيّة بندائه وخطبه وآثاره العلميّة والأدبية الّتي ملئت الأسماع والقلوب والصحف والمجلّات الأجنبيّة والعربيّة وأنّه لفي الطليعة من المجاهدين والعلماء الأعلام ؛ سرعان ما تتأثر نفوسهم والعالم الإسلامي بأقل رشحة من رشحات قلمه وكلماته الروحيّة الخالصة لله سبحانه وتعالى لا يرجو منها إلّا الأجر والثواب ؛ والخدمة لدين محمّد (ص) وتأييداً لشريعته السمحاء ، فإقرء أيّها القاريء الكريم كلمته الّتي تفضّل بها على مجلّة (الغرى) ، بمناسبة المولد النبويّ (ص) تجدها حجّة ناطقة بصحّة ما ذهبت إليه ، ولا بدّ للقاريء أن يلمس بعد نشرها الأثر العظيم والحركة الإيجابيّة من المسلمين عامّة ومن أبناء الضاد خاصة (الغرى)[1] .

العدد ـ ٣ ـ السنة ١٣٧٣ هـ النجف الأشرف .

(١) « الغرى » مجلة أسبوعية راقية أدبية ثقافية تصدر في النجف الأشرف بالعراق ، وتسعى في تنوير الأفكار بالأشعة الدينية والعلمية والأدبية وخدمت منذ سنين متطاولة على المجتمع بنشر العلم والحقائق وبث مزايا الدين الإسلامي ، والسعي في إصلاح التربية الأولية وغرس أصول الفضائل والأخلاق في نفوس الشبيبة فإن حياة الأمة بصلاح أبنائها وإصلاح نفوس شبيبتها ، ونحن نقدم الشكر والتقدير إلى صاحبها سماحة العلاّمة شيخ العراقيين آل كاشف الغطاء المحترم بما لاقاه في جهاده وجهوده الجبارة في سبيل الإصلاح وخدمة الإنسانية من المشقات والآلام الروحية ونسأل الله تعالى التوفيق له في تلك الخدمات الدينية والإجتماعية والله الموفق .

بسم الله الرحمن الرحيم

المولد النبوي صلّى الله عليه وآله

صدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾[1] .

في هذا الشهر المبارك شهر ربيع الأوّل الّذي قد يطلق عليه شهر النور وشهر المولود المبارك لاتفاق المسلمين على أنّ أحد أيّامه نزلت الرحمة من السماء إلى الأرض ، وانبثق النور الإلهي من الملأ الأعلى ، أشرقت الدنيا كلّها بنور ربّها ، وجاء من ربّ العالمين سيد الأنبياء والمرسلين بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى سطح هذه الكرة حفنة تزعم أنّها من البشر وليست هي من البشر ، وتسمّي أنفسها بالمسلمين وما هي من المسلمين ، تقيم الإحتفالات وتضع المهرجانات تكريماً وتعظيماً لهذا المولود المبارك الّذي تقول : إنّه نبيّ الرحمة ، وإنّ الله أخرجنا به من الظلمات إلى النور ، فيجب علينا إظهار الفرح والسرور وإعادة تلك الذكريات العليّة الطيّبة .

نعم يحتفل المسلمون بعيد مولد نبيّهم الأعظم في هذا الشهر ، ولم يكن شيء من هذه الإحتفالات في القرون الأولى يوم كان الإسلام في أوج

(١) سورة ١٥ آية : ٤ .

عـزّه وبرج رفعتـه وعظمتـه ، يوم كـان المسلمون يعـرفون حقّ المعـرفـة معنى الإحتفال الصحيح لمولد نبيّهم (ص)[١] .

الإحتفال الصحيح الّذي يبتهج به النبي (ص) ويسرّه هو الأخذ بتعاليمه وإتباع سنّته والعمل بقرآنه ، الإحتفال الصحيح أن يكون المسلم مسلماً حقيقة ومعنى لا صورة ولفظاً ، وقد جعل سلام الله عليه للمسلم علامات كثيـرة أقلّها وأوّلهـا أن يهتم المسلم بـأمـور المسلمين حيث قـال : « من لم يهتمّ بـأمـور المسلمين فليس من الإسلام بشيء » . وعلى ضوء هذه القاعدة يجب أن نمتحن أنفسنا ونضع في الميزان إسلامنا ، ها هم اليهود في كلّ شهر أو كلّ يـوم تشنّ الغارة على قرية من قرى المسلمين في فلسـطين تقذفهم بـالقنابـل الجهنميّة ، وتنسفها نسفاً وتذرها قاعاً صفصفاً ، وتهلك تحت أنقاضهـا ومبانيهـا جميع من فيها ، يصنعون بالمسلمين ما لم يصنعه حتّى فرعون مع آبائهم بني إسرائيل ، فإنّه كان يذبّح أبنائهم ويستحي نسائهم ، أمّا بنوا إسرائيل اليوم فيذبّحون بالنار والحديد الرجال والنساء والأطفال ، وتتكرّر هذه العمليّة منهم في كلّ سنة عدّة مرّات وهم بين سمع المسلمين وبصرهم وبين سبع دول كلّ واحدة تـزعم أنّها مسلمة ، وهي مشغولة بنفسها لا يهمّها من أمر أولئك المساكين مقدار بعوضة ، وهكذا الحال مع المسلمين في المغرب العربي وما تعاني.تونس ، ومراكش ، والجـزائر من فـرنسا من الشنق والحـرق والإعـدام لأولئـك الأحـرار الكـرام ، وأعطف بنظرك ثـانياً أو ثـالثاً إلى المحميـات التسع وعـدن واسمع إن كنت ذا سمع وبصر ما يصنعه الإستعمار الجبّار في مسلمي تلك الديار من الإستيصـال

---

(١) كـان المسلمون في الـزمن الغابـر جلهم إن لم نقل كلهم آخـذون بالحقـائق وعاملون بـالـدين ورافضون التظاهـرات والإحتفالات الصـورية ولكن اليـوم صار الأمـر بالعكس لا يعـرفون معنى الإحتفال الصحيح كما صدع بـه شيخنا الإمـام (ره) وقد رفضـوا الحقائق وأخـذوا بالـظواهر ، وإني أتعجب من بعض الإحتفـالات المنعقدة في إيـران ولا سيما في بلدنـا تبريـز حيث يجتمع فيها بعض الأشخاص الذين لا يحضرون في المجالس الدينية ولا في المساجد الإسلاميـة طول السنة أصلاً حتى في الأيام المتبركـة والليالي المبـاركة ولكن في الإحتفـالات ومجالس السـرور فهم فيها حاضرون وفي الإجتماع فيها فرحون ولذا تشمئز نفسي بالحضـور في تلك الإحتفالات فـراراً من المجالسـة مع هؤلاء الأشخـاص الذين لا يعـرفـون من الـدين إلا الحضـور في تلك المجالس وأما في سائر الأوقات فهم من أرباب السمر والمجون والملاهي .

والدمار، يقولون : إنّ عدد المسلمين أجمع على أقلّ تقدير أربعمائة مليون، فلو أنّ الربع من هؤلاء كانوا مسلمين حقّاً وكان فيهم أقلّ علامات المسلم وهي الإهتمام بأمر إخوانهم المسلمين لأنقذوهم من تلك المهالك ، ولو أنّ ما ينفقه المسلمون في هذه الإحتفالات من الأموال ، وما يبذلونه في المواليد من مصر وغيرها ليس في مولد النبي (ص) فحسب بل في مواليد مشايخ الطرق : كالبدري ، والأحمدي والدسوقي وأمثالهم ، وما يتفاخرون به من البذخ في السرادق والأضوية الكهربائيّة والمشروبات الكحوليّة وغيرها ، لو تجمع هذه الأموال وترسل إلى المشرّدين من عرب فلسطين فتحفظ ما بقي من رمق حياتهم الّتي أصبحت رهن وطأة الزمهرير والمطر الغزير ، وتمدّهم بالسلاح والعتاد وتحفزهم إلى الجهاد ، أما كان خيراً للمسلمين من تلك الأعمال الّتي ما كان المسلمون يعرفون شيئاً منها في العصور الأولى ، وما تأخّر المسلمون واندحروا وأوذلّوا إلّا من العصر الذي شاعت وانتشرت فيه هذه المحدثات الّتي أماتت العزائم وسلبت من المسلمين كلّ الحميّة والغيرة ، ولو أنّ ما يبذله العرب بل عموم المسلمين كلّ ليلة على الملاهي وفي المقاهي والخمور والفجور والمقامرات يجمعونه لإنقاذ فلسطين عوض أن تتسرب تلك الأموال إلى جيوب الأجانب والمستعمرين فتعود وبالاً علينا وسلاحاً للفتك بنا ولو أنّ الحكومات العربيّة بل الدول الإسلاميّة منعت رعاياها من صرف الأموال في تلك الموبقات ، وأنفقتها في تلك المهمّات لحازت الوزن الثقيل بين الأمم وسعدت هي ورعاياها ، وأشهد بالله شهادة حقّ لو كان عند المسلمين ذرّة من الغيرة والإسلام بمعناه الصحيح لما صبروا وتطامنوا لهذا الذلّ والصّغار وتحمّل الخزى والعار، ولما أبقوا على وجه الأرض صهيونياً يذكر نعم وما أصدق قوله سلام الله عليه : ما كره قوم طعم الموت إلّا ذلّوا .

وزبدة المختصر والحقّ المحض أنّ البليّة ما أشعل نارها على فلسطين إلّا الحكومات العربيّة ، فهي أصل الداء ، ويجب أن يكون منها الدواء ، ولكنّي أخشى أن تأتي هنا كلمة أمير المؤمنين سلام الله عليه لأهل العراق عموماً أو لأهل الكوفة خصوصاً حيث يقول لهم : (أريد أن أتداوى بكم وأنتم

دائي كناقش الشوكة بالشوكة وضلعها معها) ، وإذا لم تبادر الحكومات العربيّة الّتي يعبّر عنها الصهاينة بالدعائم السبعة المنهارة تارة وبالفئران السبع أخرى ، وأمامها (هرّ) يريد أن يبتلعها ، فإذا لم يحفزها كلّ هذا التحدي إلى الوثبة وتعجيل الضربة ، وتمادّت على المماطلة والتسويف كرامة لسواد عيون أسيادهم ذوي العيون الزرقاء ، نعم إذا تمادوا في حبال هذا الوبال كان لزاماً على الشعوب العربيّة أن تنهض وتشق الطريق بنفسها لتأخذ ثأرها وتغسل عارها ، فأمّا موتة حرّ شريفة او حياة نظيفة :

فأمّا حياة تبعث الشرق ناهضاً ... وإمّا ممات وهو ما يقرب الغرب[1]

وبعد ذلك يحسن منها أن تقيم الإحتفال بالمواليد النبويّة والأعياد الإسلاميّة ، أمّا في هذه الحال فحقّ عليهم إقامة المآتم ، ولبس الحداد والتمائم ، ولا شك أنّ رسول الله (ص) يطل عليكم أيها الناس من سماء عليائه ساخطاً عليكم في هذه الإحتفالات الزائفة الّتي ما هي إلاّ لهو ولعب ، وتيقّنوا أنّكم إذا لم تتداركوا هذا السيل الجارف من البلاء فلا شكّ أنّ مصيركم جميعاً إلى الفناء ، ولا يبقى للعرب ذكر إلاّ في التاريخ الأسود لا غير ، وتصحّ فيكم الأية الّتي إفتتحنا بها كلمتنا هذه : ﴿ ذرهم يأكلوا أو يتمتعوا أو يلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ ، هذا هو الإحتفال الصحيح لعيد المولد النبوي (ص) .

---

(١) رأيت هذا البيت في ضمن ثلاثة أبيات بخطه قدس سره وهي من أشعاره وأولها :

ولي كل يوم موقف ومقالة * أنادي ليوث العرب ويحكم هبوا ، ثم ذكر البيت المذكور ثم قال : وقفت على إحياء قومي براعتي * وقلبي وهل إلا البراعة والقلب ، كما ذكرناها في المقدمة .

مَولد النبي الكريم وبعثته(١)

وأنت لمّا ولدت أشرقت الأر ضُ وضائت بنورك الأفق(٢)

في أخريات القرن السادس من ميلاد المسيح (ع) كانت الأرض بؤرة فساد وضلالة ، وحمأة طيش وجهالة ؛ من بغي عدوان وعبادة أوثان وحروب طاحنة ؛ وأحقاد ملتهبة وغارات متواصلة ، ليس في ظلمتها المتراكم بعضها على بعض بصيص من نور هدى ولا بارقة أمل في سداد .

لا جرم أنّ الإنسانية بروحها الطاهرة ونفسها المجرّدة عن سلطان الهوى والشهوات كانت تعجّ وتضجّ إلى بارئها أن يبرّ بها ويبرئها ويعطف عليها فيبعث

(١) لخص هذا المقال النفيس من كتابه : (الدين والإسلام) الجزء الثالث ـ المخطوط ـ المختص بحياة الرسول العظيم (محمد) (ص) وأهل بيته (ع) وأما الجزء الرابع منه فمختص بالتشيع ، وهو من أنفس مؤلفات الإمام الراحل ، ولم يطبع إلى الآن ، وقد طبع منه الجزء الأول والثاني فقط ، وقد نشر هذاالمقال في مجلة : (الإعتدال) النجفية في العدد ـ ٦ ـ السنة الأولى ـ لصاحبها الأستاذ الكبير محمد علي البلاغي في سنة : (١٣٥٢) هـ .

(٢) هذا البيت للعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وبعده قوله :

فنحن في ذلك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد نخترق

أنظر الأنوار المحمدية للنبهاني ص ٢٥ ط بيروت .

نقل إبن منظور في لسان العرب البيت الأول ثم قال : يقال ضاءت وأضاءت بمعنى أي استنارت وصارت مضيئة . أنظر اللسان ج ١ ص ١٠٧ ط مصر .

لها من يبلسم[١] جراحها ، ويصف لها صلاحها ويدلّها على سعادتها الدائمة وحياتها الخالدة ، ويحكم فيها سلطان العدل والعقل فيصلح الفاسد من كلّ نواحيها ، ولا ريب أنّ الربّ ـ جلّ شأنه ـ ما خلق الإنسانيّة ليرمي بها في تيار من الشقاء تتقاذف بها أمواجه ، وتترامى بها أعاصيره طول الأبد ، بل خلقها للنعيم والسعادة ، وللهنا والرحمة ونعمة الخلود في الأبديّة هنالك حيث الحرَّة[٢] السوداء والجبال الجرداء والحجارة الخشناء والعرصات القاحلة والرمال الملتهبة ، هناك حيث لا زرع ولا ضلوع ولا شجراء ولا نضراء ، هناك بين أطواد تهامة وجبال فاران وربوات حوريث وساعير ، هناك من جوامع الجبروت وصوامع الملكوت وغيب الغيوب وسرّ الهويّة الاحديّة وأعماق الابديّة وأمواج العناية الازليّة ، هناك في غسق الليالي المدلهمّة وحنادس الجهل والجاهليّة هناك في الوسط الذي أماته الجهل وأعياه الهوى وسخّره سلطان الشهوات واستحكمت فيه غرائز الرذيلة .

هناك انبثق بركان[٣] من النور الإلهي والقبس الربوبي فبزغت أنوار شمس المحمّديّة (ص) وهبّت في الأكوان نسمات البشرى بحامل مشعل السعادة الأبديّة .

ها إن محمّد (ص) (ولذكره المجد والشرف) قد وجد وولد ونمى ونشأ يمثل روح الأخلاق الفاضلة في أبّان صباه ، وريعان شبيته وفي جميع أطواره وأدواره منيعاً وديعاً ، أميناً رزيناً ، عفيفاً شريفاً ، فكوراً وقوراً ، قويّ الإرادة عظيم الهمّة ، فحل العزيمة ، دقيق الإحساس رقيق العواطف ، رحيم القلب حليم النفس ، جميل الصورة حسن السيرة ، مغناطيس النفوس محبوب القلوب ما كذب قطّ ولا خان ولا مان ، ولا مكر ولا غدر ، ولا سجد لصنم ولا انثنى لوثن كلّ ذلك وما إليها من السجايا الغالية والمزايا الباهرة والمعارف السامية كانت طباعاً لا تطابعاً ومواهب لا مكاسب ، من غير معلّم ولا مرشد ،

---

(١) البلسم : مادة صمغية تضمد بها الجراحات .
(٢) الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .
(٣) البركان : جبل النار ، أنظر المنجد ص ٣٣ ط ٩ .

ولا مربّ ولا مدرب ، ولا مدرسة ولا مدرّس ، ولا مطالعة كتب ولا مراجعة صحف وكأنّه قبل أن يتجاوز شعوب مكّة قد عرف كلّ الشعوب وخبر أحوال الأمم وسبر طبقات البشر . ودرس نفسيات الخلائق وقلبها بحثاً وعلماً فعلم ما هي أدواء البشريّة وما عللها وامراضها ، وما هو دوائها وعلاجها وما هـو السبيل إلى رحمة تلك الانسانيّة المعذّبة وتخليصها من قديم شقائها ومزمن دائها .

ثمّ أنّ محمداً (خلّد الله شريعته وأعلى كلمته) عندما بلغ أشدّه واستوى جدّه وشاع في أحياء العرب أريج ذكره ، واستبحـر في الأرض خليج فخـره ، وبدا للحاضر والبادي عظيم شأنه ورفيع شـأوه ، ووقف قومـه على منيع مقـامه وبازخ أعلامه حتى إذا قرب من الأربعين طفق يطلب الخلوة لنفسه ويعتزل عن أبناء جنسه وصار يترهّب تلك الرهبانيّة الصحيحة الّتي لا تَجْحِف بواجب شيء من النفس أو البدن ، بل تعطي كلا من التكميل قسطه وتوفي بحسبه شـرطه ، وتستوفي حظوظها منه على مدرجة الصواب وأحسن الإنتخاب والإستقامة على حد المركز والوسط والإعتدال بين الأطراف من غيـر ميل ولا انحـراف ، وهذه أوّل ترشيحة الوحي وترشحـة للنبوّة ، وتـأهّل البعثة وتسديـد من الغيب فجعل ينقطع ويتجرّد ويروح إلى معلّمه الروح المجرد[1] ويقيم خارج البلد في شعب

---

(١) قال أمير المؤمنين سلام الله عليه في خطبته المباركة المعروفة بالقاصعة :

(ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك بـه طريق المكارم ، ومحـاسن أخلاق العـالم ليله ونهاره . ولقـد كنت أتبعه أتبـاع الفصيل أثـر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري . ولم يجمع بيت واحـد يومئذٍ في الإسلام غيـر رسول الله صلى الله عليـه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة ، واشـم ريح النبوة) .
مجاورة رسول الله (ص) في شعب حـراء مدة من كـل سنة وبعـد انصرافـه منه كـان يأتي إلى الكعبة قبل أن يـدخل بيتـه فيطوف بهـا سبعاً ثم يـرجع إلى بيتـه مشهور مسلم في كتب الشيعـة والسنة كفاك في ذلك كلام الإمام أمير المؤمنين (ع) كمـا سمعت وكان الإمـام (ع) صاحبـه في حراء وهو يراه ولا يراه غيره فإنه (ع) كان مصاحباً لرسول الله (ص) منذ صغره لا يفارقه لا في بيته ولا في حراء وأدبه رسول الله (ص) بـأدبه وعلمـه علومه وفي السنـة التي اكرمـه الله تعالى فيها بالرسالـة جاور رسـول الله (ص) في حراء شهـر رمضان ومعـه أمير المؤمنين (ع) فجـاءه جبرئيل بالرسالة وسمع الامام (ع) رنة الشيطان حين نزل الوحي على رسـول الله (ص) انظر إلى الخطبة (القاصعة » . *
=

(حـراء) يتحرى مهبّ نفحـات العنايـة من بين وارداته القلبيّـة ، ويترقّب خلع التشريف والكرامـة من متحف الربـوبية ويـطالع أسـرار الملك والملكوت ممّـا رقمه قلم الأزل على صحيفة نفسه القدسيّة ، ويتأهب للهبة بما تفـرسه حـدسه وحـدسته نفسـه ؛ وتقدّمت لـه دلائله ، وهتفت فيه بشـائـره من تشـريفـه بتلك المنزلة الشريفة ، وتعينه لهاتيك الوظيفة ، وبعثه بتلك المصلحة العامّة والمسألة الهامّة البالغة أقصى مبالغ الصعوبة والحاجة والكلفة والمشقّة ودفعـه إلى تقحّم ذلـك المأزق المتـلاحم والمتهجّم على غيـوم ذلـك البـلاء المتـراكم ، ولكن ـ على قدر أهل العـزم تأتي العـزائم ـ وعند العظيم تصغر العـظائم ، فأوّل مـا كان له من طلائع النبوّة وقدامى الوحي والبعثة وقـوع الرؤ يـا الصادقـة منه التي تجيءٍ كفلق الصبح له ، ثمّ تعقبّ ذلـك سماع الصـوت دون معاينـة الشخص قائلاً لـه غير مـرّة : يا محمّـد إنّك رسـول الله ، فكانت تـأخذه عنـد ذلك من الوحشة والـدهشة ، واللذة المشوبـة بالعجب والأنس المشتبـك بالغـرابة حـال يقصر أبلغ يراع بليـغ عن تصويرها، ويكـلّ لسان كـلّ مثل عن تمثيلهـا ، وكان لتلك الحال روعة تدفع لجسمه الشريف مثـل الهزّة والفـزة[١] ويصيبه الأفكـل والرعدة كدأب المبتهج المستبشر .

نعم ثمّ تدرّج الوحي إليه على مقتضيات الحكمة ، إذ التعاليم ثمّـة وإن كانت إلهيّة ولكن لها على قداستها وجهة بشريّة ، فلا جرم ترد متدرجـة حسب القوابل ومقتضيات الأساليب والعـوامل ، فتجلّى لـه الملاك بـالوحي المبين ، والكلام الصادر بألفاظه ومعانيه ، ومقاصده ومبانيه من مصدر النـاحية الـربوبيـة والمعمل الإلهي والعلم غير المتناهي ، قائلاً له ـ وهي أوّل سورة نزلت عليه من ذلـك الكتاب المقـدّس والطراز الأنفس ـ ﴿ إقـرأ باسم ربـك الذي خلق خلق الإنسـان من علق ، إقرأ وربـك الأكرم الـذي علّم بالقلم علم الإنسـان مـا لم

= وحراء بكسر الحاء والتخفيف والمد جبل على ثلاثة أميال من شمـال مكة وفي أعـلاه غار كـان رسول الله (ص) قبل البعثة يتخلى للعبادة في ذلك الغار وكـان يصوم ويصلي ويشتغـل للعبادة فيه وكان تعبده على وفق شريعة نفسه دون شريعة من تقدمه زماناً من الأنبياء (ع) وعليه إجماع الإمامية كما صرح به الأكابر من علمائهم ومذهبهم هو المستفاد من الكتاب والسنة .

(١) طيّر فؤاده وأفزعه وأزعجه .

يعلم ﴾[١] ، فقرأها وانصرف عنه ثمّ جاءه بعدها بسورة الفاتحة ، ثمّ انقطع الوحي زماناً ولكن إرفاقاً به وإشفاقاً عليه ، فما أحسبك إلّا خبيراً بأنّ قوى البشريّة والأخلاط العنصريّة وكلّ ما عملته أو عملت فيه الطبيعة والمادّة يضعف ويكلّ ويتأثّر وينفعل عند هجوم ما فوق الطبيعة عليها من مشاهدة تلك الأرواح المقدسة والأنوار القاهرة التي هي من عالم الملكوت وصقع الجبروت ، وهذا أمر ضروريّ محسوس في كيان الطبيعة وبيئة المادة وخليّة العناصر ، فإنّك لو حبست طفلاً في مختبأ من الأرض حتّى اكتملت فطرته وتمّ تمييزه وعقله . ثمّ أخرجته فجأة إلى هذا العالم المحسوس فوقع بصره دفعة على شموسه المتألقة ، أجوائه المتّسعة ، وأشجاره المتّسقة ، وأنهاره المتدفقة إلى غير ذلك من غرائب الصنع وعجائب الإبداع لما شككت أنّه ينشق قلبه وينذهل لبّه ، ويأخذه مثل الأدوار والدهشة والإنبهار والهزة والرعدة ، وتأتي الصدمة على عقله ، والصككة[٢] على جسمه والضغطة على فؤاده وقلبه ، ولا شكّ أنّ عالم الغيب من عالم الشهادة على تلك النسبة بل وبأضعافها المتضاعفة فما ظنّك بهذا الجسد البشري المؤلّف من تلك الموادّ العنصريّة السريع الإنحلال والإنفعال الضعيف التأليف ؛ وزد عليه الملاك من العوالم الملكوتيّة ، أو تحل لمن له قبس من سذق[٣] إليها كل الجبروتيّة ، كيف تتلاشى عناصره وتتفرّق أجزائه وتثور إلى الأثير دقائقه إلّا بماسك من يد القدرة التي لا تغلب والقوة التي لا تعجز عن شيء ولا تنكب .

ألا فبعين عناية الله جسد محمّد (ص) (ألا فسلام الله على جسمه المقدس وروحه المجرّد) ألا لأجرم لو عرضته عند نزول الوحي عليه تلك الهزة والفزة ولا غرو لو اتّقدت الحرارة الغريزة في تامور صدره حتّى يتغيّر لها وجهه ويضطرب بدنه ، وتنتقل الرطوبات الداخليّة وتترشح على سطح بشرته فيتجلّله

---

(١) سورة ٩٦ آية : ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ .
(٢) أي الأضطراب .
(٣) السذق : ليلة الوقود وهي ليلة مشهورة عند الفرس فارسي معرب .

العرق ويأخذه شبه الحياء والفرق[1] ؛ ثمّ إذا سرّى عنه سكنت الحرارة ، وقبل الجسم الهواء اللطيف من خارج فيبرد المزاج وتـأخذه مثل القشعريـرة والنفضة الباردة ، لمباغتة البرودة للحرارة دفاعـاً ، فيأتي إلى مـرقده الشـريف ويقول : زمّلوني أو دثروني ، فترد عليه ثيابـه ، وتجمع فـوقه غـطائه ليتسخّن ويستـريح ويأمن ، ففي إحدى ضجعاته ما أهاب به الوحي قـائلاً : ﴿ يـا أيها المـدّثر قم فـأنـذر ، وربــك فكبّر وثيــابـك فــطهـر ، والــرجـز فــأهجــر ، ولا تمنن تستكثر ﴾[2] ! . .

---

(١) أي الفزع .
(٢) سورة ٧٤ آية ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هل كان النبي محمد صلى الله عليه وآله أميًّا ؟

بعد رفع آيات التعظيم :

نرفع السؤال الآتي إلى سماحة الإمام كاشف الغطاء دام ظله ، ونرجو أن تتفضلوا بالجواب الّذي سينوّر لنا سبيل الحقّ الّذي قد يكون لنا الحكم الوحيد بذلك

نحن صاحبي التوقيع، الأوّل منّا يؤيّد أنّ نبيّنا المحبوب محمّد (ص) ليس بأمي وإنّما يقرء ويكتب بلغات كثيرة .

بينما أنّ الآخر يؤيّد أنّه صلوات الله عليه أميّ لا يعرف من القراءة والكتابة شيئاً مذكوراً عليه ، أرجو أن تتنازلوا بحلّ هذه القضيّة ولا زلتم ملجأ لحلّ أمورنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الكوت ١١ شوال ١٣٥٠

صاحبا التوقيع الأوّل عبد الجبّار حاج نجم الشمخاني ، الثاني : نجم آل عبد الله .

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد والمجد .

الجواب : عن سؤالكما انّ كلاّ منكما قد وصل إلى طرف من الحقيقة وأصاب جانباً من الصواب ، أمّا القائل انّ النبي ﷺ كان أميّاً فقد أصاب ولكن

بمعنى أنّه ما يقرء ويكتب لا أنه لا يعرف القراءة والكتابة وكونه أمّياً بهذا المعنى ، أي عدم تعاطيه للقراءة والكتابة عليه إجماع المسلمين ومنصوص عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون** ﴾[1] ولكن لم يثبت من الاجماع لا من الكتاب أنه لم يكن يعرف الكتابة والقراءة بحيث يكون فاقداً لهذا الكمال ، ومن هنا تبيّن أنّ الأول يقول أنّه ليس بأميّ ان أراد أنّه يعرفها فهو مصيب ، وان أراد أنّه كتب وقرء فهو مخطيء ومخالف لنصّ الآية المتقدّمة .

والخلاصة أنّ النبي (ص) كان حائزاً لكمال الكتابة والقراءة من حيث الملكة والقدرة لأنّ النبي (ص) يلزم أن يكون متصفاً لجميع صفات الكمالات بل يلزم أن يكون أكمل أهل زمانه ، ولا ريب أنّ الكتابة والقراءة كمال وفقدهما نقص ، ولكن مصلحة التبليغ ورعاية الإعجاز في محيطه وزمانه إقتضت حسب الحكمة أن لا يتعاطاهما تكميلاً للمعجزة ، وهذه هي الحقيقة الناصعة ، والسلام عليكم .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) سورة ٢٩ آية ٤٨ .

خاطب الله نبيه (ص) وقال : وما كنت تتلو من قبله من كتاب أي وما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً والمعنى انك لم تحسن القراءة قبل ان يوحي إليك القرآن ولا تخطه بيمينك معناه وما كنت ايضاً تكتبه بيدك إذا لارتاب المبطلون أي ولو كنت تقرأ كتاباً او تكتبه لوجد المبطلون طريقاً إلى اكتساب الشك في امرك والقاء الريبة لضعفة الناس في نبوتك ولقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم في المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب أن يعلموا أنه من عند الله تعالى وليس من عندك إذا لم تجر العادة أن ينشأ الإنسان بين قوم يشاهدون أحواله من عند صغره إلى كبره ويرونه في حضره وسفره لا يتعلم شيئاً من غيره ثم يأتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم أقاصيص الأولين . أنظر مجمع البيان ج ٤ ص ٢٨٧ ط صيدا .

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

بعد السلام عليكم والدعاء لكم

وردنا كتابكم تذكرون فيه أنّكم قد حصل عندكم تحاور وتساؤل حول أميّة النبيّ (ص) وقد تكرر السؤال[1] علينا عن هذا الموضوع وكنّا قد أجبنا عنه بجواب شاع على الألسن وتداوله أهل العلم ، وهو أنّ النبيّ (ص) ما كان فاقداً لملكة القراءة والكتابة حتى يكون نقصاً فيه ، وإنّما اميته أنّه كانت النبوّة في تلك الظروف الخاصّة إقتضت أن لا يستعملها ، وإليه تشير الآية الشريفة وهي قوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾[2] .

هذا مختصر الجواب الّذي سبق منّا من عهد بعيد ، أمّا الآن فعندنا جواب لعلّه أحقّ وأدقّ وأولى بالقبول وهو أنّ الكمالات البشريّة جسمانيّة أو

(١) كان من عادة الإمام كاشف الغطاء رحمه الله أنه لا يحتفظ في أجوبة المسائل التي ترده من مختلف الأقطار وشتى الأشخاص والأصناف إلا النزر منها وقد وجد في خزانة أوراقه خمسة أسئلة عن أمية الرسول محمد (ص) من عدة أشخاص ولم يوجد معها الجواب ، وقد وجد أيضاً هذا الجواب من دون السؤال ، ونعتقد أنه رحمه الله أجاب على السؤال في ذيله وأرسله معاً .

(٢) سورة ٢٩ آية : ٤٨ .

روحيّـة إنّما هـي كمال نـظراً إلى حصول الغـاية الّتي تـرتّب عليه ـ وهي رؤ يـة الأشياء ـ والعمى نقص نظراً إلى عدم حصول الرؤ ية فيه ، فلو أنّ شخصاً يرى الأشياء من دون حاجة إلى العين ، فهل عدم العين نقص فيه في حال أنّه يرى الأشياء أحسن مما يراه صاحب العين فالقراءة والكتابة كمالهما بالنظر إلى معرفة الأشيـاء والإطلاع على مقـاصد الغيـر أو إبـلاغ مقـاصـده إلى الغيـر ، فلو أنّ شخصاً يبلّغ مقاصده إلى الناس من غير حاجـة إلى الكتابـة ، فهل هـذا نقص فيه أو هو كمال بل هو فوق الكمال ؟ وهذه هي صفـة النبيّ (ص) في أميّته ، وهـذا جواب مبتكـر لم يسبق إليه أحـد وهو عين الحقيقـة والواقـع هـذا ودمتم موفقين بدعاء .

محمّد الحسين كاشف الغطاء

صدر من مدرستنا العلمية في النجف ٢٤ ربيع الأوّل ١٣٧٣ هـ .

هل القرآن أفضل من محمد (ص) أم محمّد أفضل ؟

حضـرة العلاّمة حجّة الإسلام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغـطاء دام ظلّه بعد تقبيل أياديكم الطاهرة ، ان الحب الّذي أكّنه لهذا الـدين الحنيف ومـا أضمـره من حبّ وولاء لـآل البيت (ع) هـذه الأسبـاب أدت بي إلى التجـاسر بين سمـاحتكم والتطرّق إلى أمـور أنا لست من أهلهـا ، ولكن النبيّ (ص) قال : سل عن أمور دينك حتّى يقـال لك مجنـون ، فأرجـو أن يتفضّل سمـاحتكم بالإجـابة على سؤالي : هـل القرآن أفضـل من محمّـد (ص) أم محمّد أفضل من القرآن ، وكيف ذلك ! وإذا كان محمّد أفضل من القرآن فهل أنّ عليّا (ع) أفضل من القرآن ؟ وما هـو الدليـل على ذلك ؟ والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

علي عبد عون القطبي

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

بمقتضى الحديث المشهور والمتفق عليـه عند الفـريقين وهو قـول النبيّ (ص) إنّي تـارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعتـرتي أهل بيتي لن يفتـرقا حتّى يـردا عليّ الحوض ، مقتضـاه تساوي القـرآن والعترة ، ويؤيّـد ذلـك أنّ عليّـا

(ع) هو الكتاب الناطق والقرآن هـو الكتاب الصـامت وكلّ منهمـا محتاج إلى الآخر ، فالإمام يفسّر القرآن ويوضح ما أشكل منه ، فالقرآن محتاج إلى الإمام والإمام محتاج إلى القرآن ، لأنّه يشتمل على أحكام الله ونـواميسه وشـرائعه ، فكلّ منهما محتاج إلى الآخر ، والنبيّ وعليّ صلوات الله عليهما نور واحد وما يجـري لأحـدهمـا يجـري على الآخــر عـدا النبــوّة . وإعلم أنّ السؤال عن الأفضليّة هنا هو من مقام الفضول ، لا يجوز عنـد ذوي العقول ، ولا يسأل العبد عنهـا يوم القيـامة ، ومـا كلّفنا الله سبحـانه وتعـالى بها ولا يعـاقبنـا على عـدم معـرفتها[1] وإنّمـا كلّفنا العبـادات : الصـلاة ، والصـوم وغيـرهمـا ، وهي الّتي

---

(١) وقد جاء في الأثر اسكتوا عما سكت الله عنه .

نظراً إلى ذكر حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين في جواب الشيخ الإمام (ر ه) نذكـر هنا مـا ذكره السيد الرضي (ره) في كتابه : (المجازات النبوية) حول هذا الحـديث الشريف قـال ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الكلام الذي تكلم به يوم الغدير وأسئلكم : « عن ثقلي كيف خلفتموني فيهما فقيل له : وما الثقلان يا رسول الله ؟ فقال الأكبر منهما كتاب الله سبـب طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم » هذه رواية زيـد بن أرقم ، وفي رواية أبي سعيـد الخدري : « حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والأصغر منهما عترتي أهل بيتي ، إنهما لن يفتـرقا حتى يردا على الحوض » . وفي روايـة أخرى : « حبـلان ممدودان من السمـاء إلى الأرض » ، فإن الكـلام يعود على الثقلين . وهـذه إستعارة لأنـه عليه الصـلاة والسلام شبـه كتاب الله بـالحبـل الممدود بين الله وبين خلقه يعصم منهم من اعتصم بـه ، ويستنقذ من المهـاوي والمعاطب من اعتلق بطرفه ، وليس هناك يد على الحقيقة تعصم المتعلق بها وتستشيل المتورط ، وإنمـا ذلك على التمثيل والتشبيه ، لأن المستنقذ من الورطة والمنهض من السقطة في الأكثـر إنما يجتـذب بيده ويستعين بسببه فأخرج عليه الصلاة والسلام كلامه على العرف والمعروف والأمر المعهود . ومن روى حبلان ممدودان وأراد بـأحد الحبلين العتـرة فالمعنى أنـه عليه الصـلاة والسلام أقـام عتـرته مقـام الحبل الممـدود الـذي يكـون عصمـة المستعصم ونجـاة المستسلم كمـا قلنـا في القرآن . وهذا الخبر بتمامه هو خبر يوم الغدير الـذي يقول فيـه صلى الله عليه وآلـه : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وأخذل من خذلـه وأنصر من نصـره . . . ـ إلى أن ذكـر رحمه الله ـ وفي هـذا الخبر أيضـاً مجـاز وذلـك تسميتـه عليـه الصـلاة والسـلام الكتاب والعترة بالثقلين ، وواحدهما ثقل ، وهو متاع المسافر الـذي يصحبه إذا رحـل ويسترفق به إذا نزل فأقام عليه الصلاة والسلام الكتاب والعتـرة مقام رفيقـه في السفر ورفـاقه في الحضـر وجعلهما بمنزلة المتاع الذي يخلفه بعد وفاته فلذلك احتاج إلى أن يوصي بحفظه ومراعاته : وقال بعض العلماء إنما سميا ثقلين لأن الأخذ بهما ثقيل ، وقـال بعضهم : إنما سميـا بذلـك لأنهما العدتان اللتان يعول في الدين عليهما ويقـوم أمر العـالم بهما ، ومنـه قيل لـلأنس والجن ثقلان =

يعـاقبنا على الجهـل بها ، وهي الّتي يلزمـك أن تسأل عن أحكـامها وفـروعها فاللازم عليـك أن لا تسأل عن مثـل تلك الأسئلة التي لا فائـدة فيها ولا طـائل تحتهـا ؛ إذا سئلت فقـل لكـلّ فضـل . وعلم الأفضليّـة عنـد الله ، وهـذه من أحسن النصائح لك ، ولم يثبت هذا من قول النبي (ص) سل عن أمور دينك ألخ ـ وهذه الأسئلة ليست من أمور الدين ولا من أصول الدين ولا من فروعه ، فافهم وفقك الله بدعاء .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

= لأنهما اللذان يعمران الأرض ويثقلانها .

أنظر « المجازات النبوية » ص ١٦٦ ط مصر .

ما معنى قول النبي «ص» لأمير المؤمنين «ع» إذا فاضت نفسي ؟

وأجاب عن سؤال : ورد في الحديث عن النبيّ (ص) قال : يا عليّ أذا فاضت نفسي[1] فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، فإلى أيّ نفس كان يشير ؟ .

---

(١) ثبت في كتب التواريخ والسير ولاسيما سيرة رسول الله (ص) أنه لما قرب وفاته (ص) وحان خروج نفسه المقدسة قال لأمير المؤمنين (ع) : ضع يا علي رأسي في حجرك فقد جاء أمر الله فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل عليّ أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي واستعن بالله تعالى ، فأخذ علي رأسه فوضعه في حجره . قال الشيخ المفيد (ره) ثم قبض صلى الله عليه وآله وسلم يد أمير المؤمنين (ع) اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثم وجهه وغمضه ومد عليه أزاره واشتغل بالنظر في أمره (أ . هـ) .

قال أمير المؤمنين (ع) في خطبته الشريفة في نهج البلاغة : « ولقد قبض رسول الله (ص) وأن رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي » .

قال أبن أبي الحديد السني المعتزلي في شرح النهج يقال : إن رسول الله (ص) قاء دماً يسيراً وقت موته وإن علياً (ع) مسح بذلك الدم وجهه .

وقال أبن ميثم البحراني (ره) في شرحه أراد بنفسه دمه ثم ذكر ما نقلناه عن ابن أبي الحديد وتبعهما المفتي الشيخ محمد عبده المصري في شرحه أيضاً فراجع .

أقول قيء رسول الله (ص) دماً يسيراً وقت موته لم يثبت صحته ولم يصرح به الأكثر في سيرة رسول الله (ص) ولعل منشأ هذا النقل هو حمل لفظ « نفس » على معنى الدم ولذا قال الشارح =

الجواب

فاعلم أنّه قد ورد في الأخبار المعتبرة أنّ كميلاً وهو من خواصّ أصحاب

= الخوئي (ره) ; والأظهر عندي أن يراد بالنفس نفسه الناطق القدسية التي هي مبدء الفكر والذكر والعلم والحلم والنباهة ولها خاصية الحكمة والنزاهة فيكون محصل المراد بالكلام أن روحه الطيبة الكاملة التي هي المصداق الحقيقي لقوله : قل الروح من أمر ربي والمقصود الأصلي بقوله : ونفخت فيه من روحي ، لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدي فمسحت بها على وجهي ولعل هذا أمر مراد من قال أن المراد بسيلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس هذا وإنما مسح بها وجهه إما تيمناً أو لحكمة عظيمة لا نعرفها (أ . هـ) .

ثم على تقدير صحة ما سمعت من شراح نهج البلاغة : « أن رسول الله (ص) قاء دماً يسيراً وقت موته وأن علياً (ع) مسح بذلك الدم وجهه » يشكل الأمر من جهة نجاسة الدم ظاهراً مطلقاً في الشريعة الإسلامية ولذا قال ابن ميثم البحراني (ره) في شرحه : ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخصص دم الرسول (ص) كما روى أن أبا طيبه الحجام شرب دمه حين حجمه فقال (ص) إذاً لا ينجع بطنك (أ . هـ) وفيه أن مسح أمير المؤمنين (ع) بذلك الدم وجهه لا ينافي نجاسة الدم مطلقاً فإن تنجيس البدن والوجه لا دليل على عدم جوازه وقال الشارح الخوئي (ره) أما طهارة دم النبي (ص) فلا ريب فيها ويشهد بها آية التطهير (أ . هـ) .

الحكم في مسألة الدم مطلقاً بحسب ظواهر الأدلة الفقهية هو النجاسة فإن الأدلة الشرعية دالة على أن الدم مطلقاً نجس وعمل بتلك الأدلة الشيعة والسنة ودم المعصوم (ص) داخل في جملة الدماء فيكون من جزئيات تلك المسألة ومن صغريات تلك الكبرى الكلية . والنبي (ص) والأئمة (ع) كانوا مواظبين لحفظ ظواهر الشرع والعمل بأحكام الإسلام والنبي (ص) هو المشرع الأول والمحافظ على العمل بجميع أحكام الشريعة التي اتانا بها من الله تعالى ولا يصدر منه أية مخالفة للشرع الذي جاء به من جانب الله وأما ما ذكره إبن ميثم البحراني (ر ه) من جواز أن يخصص دم الرسول (ص) فهو مجرد احتمال لا دليل عليه . وأما آية التطهير كما أشار إليه الشارح الخوئي (ره) فلا دلالة فيها على نفي النجاسات الظاهرية فإن مصبها نفي الأرجاس الباطنية من الذنب والسهو والنسيان والخطاء والجهل وغيرها .

فالقول بأن حكم الدم مطلقاً في شريعة الإسلام هو النجاسة ظاهراً مما لا محيص من المصير إليه وينبغي أن يقال أن اللازم على جميع المسلمين بحسب شرع الإسلام المقدس وفي رأسهم النبي (ص) نفسه ثم الإمام (ع) بعده الإلتزام بجميع أحكامه والعمل بها فكيف يصدر من النبي (ص) أو الإمام (ع) المخالفة عليها وأما حقيقة المسألة في الباطن فهل دم المعصوم (ع) طاهر أو نجس واقعاً ؟ فلا ينبغي لنا التكلم فيها أصلاً لخروجها عن مورد ابتلائنا في هذه الأزمنة وعدم كونها من الإعتقاديات أو الفروعات فلو حضر المعصوم (ع) واتفق لنا الملاقاة بدمه الشريف ففي ذلك اليوم هو حاضر يسأل عن حكم المسألة باطناً فلا فائدة في إصرار جمع =

أمير المؤمنين سلام الله عليه قال : سيّدي أريد أن تعرّفني نفسي فقال : يا كميل عن أيّ نفس تسأل ؟ فقال : يا مولاي وهل هي إلّا نفس واحدة ؟ فقال يا كميل إنّما هي أربع : النامية النباتية ، والحسيّة الحيوانية والناطقة القدسيّة[١] والإلهيّة الملكوتيّة[٢] ثمّ ذكر له خواص كلّ نفس في بيان وافي ، ولا ريب أنّ لكلّ واحدة من هذه النفوس مراتب ودرجات ، وإنّ النباتية والحيوانية تضمحلّ وتفنى بموت الإنسان وإنّما يبقى الناطقة القدسية الموجودة في عامّة البشر ، وأدناها ما يقارب نفس البهائم : ﴿ إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً ﴾[٣] ، وأعلاه ما يتصل بنفوس الملائكة وهي أوّل مراحل النفس الإلهية الملكوتيّة ، وأعلاها روح القدس المتّصلة بمبدأها الأعلى وهي أرواح الأنبياء والأئمة (ع) الّتي إتّصلت به وما أنفصلت عنه ، وتتصل بهذه الأبدان البشريّة للتبليغ والهداية مدّة ثمّ تنفصل عنها وهي في جميع أحوالها لا تنفك متعلقة بحظيرة القدس وسدرة المنتهى ، وفي دعاء الناحية المقدّسة من أدعية رجب ؛ لا فرق بينك وبينها إلّا أنّهم عبادك وخلقك ، وهي العقل الأوّل الكلّي وأوّل ما خلق الله الّذي به يثيب و به يعاقب ، وهو الحقيقة المحمّديّة[٤] التي تحمّل

من الناس من أصحاب الوسواس الذين صاروا سبباً للتفرقة بين الشيعة بإبداء الآراء السخيفة والعقائد الباطلة على التكلم في حكم دم الإمام (ع) أو بوله وتجوالهم في ميادين هذه المسائل الخارجة من ابتلائنا في هذا الزمان . وقد تسببت هذه الفرقة بأن ابتلى مجتمعنا المذهبي سنين متمادية بالبحث والتكلم حول أمثال هذه المسائل الواهية نسأل الله أن يهديهم إلى سواء السبيل .

(١) يعبر علماء النفس عن هذه النفس بالشعور أو الوعي .

(٢) يعبر عنها بـ (أنا) العالم النفسي فرويد ، ويعبر عنها بعض علماء النفس (فوق الشعور) وفوق الشعور مرتبط باللاشعور .

(٣) سورة ٢٥ آية : ٤٧ .

(٤) وبمناسبة ذكر شيخنا الإمام (ره) (الحقيقة المحمدية) في كلامه يجدر بنا أن نذكر فيما يلي من هفوات بعض من صدر منه الآراء السخيفة وادعى أن كل أسماء الله تعالى وصفات الله العليا لا يجوز إطلاقها على الله تعالى لا حقيقة ولا مجازاً ولا يقع عليه تعالى إسم ولا صفة فإن كل الأسماء والصفات والعبادات والأذكار والخطابات ألفاظ ومخلوقات وحادثات، والحادثات غير مربوطة بالواجب تعالى ، ولا يمكن أن يكون المرجع للحادث هو الواجب فإن تعلق الحادث إلى ذات الله تعالى وارتباطهما لا يعقل فلا بد من ربطه إلى حادث مثله وذلك الحادث من فعل الله تعالى فيكون هو معنى هذه الألفاظ من الأسماء الحسنى والصفات العليا وتلك الألفاظ دالة =

الرسالة العظمى وزعامة الأنبياء الكبيرة والسيادة على كلّ ما خلق الله ؛ لمّا انفصلت من بدنه العنصري الشريف أمر خليفته أن يتحمّلها بأمرِ الله ويتوّجه إليها ويمسح بها وجهه كناية عن قبولها والتبرك بها كما يمسح الأنسان وجهه بالأشياء المقدسة من القرآن أو التربة ، وكان النور واحداً من بدء الخليقة

= على ذلك المعنى الحادث وهو مدلولها وذلك المعنى المدلول هو الحقيقة المحمدية ونورانية محمد وآل محمد (ص) وقال ما هذا لفظه : (وحيث لا يمكن أن يدعي بذاته لعدم إمكان ذلك تعين أن يدعى بالأسماء الحسنى فانحصرت العبادة التي هي فعل ما يرضي والعبودية التي هي رضى ما يفعل فيهم عليهم السلام وبهم لأن التقديس والتحميد والتكبير والتهليل والخضوع والخشوع والركوع والسجود وجميع الطاعات وأنواع العبادت وكذلك العبودية كل ذلك أسماء ومعانيها تلك الذوات المقدسة والحقايق الإلهية التي خلقها الله لنفسه وخلق خلقه لها وهي أسمائه الحسنى ومثاله العليا ونعمه التي لا تحصى وهي التي اختص بها وأمر عباده أن يدعوه بها قال تعالى ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها (أ . هـ) .

وله أمثال هذه الكلمات السخيفة كثيرة وما ذكرناه هو ملخص مقصوده المفضى إلى الهلكة الهلكاء والشقة السوداء واساس هذه العقيدة وامثالها مأخوذة من التعاليم الباطنية وتعاليمهم غير مأخوذة من التعاليم الاسلامية .

ومن أفحش أغلاط هذه العقيدة الباطلة هو نسبة الشرك والكفر ـ العياذ بالله ـ إلى خاتم الانبياء (ص) واوصيائه المعصومين (ع) فإن على هذا المسلك يلزم ان يكون خطابات رسول الله (ص) وكذا الائمة (ع) في صلواتهم وادعيتهم وجميع عباداتهم راجعة إلى نفوسهم المقدسة ويكون قول رسول الله (ص) في صلواته : « اياك نعبد » راجعاً إلى قوله : « اياي أعبد » وكذا سائر الاسماء والصفات التي كانوا يدعون الله تعالى بها راجعة إلى نفوسهم الشريفة فكانوا ـ العياذ بالله ـ يدعون الناس إلى العبادة بانفسهم المقدسة .

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله (سورة ٣ آية : ٧٤) .

والقائل بهذه العقيدة الفاسدة لما لم يقدر على تصحيح مسألة كيفية ربط الحادث بالقديم ولم يتحققها بالبحث والتحليل العلمي الصحيح ولذا تورط في المسالك والمهالك الوعرة والغياهب المدهشة والمطالب المطرودة وأما معتقده كما ذكرناه إجمالاً فهو من أفحش الأباطيل والأضاليل وأغلاطه أكثر من أن يذكر ويدل على بطلانه وجوه كثيرة لا مجال لذكرها في المقام وقد ذكرها على نحو التحقيق المجتهد الكبير السيد إسماعيل النوري الطبري (ره) في كتابه كفاية الموحدين في المجلد الأول .

وأما ما ورد في بعض الأخبار عن الأئمة الأطهار(ع) نحن الأسماء الحسنى أو نحن الصلاة في كتاب الله أو نحن وجه الله أو في بعض الزيارات : السلام على إسم الله الرضي ونظائر هذه الكلمات فهي كلها من المجازات والكنايات أو إشارة إلى معاني أخرى صحيحة وليس المراد منها تلك الخزعبلات كما هو مذكور في المطولات .

وقبلها في الأزل ؛ لم يزل ينتقل في الأصلاب الطاهرة والأرحـام المطهّـرة إلى أن وصـل عبـد المـطلب فـانشـطر شـطرين : شـطر لعبـد الله ، والآخـر لأبي طالب ، فكان الأوّل رسول الله والثاني أمير المؤمنين ، وبوفاة رسول الله رجـع النـور واحـداً في عليّ (ع) كـان هـذا مختصـر مـا يمكن أن يقـال في هـذا المجال ، هنا أسرار إلهيّة ، وحقائق عرفـانيّة لا يتّسـع المقام للكشف عنهـا ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة للإمام كاشف الغطاء
ليلة ولادة أمير المؤمنين سلام الله عليه
"١٣ رجب ١٣٦٨ هـ" في حسينية محلة باب السيف "بغداد"

ربّ إشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، وأحلل عقدة من لسـاني يفقهوا قولي .[١]

يعزّ عليّ أيّها الأعزة أن أحل مجلسي لانتهاز هذه الفرصة الثمينة وإلقاء ما يناسب هذه الليلة المباركة ، وهذا الحفل الكريم ، مع أنّي في دور النقاهة منهوك القوى ، خافت الصوت ، رهين العلّة والمعالجة ، ومن يقـول عن مقال لـه تواضعـاً هذا جهـد المقلّ أو هـذه نفثةُ مصـدور، فأنـا أقول حقّـاً لا تنازلاً والبيان أصدق شاهد على ذلك .

نعم نبتديء كلمتنا متفائلين بقوله تعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ؛ فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ؛ وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾[٢] ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربي لغفـور رحيم ﴾[٣] هذه السفينـة في الزمن الأوّل والعهـود المتوغلة في القـدم أوّل مـركب نجى بـه جميـع من على وجـه الأرض من المـؤمنين

---

(١) سورة ٢٠ آية : ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢) سورة ٢٣ آية : ٣٠ ـ ٣١ .
(٣) سورة ١١ آية : ٤٤ .

المستضعفين ، تخلّصوا من سطوة الغاشمين ، وسيطرة الظالمين ، بعد الجهود الطائلة ، وإتمام الحجّة من شيخ الأنبياء زهاء ألف سنة ، وبعد أن عامت السفينة في أمواج الطوفان الّذي غمر هذه الكرة بأجمعها سنة كاملة ، قيل : ﴿ يا نوح أهبط بسلام منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك ﴾[1] نعم هذه السفينة هي السفينة الّتي شبّه رسول الله (ص) أهل بيته بها في الحديث المشهور بين الفريقين : أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلّف عنها هلك وهوى .

ومن يتدبّر حال العصور الّتي قبل الإسلام وما كان العالم فيه لا جزيرة العرب فقط ، بل حتّى الدول العظمى في تلك القرون من الفرس والروم ، من يتدبر ما كانت فيه تلك الأمم من الجهل والجور والإستبداد يعرف طوفان البلاء الذي غمر الدنيا يوم ذاك ، ويعرف شدّة الحاجة إلى من ينقذ ذلك الخلق البائس من تلك الغمرات ، فبعث العناية الأزليّة المنقذ الأعظم حبيبه محمّداً (ص) ولكن قبل أن يتمّ رسالته ، وينقذ عموم البشر من ذلك الشرّ الذي توغّل في النفوس واستفحل من عهد قديم قضت الحكمة الغامضة أن يعود إلى الملكوت الأعلى الذي جاء منه ، وإكمالاً للرسالة ، وإبلاغاً للغاية أشار إلى من يتمّ به الغرض ، وتقوم به الحجّة ، فقال قبل رحلته بقليل : إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وبهذا إتّجه أن يصدع الوحي بقوله تعالى ؛ ﴿ أليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ﴾[2] وجد نبيّ الرحمة عند قرب رحيله أنّ العالم لا يزال بعد مغموراً بطوفان الجهالة ؛ والضلالة لا تزال مستحكمة ، وأنّه لا بد لهذا الطوفان من سفينة تنجي من أراد النجاة ؛ فقال : أهل بيتي هم السفينة ، وفي دعاء شعبان : اللهمّ صلّ على محّمد وآله الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، يأمن من ركبها ويغرق من تركها بيد أنّ سفينة نوح ما نجت من الطوفان ورست على الجودى إلّا بمحمّد

---

(١) سورة ١١ - آية : ٥١ .
(٢) سورة ٥ آية : ٦ .

وآلـه كما أشـار إلى ذلك العبـاس بن عبد المـطلب[1] في مقطوعـة تنسب إليه يمدح ابن أخيه ﷺ فيقول :

من قبلهـا طبت في الـظلال وفي — مستخصف حيث يخصف الـورق
ثـمّ هـبـطت الـبـلاد لأبـشـر — أنـت ، ولا نـطفـة ولا عـلق
بـل ملك تنقـذ السـفين وقـد — ألحم نـوحـاً وقـومـه الغـرق

صانع السفينة الأولى شيخ المرسلين ؛ وواضع السفينة الثانية سيّد المرسلين ، السفينـة الأولى خشب يجـري على المـاء ، والسفينـة الثـانيّـة نـور هبط على الأرض من السمـاء ، وأضعها محمّـد (ص) وربّانهـا ومسيّرهـا أخـوه وصنـوه وصهره الإمام الذي احتفلت هذه الجمعيّـة جمعيّة المقـاصد الخيـريّة العـراقية بذكرى ولادته في هذه الليلة المباركة ؛ ﴿ أنا أنزلنـاه في ليلة مباركـة ، أنا كنـا منذرين ﴾[2] .

ولا نستطيع في مقامنا هذا أن نأتي على اليسيـر من فضائـل هذا الإمـام العظيم فضلاً عن الكثير ، ومن ذا يقدر على إحصـاء نجوم السمـاء من مناقبـه من شجـاعته وبـلاغته وزهـده وسوابقـه في الإسلام ، الّتي هي كلمـات الله ، ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعـده سبعة ابـحـر ما نفذت كلمات الله ﴾[3] ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾[4] .

---

(١) عباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) سيد من سادات أصحابه وأصحاب أمير المؤمنين (ص) ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين على قول الـواقدي وقـال أبن حجر في الإصـابة : ولـد قبل رسول الله (ص) بسنتين .

كان طويلاً جميلاً أبيض مات سنة اثنتين وثلاثين .

أنظر تنقيح المقال ج ٢ ص ١٢١ ط النجف . والإصابة ج ٢ ص ٢٦٣ ط مصر .

(٢) سورة ٤٤ آية : ٣ .

(٣) سورة ٣١ آية : ٢٧ .

(٤) سورة ١٨ آية : ١١٠ .

إنّما المناسب في المقام هو التعرّض لولادته في هذه الليلة المباركة وإنّما نتعرّض لشأن واحد من شؤون ولادته سلام الله عليه ، وهو ولادته في الكعبة على أشهر الروايات[١] ، ولعلّ غيرها من مدسوسات النواصب الذين يريدون أن يستروا ضوء الشمس بأكفّهم وولادته في الكعبة طفحت بها الكتب ونظمتها الشعراء حديثاً وقديماً وآخرهم عبد الباقي الشهير[٢] في مستهل قصيدة له :

أنت العلي الّذي فوق العلى رفعا ... ببطن مكّة وسط البيت قد وضعا

وهي منقبة لم يشاركه فيها أحد في الإسلام ، وقد ذكروا أنّ مريم لمّا جاءها المخاض بعيسى (ع) آوت إلى بيت المقدس لتضعه فيه ، فنوديت أخرجي يا مريم فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة ، وفاطمة بنت أسد لمّا

(١) قال الحاكم في « المستدرك » ٣ : ٤٨٣ : وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة .

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنف (التحفة الأثني عشرية في الرد على الشيعة) في كتابه : إزالة الخفاء :

تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً في جوف الكعبة فإنه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده .

(٢) عبد الباقي بن سليمان بن احمد العمري الفاروقي شاعر كبير ومؤرخ ولد بالموصل في بيت علم وادب سنة : (١٢٠٤) هـ وانتقل إلى بغداد فاستمر فيها إلى ان توفي (١٢٧٨) هـ ق وله اشعار وقصائد في مدح أهل البيت وبيت الوحي (ع) ولاسيما امير المؤمنين (ع) .

وفي بعض النسخ : المصرع الأخير كما يلي :

« ببطن مكة عند البيت أذ وضعا »

قال شهاب الدين الألوسي صاحب التفسير الكبير في « سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية » عند شرح البيت المذكور ما هذا لفظه :

« وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة ـ إلى ان قال ـ ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه ، وما أحرى بامام الأئمة ان يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين ؟ وسبحان من وضع الاشياء في مواضعها وهو احكم الحاكمين . انظر ص ١٥ وانظر الاعلام للزركلي ج ٣ ص ٤٧٤ وريحانة الإدب ج ٣ ص ١٧٦ .

أحسّت بـالطلق وهي في الكعبـة إنسدّت أبـوابها ولم تقـدر على الخروج حتّى وضعت عليّـاً سلام الله عليـه . لعلّ في هـذه الحادثـة الغريبـة أسراراً ورمـوزاً أجلها وأجلاها أنّ الله سبحانه كأنّه يقول : أيّتها الكعبة إنّي سـأطهّرك من رجس الأوثان ، والأنصاب والأزلام بهذا المولود فيك ، وهكذا كان فإنّ النبيّ (ص) دخلها عام الفتح والأصنام معلّقـة على جدرانهـا ولكلّ قبيلة من قبـائل العـرب صنم ، فأصعد عليّاً (ع) على منكبه وصار يحطمها ويرمي بهـا إلى الأرض ؛ والنبي (ص) يقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ﴾[١] وقد نظم الشافعي هذه الفضيلة بأبيات تنسب له ؛ يقول في آخرها :

وعـلـيّ واضـــع أقـدامــه في مـحــلّ وضـع الله يــده[٢]

فإنّ النبيّ (ص) كان يحدّث عن المعراج قائلاً : إنّ الله عزّ شأنه وضع يده على كتفي حتّى أحسست بردها على كبدي .

وفي ولادته رمز آخر لعلّه أدقّ وأعمق : وهو أنّ حقيقة التوجّـه إلى الكعبة هو التوجّه إلى ذلك النـور المتولّـد فيها ، ولـو أنّ القصد مقصـور على محض التوجّه إلى تلك البنية وتلك الأحجار لكان أيضاً نوعاً من عبادة الأصنام (معـاذ الله) ولكن التنـاسب يقضي بأنّ البـدن وهو تـراب يتوجّـه إلى الكعبة التي هي تراب ؛ والروح الّتي هي جوهر[٣] مجرّد تتوجّه إلى النور المجرّد ، وكلّ جنس

---

(١) سورة ١٧ آية : ٨٤ .

(٢) أنـظر إلى الإرشاد للديلمي (ره) ج ٢ ص ٢٥ ط النجف ولكنـه نسبـه إلى بعض الشعـراء ولم يسمه . وذكر في أشعـاره قبل هـذا البيت ما أشـار إليه شيخنـا الإمام (ره) بقـوله : « إن النبي (ص) كان يحدث عن المعراج ألخ » .

(٣) الجوهر على خمسة أقسام : لأنه أما محل فهو الهيولى وأما حال فهو الصورة وأما مـركب منهما فهو الجسم وأما أن يتعلق البدن تعلق التدبير والتصرف فهو النفس (الروح) وإلا فهو العقل .
والعرض منحصر في المقولات التسع على المشهور :
الأول : الكم وهو الذي يقبل القسمة لذاته كـالجسم والسطح والخط وهـو قسمان : متصلة إن كـان بين الأجـزاء حـد مشتـرك كـالنقـطة . ومنفصلة إن لم يكن بين أجـزائـه حـد مشتـرك كالعدد ، والمتصلة أما قار الذات فكالخط والسطح والثخن اي الجسم التعليمي . واما غير قار الذات فهو الزمان فانه كم متصل بذاتـه وان عرض لـه العدد فيصير كمّاً منفصـلاً بالعرض من حيث انه قد يقسّم إلى ساعات وأيام وشهور واعوام .
=

لاحق بجنسه : النور للنور ، والتراب للتراب وإلى بعض هذا أشار بعض شعراء الفاطميّين(١) إذ يقول عن الإمام :

بشر في العين إلّا أنّه ... من طريق العقل نور وهدى
جلّ أنّ تدركه أبصارنا ... وتعالى أن نراه جسدا
فهو في التسبيح زلفى راكع ... سمع الله به من حمدا
تدرك الأفكار منه جوهرا ... كاد من إجلاله أن يعبدا
فهو الكعبة والوجه الّذي ... وحدّ الله به من وحدا

= الثاني : الكيف وهو عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا نسبة كالوان والرطوبة والبرودة والحرارة والكيفيات الإستعدادية والكيفيات النفسانية كالعلم والقدرة والحدة والشجاعة ونظائرها .

الثالث : الإضافة وهي نسبة معقولة بالقياس إلى نسبة أخرى معقولة بالقياس إلى الأولى ونفس الإضافة تسمى مضافاً حقيقياً والمجموع المركب منهما وهو ما يعرضه الإضافة مضافاً مشهورياً والنسبة المتكررة كالأبوة والبنوة .

الرابع : الأين وهو كون الشيء في الحيز وأنواعه أربعة الحركة والسكون والإجتماع والإفتراق .

الخامس : المتى وهو النسبة إلى الزمان وهو كونه فيه .

السادس : الوضع وهو هيئة تعرض للجسم كالقيام والقعود .

السابع : الملك وتسمى الجدة كالتعمم والتقمص والتنعل .

الثامن : الفعل كالقاطع ما دام يقطع .

التاسع : الإنفعال كالتسخن والتسود .

(١) الخلفاء الفاطميون يقال لهم : العبيديون أيضاً ، صارت السلطة والسلطنة بعنوان الخلافة لهم في مصر ونواحيها من سنة - ٢٩٦ - إلى - ٥٦٧ وعددهم أربعة عشر نفساً ، وهم من السادات الأشراف والمحققون متفقون على انهم من السادات العلويين ولا شك في انتسابهم إلى اهل البيت (ع) وانكار نسبهم كما صدر عن بعض المؤرخين ناش من التعصب البغيض - خذ اول صفحة (٤) ط مصر - من تاريخ الخلفاء للسيوطي فإنك ترى من آثار العداوة والبغضاء والحكم بالكفر والإلحاد في حق الخلفاء الفاطميين شيئاً عجيباً وذنبهم في هذا التحامل عليهم من خصمائهم ليس إلا كونهم من الشيعة والأزهر الشريف من آثارهم ، ومن صدع بالحق ودافع عنهم كالمقريزي يرمونه أعدائهم بالكلمات الخاطئة وبالبهتان والإفتراء وبكل أفيكة .

وسيأتي في كلمات شيخنا الإمام (ره) الدفاع عن الفاطميين . وانظر أيضاً لمزيد البصيرة في =

وهذان السطران من الشعرَ إن كان فيه شيء من الغلوّ ففيه كثير من الحقيقة ، وفيه لمعات من التوحيد ، نعم نتوجّه بأبداننا في صلواتنا إلى الكعبةوبأرواحنا إلى النور الذي أشرق وأضاء فيها ، نتوجّه إليه فنجعله الوسيلة إلى الله كما قال عزّ شأنه ﴿ إتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ نتوجّه إليه كي يوجّهنا الخير والسداد ، فالتوجّه منّا إليه والتوجيه منه لنا .

نعم كتاب الله والعترة سفن النجاة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا يضل ولا يزل من تمسّك بها ، ولكن ليس التمسّك قول باللسان ، وثرثرة[1] بالألفاظ ، التمسّك عقيدة راسخة ، وأعمال صحيحة بنية خالصة ، وقلب طاهر سليم ، وأخلاق فاضلة التي هي روح الدين وجوهر الإسلام والتي طفح[2] بها الكتاب والسنّة ، ولكن أين نحن من مراحل هذه الفضائل والأخذ بهذه الوسائل ، أبهذا التفسّخ الأخلاقي والتفكك الإجتماعي ، ونبذنا الكتاب والسنّة وراء ظهورنا ، نريد أن نعدّ أنفسنا من المسلمين ، وبالعروة الوثقى متمسكين ، كلّا وكلّا لو كان لنا من الإسلام ذرواً[3] وذرّة لما سقطنا هذا السقوط الشائن ولما فشلنا هذا الفشل المخزي .

إمتحنت (فلسطين) بمحنة الصهيونية منذ أربعين سنة ، وما زالت تتقدّم والعرب والإسلام تتأخر . وقد اقتحمت معاركها الأولى ولم أزل منذ عشرين سنة أقرع المنابر وأقرع الأسماع بالخطب الناريّة ؛ وأنشر المقالات الملتهبة في الصحف وغيرها وأهيب بالمسلمين وأدعوهم إلى الوحدة وجمع الكلمة ، وإنّ الإسلام بني على دعامتين (كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة) وأصرخ صرخات الداوية أن يصلحوا الوضع بينهم لإنقاذ فلسطين الدامية وكنت من زمن بعيد أبثّ شجواي في أبيات منها :

= حقهم إلى مقدمة : « تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني » الأندلسي المغربي للدكتور زاهد علي الهندي ط مصر سنة ١٣٥٧ هـ .

(١) (ثرثر ثرثرة) الشيء : بدده ـ الكلام : كثرة في تردد وتخليط .

(٢) طفح الإناء : إمتلاء وفاض . الإناء ملئه (لازم متعد) .

(٣) (ذرا يذرو ذرواً) الريح التراب : إطارته وفرقته ـ الحنطة : نقاها في الريح .

نـهـضـت فـقـيـل فـتـى فـلمّـا　　خبـرت القـوم طـاب لي القعـود
وإنّـي بـعـد مـجـهـدة وقومـي　　كضـاربـة وقـد بـرد الحـديـد
وحـيـد بـيـنـهـم ولـعـلّ يـومـاً　　عصيبـاً فيـه يفتـقـد الـوحيـد
لـنـا في الشـرق أوطـان ولكن　　تضيق بنـا كما ضـاقت لحـود
نـقـيـم بـهـا عـلى فقـر وذلّ　　ونـظـمـاً لا يـسـاغ لـنـا ورود
مـواعيـد السيـاسـة بيّـنـات　　تكيـد بهـا السيـاسـة من تكيـد
وعـود كـلهـا كـذب وزور　　فكم وإلى مَ تخـدعنا الـوعـود
إذا مـا الملك شيـد على خـداع　　فـلا يبقى الخـداع ولا المشيـد
إذا لـم تبـتن مـلكـاً صحيـحـاً　　فـلا تغني الجيـوش ولا البنـود(١)

ومن هذه الشعلة ثلاثة أبيات ذكـرتها في مقـدمة الجـزء الأوّل من مؤلّفنا (الدين والإسلام) الّذي طبع في مطبعة العرفان قبل ٣٨ سنة وهي :

فـلا طلعت عليّ الشمس يومـاً　　إذا عـن مـجـد قـومـي لا أذود
أمـوت وقـد بلوت النفس جهـداً　　كمـا تحمي عـرينـهـا الأسـود
كـذلـك فلتكن للعـرب نـفس　　وإلّا مـا الحيـاة ومـا الـوجـود(٢)

نعم كنّا نعتزّ بـذكر العـرب ونرتـاح بـالإنتسـاب إليهم ، ثمّ دارت رحى الزمان فصرنا نخجل من ذكر العرب والعروبة وما يشتقّ منهـا ، ونودّ لـو كنّا من الخزر والبربر ولم نكن من هذه الأمّة ، وانطبق علينا تماماً قول القائل :

ورثـنـا المجـد عن آبـاء صـدق　　أسـأنـا في ديـارهـم الصنيعـا
إذا الحسب الـرفيـع تـواكلتـه　　بنـاة السـوء أوشـك أن يضيعـا

---

(١) نقلنا هذه الأشعار من خطه قدس سره في المقدمة ص ٤٤ وفيها زيادة وتغيير في بعض الألفاظ ولعله غيرها هنا نظراً إلى بعض المناسبات المقامية .

(٢) أنظر الجزء الأول من « الدين والإسلام » ص ١٣ ط صيدا ولكن البيت الثاني فيه كما يلي :

أمـوت وقـد بـلوت الـنـفس دفـعـاً　　كـمـا تـحـمي مـواطـنـهـا الأسـود

فلسطين قلب البلاد العربيّة تحقيقاً ، تحفّ بها كالهالة ، مصر وبلاد المغرب ، وسوريا ولبنان ، والعراق ، والأردن ، والحجاز ، وأقطار الجزيرة فإذا هلك القلب فما حال بقيّة الأعضاء ؟ ولا شكّ أنّ الوضع إذا بقي على هذا فلنا فلسطينات أخرى في زمن قريب (لا سمح الله) ألا يخطر على بالكم قول الشاعر الفردوسي العربي حيث يقول :

حثّوا رواحلكم يا أهل أندلس ... ليس البقاء بها إلاّ من الغلط
من جاور الشرّ لا يأمن من عواقبه ... كيف الحياة مع الحيّات في سفط
العقد يبترّ من أطرافه وأرى ... عقد الجزيرة مبتوراً من الوسط

مصيبة المسلمين عظيمة ، وأعظم منها أنّ المصائب من شأنها أن تنبه الشعور ، وتعطي لأهلها دروساً وعبرة ، وتجمع الشمل وتوحدّ الكلمة ، أمّا مصيبتنا بفلسطين فما صنعت شيئاً من ذلك ، وتلقاها زعماء العرب وقادتها الذين ذبحت فلسطين على مذبح مطامعهم الدنيّة وجشعهم[١] الخبيث ، نعم تلقّوها ، برحابة صدر ، وبرودة دم وما كفاهم ذلك حتى مكّنوا اليهود طابعين من البقية الباقية من أراضي فلسطين الّتي يسكنها الألوف من عرب المسلمين وجعلوهم عبيد اليهود ، يعطون ﴿ الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[٢] وكانت أهالي فلسطين تأمل من ملوك العرب نصرهم ، ويا ليتهم كفّوها شرّهم ولم يكونوا سماسرة[٣] للمستعمرين ؛ ومنفذين لإرادتهم ، وسوف يعلمون كيف تدور الدائرة عليهم ، ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾[٤] .

نعم كلّ ما أصابنا إنّما هو من محاربتنا للدين ونبذ القرآن ، وترك العمل

---

(١) جشع حرص وطمع أشد الحرص وأسوأ الطمع .
(٢) سورة ٩ آية : ٣٠ .
(٣) السمسار المتوسط بين البائع والشاري والسعي للواحد منهما في استجلاب الآخر . مالك الشيء وقيمه . سمسار الأرض : العالم بها . جمع سماسرة .
(٤) سورة ١٥ آية : ٤ .

بتعاليم الإسلام ، وما أفسد هذا الشباب الخليع المستهتر إلّا هذه المدارس الّتي جعلت الدين فيها قشر الألبّ فيه . وجسداً لا روح له(١) ولكن قد أحيي ميّت الأمل ما بشّرني به معالي الوزير النجيب الراوي(٢) حفظه الله من أنه جعل في المدارس قريباً للدين والقرآن درجة وإمتحاناً ، ينتخب المعلّمين من ذوي الثقافة الدينيّة والعفّة والأمانة وفقه الله لهذه الخدمة الجليلة ، وأنّه الجدير بمثلها ولا ترتجى إلّا من مثله ، أيّها المسلمون عودوا إلى ما كان عليه أسلافكم تعد لكم عزّتكم ، أكرموا القرآن بالعمل به كي يعيد لكم كرامتكم ، أترجون صلاحاً أو إصلاحاً من هذا الشباب الواهن المنجرف في تيّار شهواته ، وقد فسد المعلّمون والمتعلّمون فإنّا لله وإنا إليه راجعون ؛ ضاع الرعيل وقائده .

أصل بليتنا معاشر المسلمين هو الإستعمار ، وكل رزيّة وبليّة

---

(١) هذه المدارس الرسمية للشباب في الشرق سواء كانت في العراق أو في إيران أو غيرهما من الممالك الشرقية . فاقدة للفضائل كلها فإن الروح الغربي نفذت في جسدها وسلبت منها كل الفضائل الإنسانيّة والكمالات النفسانية والتعاليم الدينية الروحية وقد جاءت روح الغربي بالتوحش باسم التمدن فنزعت كل الفضائل منا . قال شيخنا الإمام (ره) في الجزء الأول من كتابه : « الدين والإسلام » ما هذا لفظه :

نفذت الروح الغربية في جسد الشرق وجسم العالم الإسلامي فانتزعت منه كل عاطفة شريفة وإحساس روحي وشرف معنوي ومجد باذخ واستقلال ذاتي ـ إلى أن قال ـ تسمع بالمسلم الشرقى الذي يلهج بالمحاماة والذب عن الدين الإسلامي والتناصر له فإذا وقع بصرك عليه وجدته غريباً من قرنه إلى قدمه غربي الاهواء غربي الازياء غربي الاميال ، غربي الشكل ، غربي اللباس غربي الظاهر كله ، (والله اعلم بالباطن) غربياً في كل شيء وليس عليه من اثر الاسلام شيء تقليداً اعمى ، وجهلاً مطبقاً ، واعجاباً بزخارف الدنيا وسفاسف الامور ، واغترار بالعرضيات عن الحقائق والجوهريات (ا هـ) .

ولذلك ليس في أكثر المعلمين وغيرهم في هذه المدارس في الشرق حفظ مجدهم وشرفهم الديني والوطني وحفاظة الإستقلال الذاتي وإنما همهم واهتمامهم على أخذ الرواتب من وزارة المعارف وتحصيل الدرهم والدينار من أي طريق حصل وأي سبيل وصل ولا اهتمام لهم لتربية الشباب بالتعاليم الروحية والآداب الدينية ولا نتيجة لهذا الطريق الذي سلكوا إلا الفوضى وجر الشباب إلى الشيوعية الحمراء أو السوداء .

(٢) يقصد معالي نجيب الراوي الإبن الثاني للشيخ إبراهيم الراوي وكان معاليه حين ذاك وزيراً للمعارف في العراق سابقاً .

فالإستعمار أصلها وفرعها ومنبعها ومطلعها . وما جرّ علينا بلاء الإستعمار ومكّنهم من نفوسنا وأموالنا وأولادنا وأخلاقنا وتقاليدنا إلاّ زعمائنا وقادتنا[1] .

ومليكنا قد أسلمونا للعدى　　لله درّ مليكنا ما تصنع

* * *

وما أفسد الإسلام إلاّ عصابة　　تأمرّ نوكاها[2] ودام نعيمها

* * *

وأضحت قناة الدين في كفّ فاجر　　أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد

* * *

وهل يستقيم الظل والعود أعوج　　يقولون بالزبيبة عود

أمّا قضيّتنا ففي الزبيبة عمود[3] كلّ أحد يراه ويشكو بثّه إلى الله .

لمثل هذا يذوب القلب من أسف　　لو كان في القلب إسلام وإيمان

أيّها المسلمون إحفظوا أولادكم من هذا الشرّ المستطير والداء الذي يفسد دينهم ودنياهم ، أنشؤا لهم مدارس أهليّة مثقفة ثقافة دينيّة تتلائم مع روح العصر ، واستحضروا لهم معلّمين من أهل الصلاح والفضيلة ، فإنّ أهمّ واجب على المدارس الأهليّة أو الحكوميّة جعل الدروس الدينيّة في الدرجة الأولى من الأهميّة ، وتجعل إمتحاناً وشهادة ولا يتسنّى للأهلين إنشاء المدارس الكافية للتعليم إلاّ بتشكيل الجمعيّات الخيريّة المخلصة كي تتعاون على هذه الأعمال الجليلة ، والمشاريع الحيويّة ، وهذه (جمعيّة المقاصد الإسلاميّة الخيريّة) بادرة خير من أهالي الكرخ وهي بذرة صالحة يرجى بتوفيقه تعالى وهمّة المؤسسين لها ومعاونة إخوانهم لهم أن تنمو نماء حسناً ، وتثمر ثمراً جنيّاً يجدون فيه الهدى والهنا ، والخير والبركة في أنفسهم

---

(١) هم السبب الوحيد على فساد أخلاق الناس وسوقهم إلى التوحش والهمجية ونعم ما قيل :

وما أفسد الناس إلا الملوك　　وأحبار سوء ورهبانها

(٢) أي حمقاها .

(٣) ولا يخفى لطفه .

وأولادهم وأموالهم ، ومن المعلوم أنّ الجمعيّات مثل كلّ كائن يحتاج في نموّه وبقائه إلى غـذاء ، وغذائـه المال ، فـلا تتهاونـوا في التعاون والمسـاعدة كـل حسب إمكانه ومقدوره ، القليل من الكثير كثير فتعـاونوا واجتمعـوا فإنّ يـد الله مع الجماعة والإجتماع خير وبركة .

وإخر وصيتي ونصيحتي أقولهـا بدءً وعـوداً ولا أخص بها المسلمين بـل أقول : أيّها البشر عليكم بالقـرآن[1] ففيه سـلامتكم بل سعـادتكم ، ولو عمـل

(١) إعلم أيهـا القاريء الكـريم إني حينما كنت أكتب هـذه الكلمات المتـوقدة من كلمـات شيخنـا الإمـام الراحـل (ره) للمطبعـة وقد اشتهـر في الدنيـا أن الدولـة الإيرانيـة اعترفت بـإسـرائيـل ـ الصهيـونية الشـريرة ـ وإن فضيلة العـلامة الأكبـر الشيخ محمـود شلتوت شيـخ جامـع الأزهـر الشـريف استنكر ذلـك وشكى من هذا العمـل المنكر بـرقياً إلى سمـاحة إمـام الشيعـة آيـة الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم في جامعة النجف الأشرف بالعراق وبادر سيدنا الإمام الحكيم إلى إبلاغ الإستنكار الشديد إلى المسؤلين في إيران بواسطة السيد محمد البهبهاني في طهران فأحببت أن أثبت هنا استنكار سيدنا الإمام المرجع الأعلى إلى فضيلة شيخ جامع الأزهـر فإليك نص كلماتهم فيما يلي :

إلى . . . البهبهاني دامت بركاته ـ طهران .

إن بنـاء اعتراف إيـران بإسـرائيل أحـدث ضجة عـظيمـة في المسلمين واستنكـاراً شـديـداً في أوساطهم فالمأمول نصح المسؤلين بالمحافظة على واجبهم الإسلامي ورعايـة شعور المسلمين والله سبحانه الموفق المعين .

محسن الطباطبائي الحكيم

ملخص جواب السيد محمد البهبهاني :

النجف الأشرف . سماحة حجة الإسـلام آية الله السيـد محسن الحكيم دام ظله العالي وصلت برقيتكم الكريمة وأعلمنا صاحب الجلالة الشاهنشاهي بما تضمنته البرقية فأجـاب بعدم صـدور أي شيء من الحكومة الإيرانية يدل على الإعتراف بحكومة إسرائيل وكما أن الحكومة الإيرانيـة ليست بصدد ذلك في المستقبل وإن صاحب الجلالة حريص على حفظ مصالـح المسلمين في جميع أقطار العـالم . وسوف تجـدون تفصيل ذلـك في جواب العـلامة الأستـاذ الشيخ محمـود شلتوت في الصحف الرسمية وغيرها التي تنشر في طهران دام ظلكم العالي متـع الله المسلمين بطول بقائكم .

الاحقر محمد الموسوي البهبهاني عفى عنه

برقية امـام الشيعة الحكيم إلى فضيلة شيـخ جامـع الازهر :

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الازهر ـ القاهرة .

تلقينا برقيتكم الكريمة تستنكـرون فيها اعتـراف إيران بـإسرائيـل فشكرنـا لكم اهتمامكم بـأمور =

الناس به أخذت الدول بتعاليمه لاستراحت البشريّة من هذا التكالب والتحارب ، وعرف كلّ حدّه وحقّه ، القرآن القرآن إجعلوه الجامعة العربيّة والوحدة الإسلاميّة ، وتجنّبوا الخلافات المذهبيّة ، والخصومات الطائفيّة ، وليعمل كلّ على مذهبه في فروعه بغير جدال ولا خصومة ؛ وأقصى الآمال والأماني أن تتوحدّ الحكومة والأمّة فتكون الحكومة كأب بارّ بالرعيّة ، والرعيّة كأبناء في معاونة الحكومة كي يسعد الجميع ويكون العراق كما يقال عن جمهوريّة أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابي ، وأهمّ ما يجب على المراجع المسؤولة إنتخاب الموظّفين المهذّبِين الذين لا يقطعون الصلة بين الحكومة

= المسلمين وحرصكم على تقوية الرابطة الإسلامية بينهم وإننا منذ بلغنا بناء الإعتراف بادرنا إلى إبلاغ استنكارنا الشديد إلى المسؤلين في إيران بواسطة بعض إخواننا العلماء في طهران واوضحنا لهم خطورة الموقف واستياء الأمة الإسلامية ونصحنا لهم بالإحتفاظ بواجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين وتلقينا الجواب موضحاً عدم صدور أي اعتراف من إيران بإسرائيل وإنه ليس في نية الحكومة ذلك لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل ومظهراً للعطف على قضايا المسلمين في كل مكان .

وإننا إذ نستنكر كل خطوة تخذ لتعزيز كيان إسرائيل من أي جهة كانت نلفت أنظار المسلمين كافة إلى الظرف العصيب الذي يحيط بهم وندعوهم جميعاً إلى رص صفوفهم وتوحيد كلمتهم ليقفوا جبهة موحدة أمام التيارات العاتية من قوى الظلم والكفر والطغيان والتي جعلت همها الأول محاربة الإسلام وإبعاده عن واقع المسلمين وما إقامة إسرائيل في فلسطين الا مثل من الأمثلة الكثيرة على محاولة ضرب الإسلام والوقوف في طريقه .

ومن هنا كان لزاماً على المسلمين عامة والحكومات القائمة في بلاد المسلمين خاصة أن يرجعوا إلى حظيرة الإسلام ويلتفوا حول لوائه الظافر الذي هو عنوان نصرهم وعزتهم ويستمدوا تشريعاتهم من ينبوعه الثري ومنهله الصافي ليستعدوا مجدهم وكرامتهم ويحللوا ما حلل الإسلام ويحرموا ما حرمه .

وما هذه المآسي التي ضجت بها حياة المسلمين إلّا أثر من آثار تهاونهم في الإسلام وأبعاده عن إدارة شؤ ن الأمة الأمر الذي ينذرهم بالخطر ويهددهم بالخذلان وختاماً نبتهل إلى العلي القدير أن يجمع كلمة المسلمين على التقوى والهدى ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم

في هذه الكلمات النيرة إيقاظ أن نكبة الأمة والحكومات الإسلامية عامة ليست إلا بسبب عدم تمسكهم بالقرآن وعدم أخذهم بتعاليمه المقدسة وقد نبذوا أحكام الإسلام وقوانينه على ورائهم ظهرياً فوقعوا في الإنحطاط والخزي والعار ورزايا الذل والإستعمار .

والرعيّة بسوء تصرّفاتهم ولا يجعلون الحكومة كذئاب مفترسة لهذا القطيع الوديع باستعمال الضغط الفظيع من الغطرسة[١] والكبرياء والشره إلى الرشوات وارتكاب المنكرات ، حاسبوا أنفسكم أيّها الناس قبل أن تحاسبوا واجعلوا نصب أعينكم المسؤوليّة العظمى ؛ ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾[٢] .

(١) غطرس غطرسة على فلان : تكبّر ـ الرجل : تطاول على أقرانه .
(٢) سورة ٣١ آية : ٣٤ .

خطبة الشيخ "ره" في يوم ميلاد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

قال الله سبحانه في محكم كتابه : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء[1] ﴾ نعم في مثل هذا اليوم أو هذه الليلة أشرقت الأرض بنور ربّها وجيء بوارث النبيّين وجامع علوم الأوّلين والآخرين ، أمام الشهداء وسيّد الصدّقين ، واحتفالنا بانبثاق هذا النور الإلهي في مثل هذا اليوم ليس كاحتفال الأمم بيوم ولادة ملوكها وعظمائها وسلاطينها ورجال نهضتها ، بل إحتفال بالنعمة العظمى والآية الكبرى والمثل الأعلى الذي تنزّلت الأحديّة به من عليا ملكوتها الشامخ وجبروتها الباذخ وقدسي تجردها إلى عوالم الناسوت ، وتقمّص المادّة لتعود المادّة روحا والجسد عقلاً ، والموت حياة ، نحتفل بذكرى ولادة بحر العلم الخضم الذي تدفق بنهج البلاغة وهو نبع من ينابيعه ، وشرعة من مشاريعه ، ولا جاءت العصور ولا انجلت الدهور عن كتاب بعد كتاب الله العظيم أنفع ولا أجمع ولا ألمع وأنصع منه في إقامة براهين التوحيد ودلائل الصنعة ، وأسرار الخليقة ، وأنوار الحقيقة وتهذيب النفس ، وسياسة المدن ، وحكمة التشريع والعظات البليغة ، والحجج الدامغة ، وإنارة العقول ، وطهارة النفوس ، بينما تراه يفيض ينابيع الحكمة النظرية والعملية ، ويرهق على توحيد الصانع ويغرق في

---

(١) سورة ٣٩ آية : ٧٠ .

وصف الملائكة والمجرّدات بياناً ، ويمثّل لك الجنّة والنار عياناً كفيلسوف إلهي ، وملاك روحي وإذاً به يعطيك قوانين الحرب وسوق الجيوش وتعبئة العساكر كقائد حربيّ ومغامر[1] عسكريّ ، لا تلبث أن تجد فيه ما يبهرك من عجيب وصف الطاووس والخفّاش والذرّة النملة فيصفها دقيقاً ويستوعب فيها من عجائب التكوين ، وغرائب التلوين ، وما أودع صانعها فيها من مزايا الفكرة ، وبدائع القدرة ، حتى يخيّل لك من دقّة الوصف أنّه هو الّذي أبدع تصويرها ؛ وقدّر مقاديرها وركّب أعضاءها ، وربط مفاصله ، هو صانعها ومبدعها وصوّرها وقدّرها ، وشقّ سمعها وبصرها .

نحتفل بذكرى ولادة الإمام الذي وضع الدنيا تحت قدميه ، وكانت ـ وهي العزيزة لغيره ـ أحقر شيء لديه ، الإمام الذي عرف حقيقتها وأعطاها حقّها ، فقال : يا دنيا غرّي غيري قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك يا صفراء ويا بيضاء ، غرّي غيري ، الإمام الّذي لولا ضرب ماضيه ما اخضر للإسلام عود ، ولا قام له عمود ، بل لولاه لما استقام الوجود ولا عرف المعبود ، الإمام الّذي إليه تنتهي سلاسل الصوفية ، ومنه نشأت علوم العربية ، ومنه عرف حكماء الإسلام الإستدلال بالأدلّة العقليّة ، الإمام الّذي قال للسائل وهو يخطب على المنبر (عاد ثمنها تسعاً)[2] ثمّ استمرّ في خطبته وهي آية من

---

(١) أي مقاتل ذو بطش الذي لا يبالي بالموت .

(٢) إشارة إلى الجواب الذي أجاب به الإمام (ع) للسائل في المسألة المعروفة بالمنبرية ونقلها أهل السنة عن أمير المؤمنين (ع) أنه سأل عنه وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك إمرأة وأبوين وإبنتين كم نصيب المرأة فقال صار ثمنها تسعاً فلقبت بالمسألة المنبرية . واستدل بها أهل السنة على صحة العول في الفرائض يعني :

إذا زادت السهام المقدرة على قدر الفريضة يجعل النقص موزعاً على جميع الورثة . وأول مسألة وقع العول في الإسلام في زمان عمر حين ماتت إمرأة في عهده عن زوج وأختين فجمع الصحابة وقال لهم فرض الله تعالى للزوج النصف وللأختين لم يبق للزوج حقه فأشيروا علي فاتفق رأيهم على العول ثم أظهر إبن عباس رضي الله عنه الخلاف وبالغ فيه وقال من شاء بأهلته عند الحجر الأسود أن الله تعالى لم يذكر في كتابه نصفين وثلثا .

وبطلان العول من ضروريات مذهب أهل البيت عليهم السلام وعليه إجماعهم واتفقت الشيعة الإمامية على بطلانه تبعاً لأئمتهم عليهم السلام وقالوا أن الزوجين يأخذان حقهما وكذا الأبوان =

آيات العلم النظري ومعجزة من معجزات العقل البشري ، وهي واحدة من آحاد وفريدة من أفراد ، فماذا يقول لمادح والمطري بعد آيات القرآن ومدائح الفرقان ، فمن الحقّ أن يقول القائل :

غاية المدح في علاك إبتداء ليت شعري ما تصنع الشعراء

فصلوات الله عليك يا أمير المؤمنين وعلى المعصومين من أولادك الميامين وعلى الصالحين من شيعتك ومحبّيك .

= ويدخل النقص على البنات ومن تقرب بالأبوين أو بالأب من الأخوات وقد صح عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : إن الذي أحصى رمل عالج ليعلم أن السهام لا تعول على ستة لو يبصرون وجهها لم تجز ستة .

فالقاريء العزيز جد خبير بأن المسألة المعروفة بالمنبرية التي رواها أهل السنة على خلاف ضرورة مذهب أهل البيت (ع) ولذا فقهاء الإمامية قالوا لعلها صادرة من باب التقية ومماشاة على وفق رأي القوم أو استفهام إنكاري أو هو تهجين للعول أي صار ثمنها الذي فرض الله تعالى له عند القائل بالعول كذلك أو سأل كيف يجيء الحكم على مذهب من يقول بالعول فبين الجواب والحساب والقسمة والنسبة فإن على مذهب من يقول بالعول : للأبوين السدسان وللبنتين الثلثان وللمرأة الثمن عالت الفريضة . فكان لها ثلث من أربعة وعشرين ثمنها فلما صارت إلى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعاً فإن ثلثة من سبعة وعشرين تسعها ويبقى أربعة وعشرون للإبنتين ستة عشر وثمانية للأبوين سواء .

وأما على مذهب أهل البيت عليهم السلام فلا يدخل النقص على المرأة والأبوين بل ينقص من البنتين وأخبارهم وأحاديثهم ببطلان العول متظافرة ولفقهاء الإمامية على بطلانه أدلة كثيرة وإلزامات وفيرة وتشنيعات مفصلة في الكتب الفقهية الإستدلالية فراجع .

وغرض شيخنا الإمام (ره) هو الإشارة إلى ما نقله أهل السنة أنفسهم في كتبهم من استحضاره عليه السلام في الجواب في أثناء خطبته وإلزام لهم بإقرارهم في هذا الموضوع مع قطع النظر عن أن مضمون هذا المنقول على خلاف ضرورة مذهب أهل البيت (ع) في مسألة العول .

أنظر إلى مطالب السؤل للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي ص ٢٨ وتاسع البحار ص ٤٦٣ ط أمين الضرب وغيرهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقالة الشيخ "ره" بمناسبة يوم الغدير

كتبها شيخنا الإمام المغفور له بمناسبة يوم الغدير والقيت في احتفال اقيم في تلك المناسبة

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أيّها المؤمنون الذين منّ الله عليهم بالهداية فخرجوا من الغواية إلى عصمة الولاية واستمسكوا بالعروة الوثقى وحبل الله المتين .

إخواني وأولادي حرسكم الله ، أمدكم كلمتي هذه من مائدة الغيب وأقدم لكم هذا الغذاء الروحي من طعام الإلهام ، وأملي عليكم هذا من الولاء الأعلى والروح الأمين واستفتح مقالي بالآية النيّرة الّتي تنزّلت من المبدء الأسمى في هذا اليوم الأغرّ السعيد :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ؛ وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[1] ، ولإستضائة بكلّ واحدة من هذه المصابيح الثلاثة يستدعي البيان الكثير والشرح الوافي ، ولكن نكتفي بلمحة من الكلمة الأولى (اليوم أكملت لكم دينكم) أرأيتكم لو أنّ رجلاً من ذوي العقل والحجى ، منقطع النظير في عقله وشرفه ونبله يتكفّل بتربية أولاد له صغار وكبار والمحافظة على ما لهم من أموال وعقار ، وأشرف على الرحيل من هذه الدار إلى دار القرار ، وهم بعد لم يبلغوا رشدهم الكامل ، ولا يزالون في أشدّ الحاجة إلى من يقوم

(١) سورة ٥ آية : ٦ .

بشؤونهم ؛ وينهض بأعباء تربيتهم وحلّ مشكلاتهم ورفع خصوماتهم ، فلو تركهم ولم ينصب قيّماً عليهم يحسن التربية ، ويحلّ المشكلة ، ويدفع المعضلة ، ويرفع الخصومة ، ولا نص على وليّ فيهم ، أفلا يكون ذلك نقصاً في مرؤته ، وإخلالاً برسانته وتفريطاً في أمانته ، نعم وإنّ شريعة الإسلام المقدّسة ما تركت شيئاً إلّا وجعلت له حقّه ، ولا عملاً إلّا وعيّنت حكمه ، ولا موضوعا إلا وقدّرت حدّه ، وأودعت كلّ ذلك في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولكن هذا الفرقان المجيد في آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم ؛ وهم من يستمدّ من ينابيع الوحي ومطالع الأنوار الأزليّة ، ولو أنّ الرسول لم يعرّف الأمّة بمن اختصّه الله بمعرفة التنزيل والتأويل ، والمحكم والمتشابه والمجمل والمبيّن والناسخ والمنسوخ ، لو لم ينصب للناس إماماً ولم ينصّ على خليفة يقوم مقامه لكانت رسالته ناقصة ، والأبصار إلى كمالها شاخصة ؛ نعم لولا تعيين الوليّ على المسلمين لخان الأمانة فيهم ؛ ولو ترك التعيين إليهم لزادت المحنة وعظمت بالإختلاف البلية ؛ ولو تركوا هلكوا في أيّ واد سلكوا ، والشريعة الّتي ما تركت شيئاً ألّا وذكرت حكمه ، وقدّرت حدّه ، وعيّنت حقّه حتّى أرش الخدش ، وقصّ الشعر ، وتقليم الأظافر كيف يسوغ للعقول القبول بأنّها قد أهملت هذا الأمر العظيم ، أو فوّضته إلى اختيار الضعفاء القاصرين مهما كانت منزلتهم في الدين ، ومن ذلك ينفتح لك الطريق إلى معرفة وجوب عصمة الإمام ، ويتضح مغزى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾[١] ، يا رسول الله إن لم تبلّغ النصّ على خليفتك بعدك فكأنك ما بلّغت شيئاً ممّا أرسلت به ، يعني إذا لم تبلّغ ما أمرك الله به ، إذا لم تعيّن الإمام فكلّ ما بلّغته من الشرائع والأحكام أعدام . ولذا لا يقبل الله عملاً بدون الولاية ، وهي الدعامة الّتي لا يستقر الإيمان إلّا عليها .

---

(١) سورة ٥ آية : ٧٢ .

ومنذ عرف الرسول (ص) أنّه قد أزف[1] رحيله من الدنيا لم يجد بدّاً من امتثال أمره تعالى لإكمال الدين وإتمام الرسالة ؛ وأداء واجب الوظيفة ورفع المسؤولية فجمع المسلمين في غدير خمّ عند منصرفهم من حجّة الوداع وكان الجمع ينيف أو ينوف على الالوف ، فنصّ على عليّ (ع) وقال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، ويعني هذا بالواضح المكشوف أنّ الولاية التي كانت لي من الله هي لعليّ فعلاً ويقوم بها من بعدي عملاً ، وبعد أن أنهى النبيّ (ص) تلك الخطبة البليغة[2] دخل المسلمون بأجمعهم على عليّ وسلموا عليه بإمرة المؤمنين وفيهم من قال له : بخّ بخّ لك يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة . ونظم شاعر الإسلام وشاعر النبيّ (ص) حسان تلك الواقعة بصورتها الصحيحة في أبيات مشهورة أوّلها :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ وأسمع بالنبيّ مناديا[3]

وفي هذا اليوم أو ذلك اليوم اتجه أن يتنزّل الوحي بقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم ؛ ولولا ذلك لكان الدين ناقصاً غير كامل ولا يرتضي هذا النقص أيّ عاقل ، ولا يتجه أيّ معنى للآية بوجه من الوجوه بدون ذلك النصّ والنصب .

---

(١) أزف أي إقترب .

(٢) أنظر الخطبة الشريفة في الإحتجاج للطبرسي (ره) وتفسير الصافي للعلامة الكاشاني (ره) وبحار الأنوار ج ٩ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٨ ط أمين الضرب .

(٣) وبعده قوله :

فقال : فمن مولاكم ونبيكم ؟ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادا علياً معاديا

ولد حسان قبل مولد النبي (ص) بثمان سنين وتوفي سنة : (٥٥) أو (٥٤) ولحسان ترجمة ضافية في الغدير للعلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني ج ٢ ص ٣٤ - ٦٥ وصار حسان عثمانياً بعدما كان علوياً وقال له الصحابي الكبير سيد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري : يا أعمى القلب وأعمى البصر والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده . أنظر تاريخ الطبري ٥ ـ ٢٣١ وشرح النهج لإبن أبي الحديد ٢ ص ٢٥ .

نعم قد كمل الدين وتمّت النعمة من حيث التبليغ والرسالة وإتمام الحجّة ، أمّا من حيث التطبيق والعمل به من الأمّة فذاك شيء آخره لا أريد أن أخوض فيه كي لا أخدش عاطفة أو أمسّ كرامة طائفة ، أو أثير غبار جدل وخصومة ولكنّي أختم في بيتين لشاعر أهل البيت في الصدر الأوّل من الإسلام ، حيث يقول في إحدى هاشميّاته المشهورة[1] :

ويوم الدوح دوح غدير خمّ　　أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها　　فلم أر مثلها خطراً مبيعا

وبارك الله في الشباب الحسيني وفي مقدمتهم الأديب السيد محمّد صلوات حفظه الله ووفقهم لإقامة الإحتفال بذكرى هذا العيد السعيد واليوم التاريخي الخالد . في كلّ حول وعلى كلّ حال ، وإليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه ، رفع الله درجاتنا أجمعين في أعلى علّيين مع النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

١٨ ذي الحجّة ١٣٧٢ هـ

محمّد حسين آل كاشف الغطاء

---

(١) هو شاعر أهل البيت الطاهر ومادحهم والصادع بالحق في حقهم الكميت بن زيد الأسدي صاحب القصائد ولد سنة : ٦٠ ومات مقتولاً شهيداً سنة : ١٢٦ هـ . قوله : يوم الدوح دوح . . .
مذكور في الهاشميات بتفسير أبي رياش أحمد بن ابراهيم القيس ص ١٥٢ - ١٥٣ طبع ليدن . وفي الغدير ج ٢ ص ١٨٠ - ١٨٣ .
قال الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٢ ص ١٩٣ : روى عن الكميت قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقال : أنشدنى قصيدتك العينية فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي فيها :

ويوم الدوح دوح غدير خم　　أبان له الولاية لو أطيعا

فقال صلوات الله عليه : صدقت ثم أنشد عليه السلام :

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً　　ولم أر مثله حقاً أضيعا

وروى القاضي ابو الفتح الكراجكي (ره) في كتابه القيم كنز الفوائد ص ١٥٤ باسناده عن هناد بن السرى قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب في المنام فقال لي : يا هناد ؟ قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : انشدني قول الكميت :
ويوم الدوح دوح غدير خم . . .
قال فانشدته فقال لي : خذ إليك يا هناد ؟ فقلت : هات يا سيدي

جواب سماحة الشيخ "ره" عن سؤال ورد من زنجبار وفيه إشارة إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

كان قد ورد إلى سماحة الإمام كتاب من زنجبار من عبد الله صالح الفارسي بتاريخ ٣ جمادي الأولى سنة ١٣٧٣ هـ ما يلي نصّه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد فإنّي شافعيّ المذهب ولكن صديق حميم لبعض الأثنى عشريّين الأقحاح[١] نخوض بعض الأوقات في الخلافات المذهبيّة ، وقد أخبروني أنّ السادة أبا بكر وعمر وعثمان وسائر العشرة المبشّرة بالجنّة عندكم هم من أهل النار ، أفيمكن هذا بعد أن قال الله في كتابه العزيز ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها إبدأ ذلك الفوز العظيم ﴾[٢]، أليس هؤلاء هم السابقون الأولون من المهاجرين ؟ أوليس هم كذلك ؟ وسيّدنا عمر بن الخطّاب من الّذين قال الله فيهم : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ﴾[٣] وأخبروني أنّهم يلعنون أكثر الصحابة بدل أن يترحّموا عليهم ، فهذا هو حقّنا لسلفنا ؟ أما قسم

---

(١) إقحاح جمع قح الخالص من كل شيء يقال : « فلان كريم قح وإعرابي قح » .
(٢) سورة ٩ آية : ١٠١ .
(٣) سورة ٤٨ آية : ١٩ .

الله المؤمنين إلى ثلاث درجات المهاجرون والأنصار والذين جاءوا من بعدهم ؟ وقد وصفهم بأنّهم يقولون : ﴿ ربّنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنّك رؤف رحيم ﴾[١] ما وصفهم بأنّهم يقولون ربّنا العن ـ فلانا وفلانا ـ ولا تمح في قلوبنا غلاًّ .

وأرجو من عميم فضلكم وخالص علمكم أن لا تبخلوا عليّ بالجواب فقد قال الله تعالى ﴿ إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾[٢] ولا زلتم موئلاً للعلم ومعقله[٣] ولقد صدق الإمام ولا زال الصادق المصدّق حين قال :

ما الفخر إلّا لأهل العلم أنّهم   على الهدى لمن استهدى أدلّاء

من طالب المعرفة والهدى

عبدكم عبد الله صالح الفارسي

المفتّش بالمدارس الحكوميّة في الديانة واللغة العربيّة

وإجابه سماحة الإمام (ره) بما يلي :

وردني كتابك تذكر فيه أنّك شافعيّ المذهب ولكنّك صديق حميم لبعض الشيعة الإثنا عشريّين الأقحاح ، وقد أخبروك أنّ السادة . . وسائر العشرة المبشّرة بالجنّة عندنا من أهل النار ، ثمّ تقول : أفيمكن هذا بعد أن قال الله تعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين الأولين والتابعين لهم بإحسان أولئك رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ إلى آخر الآية ، ثمّ قلت : أفيمكن أن يرتدّوا على أعقابهم وقد رضي الله عنهم بعد أن علم ما في قلوبهم ؟ أفينقلب علم الله جهلاً ؟ ثمّ قلت فيه ، وأخبروني أنّهم يلعنون أكثر الصحابة

---

(١) سورة ٥٩ آية : ١١ .
(٢) سورة ٢ آية : ١٥٩ .
(٣) أي ملجأه .

بدل أن يترحّموا عليهم ، وختمت الكتاب بقولك فيه : وأرجوا من عميم فضلكم وخالص علمكم أن لا تبخلوا عليّ بالجواب إلى آخر ما ذكرت في كتابك وجميل خطابك ، وما أوردت فيه من الآيات البيّنات ، والكلمات الطيّبات .

واعلم أوّلاً وكن على يقين أنّ العقلاء والمهذّبين من الإثني عشريين ليسوا بلعّانين ولا سبّابين ، وإنّ أئمتنا أهل البيت سلام الله عليهم حرّموا علينا السبّ والشتم فنحن لا نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المرضيّين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ولكن لا بدّ لنا في الجواب أن نكشف لك الغطاء عن الحق الناصع والأمر الواقع ، ونوضح لك على وجه الإجمال والإشارة ولا شك أنّك حرّ تكفيه الإشارة . والحقّ الذي لا يسعك إنكاره ولا شك أنك تعرفه ويلزمك أن تعترف به هو أنّ الصحابة الذين صحبوا النبيّ (ص) من المهاجرين الذين هاجروا معه والأنصار الذين نصروه ليس كلّهم مرضيّين ومشمولين بقوله تعالى : رضي الله عنهم ورضوا عنه . ولا داخلين في إخواننا الذين سبقونا ، والقرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا ويدلّ بعضه على بعض ، ويلزم ضمّ بعض الآيات إلى بعض حتّى تتجلّى الحقيقة ناصعة لامعة ولو كان كلّ الصحابة مرضيّين قد رضي الله عنهم ورضوا عنه إذاً فأين محلّ قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ﴾[1] ، وليت شعري وما أدرى ولعلّني أدري من هؤلاء الذين انقلبوا على أعقابهم ؟ ومن المعلوم أنّ الإستفهام في الآية إنكاري ، ومعناه ومورده أن يقع عمل من شخص أو أشخاص فينكره المتكلّم بصورة الإستفهام ، ومعنى إنكاره الإشارة إلى أنّه عمل منكر وشيء شنيع .

وأزيدك إيضاحاً ودلالة ودفعاً لما عرضك من الشبهة ذاك أنّه كما أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً كذلك السنّة النبويّة والأحاديث تفسّر القرآن وتوضحه وتشرحه ، أنظر صحيح البخاري الذي هو أصحّ كتب الحديث عند الشافعيّة

---

(١) سورة ٣ آية : ١٤٤ .

وغير الشافعيّة من المذاهب الأربعة فإنّك تجد فيه وفي أخيه صحيح مسلم عدّة أحاديث عن رسول الله (ص) مختلفة الأساليب متّحدة المعنى ، ويأخذ بعضها بيد بعض ، منها قوله (ص) : أنا فرطكم على الحوض ليرفعنّ إليّ رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول أي ربّ أصحابي ، فيقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فيؤمر بهم إلى النار ، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر وبدّل بعدي . ويقول في بعضها لأصحابه : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . ويقول في حديث ما لفظه أو مضمونه : يؤمر بجماعة من أصحابي إلى النار ، فأقول ما شأنهم ؟ فيقال إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري وهذا الذي أمليه عليك هو من مطالعاتي ومحفوظاتي قبل خمسين سنة ولا فرصة حالاً على تجديد المراجعة فراجع أنت إذا شئت حتّى يتّضح لك جليّاً أن ليس كلّ الأصحاب ممّن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأنّ الكثير والأكثر قد ارتدّوا بعد رسول الله (ص) وانقلبوا على أعقابهم بنصّ القرآن والأحاديث النبويّة من كتبكم أنتم لا من كتب الشيعة الإثني عشريّة ، وأتخطر إنّي أحصيت من الصحيحين البخاري ومسلم أكثر من عشرين حديثاً بأسانيد متعدّدة وعبارات مختلفة كلّها تنصّ صريحاً أنّ أكثر الأصحاب بعد رسول الله (ص) غيّروا وبدّلوا ، ورجعوا إلى جاهليّتهم الأولى ، وارتدّوا على أدبارهم وانقلبوا على أعقابهم ، وما رضي الله عنهم ولا رضوا عنه ، وأسخطوا الله ورسوله بأعمالهم راجع الصحيحين[1] تجد ذلك جليّاً واضحاً .

ثمّ هب أننا أغمضنا النظر عن الكتاب والسنّة وتلك الأدلّة الباهرة فلنرجع إلى الحسّ والوجدان ، فإنه أقوى شاهد وبرهان ، لنرجع إلى الأمر الواقع والقضيّة الراهنة ، أرأيت لو وجدت شخصين يختصمان في أمر معيّن حتى تبلغ بهما الخصومة إلى حدّ أن يستحلّ أحدهما قتل الآخر فهل تجد بعقلك مجالاً للحكم بأنّ الحقّ مع كلّ واحد منهما ؟ أي أنّ الحقّ في جهتين

---

(١) يأتي نصوص الروايات الواردة عن النبي (ص) في حق الصحابة نقلاً عن الصحيحين في تعاليقنا الملحقة بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

تناقضتين في السلب والإيجاب ، كلّا ، فالحقّ لا يتناقض والسلب والإيجاب نقيضان ، والنقيضان لا يجتمعان كما لا يرتفعان ، أليس الخليفة عثمان من الصحابة المبرّزين والمهاجرين الأولين ؟ أليس قد اجتمع على قتله أهل المدينة ؟ وكلّهم أو جلّهم من الصحابة بالضرورة ، ومعهم جمع من رجال الأقطار الإسلامية ، ثمّ قتلوه تلك القتلة الشنيعة ، وقد قال رسول الله (ص) في حديث متواتر لا يحلّ قتل المسلم إلّا بواحدة من ثلاث : ردّة عن إيمان ، أو زينة في إحصان ، أو قصاص في قتل نفس محرمة ، وأنا لا أدري بأيّ واحدة من هذه الثلاث استحلوا قتل الخليفة ، ولعلّ أهل المدينة أعلم وأدرى .

ثمّ أليس طلحة والزبير من أخّص أصحاب رسول الله (ص) ومن المجاهدين السابقين والمهاجرين الأولّين وسيف الزبير هو السيف الّذي طالما كشف به الكرب من وجه رسول الله ؟ ثمّ ألم يخرجا على أمير المؤمنين عليّ (ع) وخدعا المرأة المسكينة عايشة أمّ المؤمنين الّتي تجمّلت ثمّ تبغّلت ، وقد قتلا في تلك الحرب الضروس ، وما قتلا حتّى قتل بسبب بغيهما على إمام زمانهما الذي بايعاه ثم نكثا بيعته بغياً عليه ، ما قتلا إلّا بعد أن قتل في تلك الوقعة أكثر من عشرة آلاف قتيل تقريباً أو تحقيقاً ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي ﴾[1] ، وما أدرى هل أنّ طلحة والزبير (والهفى عليهما) هل هما من الّذين عناهم رسول الله بقوله أرى جماعة من أصحابي يؤخذ بهم إلى النار فأقول ربّ أصحابي أصحابي ، فيقال لي ما تدري ما أحدثوا بعدك ، إنّهم رجعوا القهقري وارتدّوا بعدك .

أمّا معاوية الّذي تعدّونه أيضاً من الصحابة وبغيه على أمير المؤمنين (ع) في حرب صفّين الّتي قتل فيها من الفريقين أكثر من عشرين ألف قتيل على ما خطر ببالي ، فلا أعدّها في عداد تلك الحوادث لأنّ معاوية وأباه أبا

---

(١) سورة ٤٩ آية : ٩ .

سفيان والحكم وإبنه مروان ما أسلموا ولا آمنوا بالله طرفة عين لا قبل الفتح ولا بعده وإنّما دخلوا في صورة الاسلام لهدم دعائم الاسلام ، وقد قتل معاوية غير من قتله من المسلمين في صفّين خيرة الرجال من الصحابة كعمرو بن الحمق[١] وحجر بن عدي[٢] وأصحابه العشرة قتلهم صبراً وظلماً وعدواناً ، وفظايع معاوية ومحاربته لله ولرسوله ، وقتله لريحانتي رسول الله الحسن والحسين أكثر من ان تحصى وتعدّ ، وهو عندكم صحابيّ من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه فان كان هذا هو الاسلام فعلى الاسلام السلام ، والبقاء على الكفر خير من هذا الاسلام أي إسلام معاوية وأبى سفيان والحكم ومروان الوزغ ابن الوزغ كما قال رسول الله (ص) وعلى كلّ فلا أحسب إلّا انّ الحقّ قد تجلّى لديك وسطعت شمس الحقيقة عليك والكناية أبلغ من التصريح[٣] .

---

(١) عمرو بن الحمق الخزاعي صحابي جليل في غاية الجلالة والوثاقة من أصفياء أمير المؤمنين (ع) وخواصه وصاحب أسراره ، سقى النبي (ص) فقال صلى الله عليه وآله : اللهم أمتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء علمه أمير المؤمنين (ع) إسم الله الأعظم وقال سيد الشهداء (ع) في كتابه إلى معاوية : « أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه » ورأسه أول رأس حمل في الإسلام وشهروه على قناة إلى معاوية .

الحمق بالحاء المهلة المفتوحة والميم المكسورة والقاف خفيف اللحية أنظر تنقيح المقال ، أسد الغابة ، الغدير ج ١١ رجال الكشي .

(٢) حجر بن عدي الكندي الصحابي جلالته أشهر من أن يحيط بها القلم ويجري عليها الرقم من جلة الشهداء الأحرار المجاهرين بالحق والصادعين بمحبة أمير المؤمنين (ع) قتله معاوية سنة : (٥١) أو (٥٣) هـ أنظر تنقيح المقال وأسد الغابة وغيرهما .

(٣) يوضح هذا الجواب رد قيس بن سعد الأنصاري على النعمان بن بشير الأنصاري في صفين عندما دعاه إلى اللحوق بمعاوية قائلاً : والله ما كنت أراك يا نعمان تجتريء على هذا المقام .

أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه المبطل فيما إنتصح غيره ، أما ذكر عثمان فإن كل الإنجاز يكفيك فخذه : قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك ، وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار ، وأما قولك أنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله (ص) نلتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن أنظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً إعرابياً أو يمانياً مستدرجاً ، وأنظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا =

ويشهد الله والمسلمون أنّي أكره الخوض في هذه المكربات الّتي تثير الدفائن ، وتنثر الضغائن في صدور طوائف المسلمين ولكن إلحاحك في طلب الجواب بعثني إلى تحرير هذه الكلمة على جري القلم وعفو الخاطر ، وكره منّي ، وليس هذا من خطّتي وخطواتي وأنا منذ خمسين سنة وأدعو إلى توحيد كلمة المسلمين ونبذ الشحناء والبغضاء ، والإعتصام بحبل الله المتين من الإلفة وعدم الفرقة ، والأخذ بالأخوة التي عقدها القرآن بين المسلمين ، فقال تعالى : ﴿ إنّما المؤمنون أخوة ﴾[1] : ويشهد لذلك مؤلّفاتي كمقدّمة (أصل الشيعة) الّذي طبع زهاء عشر طبعات وترجم إلى عدّة لغات وغيرها ، ولكنّي وجدتك قد أحرجتني وهدّدتني بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾[2] ولم أجد بداً لرفع المسؤولية من الإشارة إلى طرف من الواقع . إن لم يكن الحقّ كلّه فناحية من نواحيه ، ولعلّها تلقي ضوئها الصاحي على سائر ضواحيه ؛ وأختم كلمتي هذه بكلمة وجيزة لجدّي الأعلى الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب كشف الغطاء (قده)[3] حيث يقول في خاتمة كلام له : أحضر أحوال القوم بين يديك وتوجّه للنظر فيها بكلتي عينيك وتفكر

= عنه . أنظر كتاب (الإمامة والسياسةلإبن قتيبة) الذي أثبتنا أنه من تأليفات إبن قتيبة في مقالنا الضافي المنتشر في مجلة (العرفان) المجلد ٤٣ ص ٥٠٨ وأجبنا جواباً تحليلياً عن الإشكالات الواهية التي أوردها الأستاذ أحمد صقر المصري في مقدمة « تأويل مشكل القرآن » لإبن قتيبة ص ٢٧ ط مصر حققنا أن كل ما ذكره تبعاً وتقليداً لبعض المستشرقين في نفي ذلك الكتاب عن إبن قتيبة كذب واختلاف فراجع وطالع مقالنا مع إمعان النظر .

(١) سورة ٤٩ آية : ١٠ .

(٢) سورة ٢ آية : ١٥٩ .

(٣) الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي النجفي أمام الطائفة وشيخها الأكبر من أساطين الدين وأركان المذهب وزعيم الشيعة الأعظم وشيخ الفقهاء صاحب كشف الغطاء وغيره من المؤلفات النفسية .

وقد جاء الشيخ الأكبر (ره) إلى ـ إيران ـ تبريز في أوائل الثورة الروسية حينما تداخلت أيديهم الغاشمة على ـ إيران في أيام فتح علي شاه القاجاري ليحرض الناس على الدفاع عن البلاد الإيرانية واتفق في تبريز لقاء الشيخ (ره) مع جدنا القاضي الكبير الحاج ميرزا محمد مهدي القاضي الطباطبائي (ره) المتوفي : « ١٣٤١ » هـ وأوجد ذلك أثراً عظيماً في النقوس توفي الشيخ (ره) سنة (١٢٢٨) هـ .

في الفروع والإيقاع لتعلم حال الأصول وينقطع النزاع ، لعلّ البصرة تبصرك وجملها ينذرك وصفين تصفيك ، وكربلاء والكوفة تكفيك ، واختلاف ذات البين وحصول الشقاق في الجانبين أبين شاهد على أنّ الحقّ في جانب واحد ، وإن الحكم بحقيّة الطرفين إعتقاد فاسد (إنتهى) وأقول ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾[1] سبحانك ﴿ ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾[2]

٧ رجب ١٣٧٣ هـ في مدرستنا العلميّة

محمد حسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٢٨ آية : ٥٦ .

(٢) سورة ٦٠ آية : ٤ .

فاطمة الزهراء "ع"

طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صـدر الإسلام القـرن الأوّل : مثل كتاب سليم بن قيس[1] ومن بعده إلى القـرن الحادي عشـر وما بعـده بل وإلى

---

(١) كتاب جليل معتمد صنفه سليم بن قيس الهلالي المتوفي حـدود سنة (٩٠) هـ من أوليـاء أمير المؤمنين (ع) وصاحبه ومن خواصه .

وكتابه من الأصول الشهيرة المعتمدة عند الخاصة والعامة قال الإمام الكبير النعماني (ر ه) في كتاب الغيبة ما هذا لفظه : وليس بين جميع الشيعة ممن حمـل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السـلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبـر كتب الأصول التي رواهـا أهل العلم وحملة حديث أهل البيت (ع) وأقدمها لأن جميع ما اشتمل عليه الأصل إنما هو من رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وسمع منهما وهو من الأصول التي تـرجع الشيعـة إليها وتعول عليها (أ . هـ) .

وقال إبن النديم في الفهرست : هو أول كتاب ظهر للشيعة . ومراده أنه أول كتاب ظهر فيه أمر الشيعة كما أشير إليه في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام في توصيفه بأنه أبجد الشيعة قال عليه السلام : (من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينـا كتاب سليم بن قبس الهـلالي فليس عنده من أمرنـا شيء ولا يعلم من أسبابنـا شيئاً وهـو أبجد الشيعـة وهو سـر من أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله) .

وقال القاضي بدر الدين السبكي المتوفي سنة (٧٦٩) هـ في كتابه محاسن الوسائل في معـرفة الأوائل : إن أول كتاب صنف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي (أ . هـ) ولكن القـاريء العزيز خبير إن كتاب السنن تصنيف أبي رافع المتوفي في العشر الخامس الـذى اشترى معـاوية داره بعد موته هو مقدم عادة على تصنيف سليم المتوفي سنة (٩٠) .

يومنا كلّ كتب الشيعة الّتي عنيت بأحوال الأئمة ، وأبيهم الآية الكبرى وأمّهم الصديقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين ، وكلّ من ترجم لهم وألّف كتابا فيهم ، أطبقت كلمتهم تقريباً أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة : إنّها بعد رحلة أبيها المصطفى ضرب الظالمون وجهها ولطموا خدّها ، حتّى احمرّت عينها وتناثر قرطها ، وعصرت بالباب حتّى كسر ضلعها ، واسقطت جنينها ، وماتت وفي عضدها كالدملج ، ثمّ أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ، ونظموها في أشعارهم ومراثيهم وأرسلوها إرسال المسلّمات : من الكميت[1] والسيد الحميري[2] ودعبل الخزاعي[3] والنميري[4] والسلامي[5] وديك الجنّ[6] ومن بعدهم ومن قبلهم إلى هذا العصر ، وتوسع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الّذي نحن فيه ، كالخطي[7] والكعبي[8] والكوازين[9] وآل السيد مهدي

---

(١) الكميت الأسدي شاعر أهل البيت (ع) وخطيب بني أسد وفقيه الشيعة توفي (١٢٦) هـ .

(٢) السيد الحميري إسماعيل بن محمد سيد الشعراء له شهرة طائلة وفضائل جمة توفي ببغداد (١٧٩) هـ .

(٣) دعبل بن علي الخزاعي من مشاهير شعراء أهل البيت (ع) صنف كتاب طبقات الشعراء توفي (٢٤٥) هـ .

(٤) النميري منصور بن سلمة الزبر قان الشاعر الجزري البغدادي شاعر أهل البيت (ع) ومادحهم في ستار التقية توفي (٢١٠) هـ .

(٥) محمد بن عبد الله السلامي البغدادي الشهير من أشعر شعراء العراق قال الشعر وهو إبن عشر سنين في المكتب توفي (٣٩٣) هـ .

(٦) عبد السلام الملقب بديك الجن أستاذ أبي تمام ولقيه أبو نواس في « حمص » لأنه لم يخرج منها فلم يذهب للعراق ولا لغيرها من الأقطار توفي (٢٣٦) هـ .

(٧) (٨) راجع ترجمتهما في شعراء الغرى للشيخ علي الخاقاني النجفي صاحب « مجلة البيان » الصادرة في النجف الأشرف .

(٩) الشيخ حمادي الكواز توفي (١٢٨٣) هـ ولم يتجاوز عمره (٣٨) سنة وأخيه الشيخ صالح الكواز توفي (١٢٩٠) هـ وعمره (٥٧) سنة ونجله الأصغر الشيخ عبد الحسين الكواز إبن الشيخ صالح المذكور توفي حوالي سنة : (١٢٩٥) هـ إبن نيف وعشرين سنة تقريباً .

أنظر البابليات ج ٢ ص ٥٨ ـ ٨٧ ـ ١٠٨ للشيخ محمد علي اليعقوبي التبريزي ـ عميد جمعية الرابطة العملية الأدبية في النجف الأشرف . قيل أن أباه أو أحد أجداده نسب إلى « تبريز » خوفاً من الجندية في زمن الإتراك العثمانيين . ويقال أن أصله من بلدنا العزيز « تبريز » وهو عجمي الأصل ولكنه يقصد من أدعاءاً سبب الإنتساب الذي ذكرناه إثبات أنه عربي صميم =

الحليّين(١) وغيرهم ممن يعسر تعدادهم ، ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم ، وكلّ تلك الفجائع والفظائع وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة ومن موجبات الوحشة والدهشة ولكن يمكن للعقل ان يجوزها وللأذهان والوجدان أن يستسيغها ، وللأفكار أن تقيلها وتهضمها ، ولا سيّما وأنّ القوم قد اقترفوا في قضيّة الخلافة وغصب المنصب الإلهي من أهله ما يعد أعظم وأفظع .

ولكن قضيّة ضرب الزهراء ولطم خدّها ممّا لا يكاد يقبله وجداني ويتقبّله عقلي ، ويقتنع به مشاعري ، لا لأن القوم يتحرّجون ويتورّعون من هذه الجرأة العظيمة ، بل لأنّ السجايا العربيّة والتقاليد الجاهليّة الّتي ركزتها الشريعة الإسلامية وزادتها تأييداً وتأكيداً تمنع بشدّة أن تضرب المرأة أو تمدّ إليها يد سوء ، حتى أنّ في بعض كلمات أمير المؤمنين (ع) ما معناه : أنّ الرجل كان في الجاهلية إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله .

ويدلّك على تركّز هذه الركيزة بل الغريزة في المسلمين وأنّها لم تفلت من أيديهم وإن فلت منهم الإسلام : أنّ إبن زياد وهو من تعرف في الجرأة على الله وإنتهاك حرماته لمّا فضحته الحوراء زينب (ع) وأفلجته وصيّرته أحقر من نملة ، وأقذر من قملة وقالت له ثكلتك أمّك يا إبن مرجانة . فاستشاط غضباً من ذكر أمّه الّتي يعرف أنها من ذوات الأعلام ، وهمّ أن يضربها ، فقال له عمرو بن حريث وهو من رؤوس الخوارج وضروسها إنّها إمرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، فإذا كان إبن مرجانة إمتنع من ضرب العقيلة خوف

= ـ والحق وما في الحق مغضبة ـ إنه لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى كما صدع به صاحب الرسالة المقدسة (ص) وقال تعالى : إنما أكرمكم عند الله أتقاكم . هذا هو الميزان الحقيقي في الإسلام وأما هذه التعصبات القومية والعصبيات الممقوتة التي صارت من أمراضنا الإجتماعية بإيعاز وبعث من أرباب السياسة الغاشمة وأذناب الإستعمار فلا تجدي إلا تفرقة كلمة المسلمين ومحق إتحادهم الصحيح ومحوه .

وعلى أي نحو كان ـ من كون الشيخ اليعقوبي تبريزي الأصل أولاً ـ فهو خطيب شهير عربي في جامعة العلم النجف الأشرف وشاعر كبير أديب مفلق مجيد وكتابه البابليات من الكتب الممتعة وفي أوله تصدير بقلم شيخنا الإمام الراحل زاد عليه بهجة وجمالاً باهراً .

(١) أنظر إلى تراجمهم في البابليات للخطيب المصقع الشيخ محمد علي اليعقوبي .

العـار والشنار وكلّه عـار وشنار ، وبؤرة عهـار مع بعـد العهد من النبيّ (ص) فكيف لا يمتنع أصحاب النبيّ (ص) مع قرب العهد به من ضـرب عزيـزته ، وكيف يقتحمون هذه العقبة الكؤود ولو كانوا أعتى وأعدى من عاد وثمود . ولو فعلوا أو هموا أن يفعلوا أما كان في المهاجرين والأنصار مثل عمرو بن حـريث فيمنعهم من مـدّ أليد الأثيمـة ، وإرتكاب تلك الجـريمة ، ولا يقـاس هذا بمـا ارتكبوه واقترفوه في حقّ بعلها سلام الله عليه من العـظائم حتّى قادوه كـالفحل المخشوش فإنّ الرجال قد تنال من الرجال ما لا تناله من النساء .

كيف والزهراء ـ سلام الله عليها ـ شابّة بنت ثمـانية عشـر سنة ، لم تبلغ مبـالغ النسـاء وإذا كان في ضـرب المرأة عـار وشنـاعـة فضـرب الفتـاة أشنـع وأفـظع ، ويزيـدك يقيناً بمـا أقول أنّهـا ـ ولها المجـد والشرف ـ مـا ذكرت ولا أشارت إلى ذلك في شيء من خطبها[1] ومقالاتها المتضمنّة لتظلّمهـا من القوم وسوء صنيعهم معها مثل خطبتها الباهـرة الطويلة الّتي ألقتهـا في المسجد على المهـاجرين والأنصـار ، وكلماتهـا مع أميـر المؤمنين (ع) بعـد رجـوعهـا من المسجد ؛ وكانت ثائرة متأثرة أشدّ التأثـر حتّى خرجت عن حـدود الآداب الّتي لم تخرج من حظيـرتها مـدّة عمرهـا ، فقالت لـه : يا إبن أبي طـالب إفترست

---

(١) لعل عدم إشارة الصديقـة الطاهـرة سلام الله عليهـا إلى أعمال القـوم من الضرب واللطم وكـذا عدم إشارة أميـر المؤمنين (ع) إلى تلك الأعمال الصـادرة منهم في حق الزهـراء البتول (ع) إنما هو من جهة عدم الإعتناء لما صدر منهم من تلك الأعمال الرذيلة فإن الأكابر والأعـاظم من الرجال فضلاً عمن هو في مقـام العصمة والولاية لا يعبأون بمـا يصدر من الأراذل والأخسـة في حقهم من الوهن وعدم رعاية الإحتـرام بمثل الضـرب واللطم فإن تلك الأشخـاص في أنظارهم المقدسة كالأنعام بل هم أضل . فهـل ترى أن حيـواناً إذا ركض شخصـاً جليلاً أن يقـابله بمثل عمله وسوء صنيعه ؟ أو يأتي هذا الشخص إلى حشد من الناس وأندية قوم شاكياً من عمل هـذا الحيوان ؟ بل إذا خاطبهم الجاهلون بالأقوال الشائنة والأفعـال الشنيعة كـالضرب واللطم والشتم وأمثالها مروا كراماً وقالوا سلامـاً وكان عـدم إشارة أميـر المؤمنين (ع) وكذا الصـديقة الـطاهرة (ع) إلى أعمال القوم لهذه العلة . وأما شكواها من غصب الخـلافة وغصب فـدك فإن لهـذين الأمرين من الأهمية والإعتناء ما ليست لغيرهما .

وقضية مالك الأشتر وسخرية رجل ووهنه عليه وعدم اعتنائه لـه معروفـة فما ظنـك بسيده وسيـد الموحدين أمير المؤمنين (ع) وسيدة نساء العالمين (ع) ولكن شيخنا الأستاذ (ره) هو أعرف وأبصر بما جادت به يراعته الشريفة . عليه من الله شآبيب الرحمة .

الذئاب وإفترشت التراب ـ إلى أن قالت : هذا ابن أبي فلانة يبتزّني نحلة أبي وبلغة إبني ، لقد أجهد في كلامي ، وألفيته الألدّ في خصامي ولم تقل أنّه أو صاحبه ضربني ، أو مدّت يد إليّ وكذلك في كلماتها مع نساء المهاجرين والانصار بعد سؤالهنّ كيف أصبحت يا بنت رسول الله ؟ فقالت : اصبحت والله عائفة لدنياكنّ ، قالية لرجالكنّ ، ولا إشارة فيها إلى شيء عن ضربة او لطمة ، وانّما تشكو أعظم صدمة وهي غصب فدك واعظم منها غصب الخلافة وتقديم من أخرّ الله وتأخير من قدّم الله ، وكلّ شكواها كانت تنحصر في هذين الامرين وكذلك كلمات امير المؤمنين (ع) بعد دفنها ، وتهيّج أشجانه وبلابل صدره لفراقها ذلك الفراق المؤلم : حيث توجّه إلى قبر النبيّ (ص) قائلاً : السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك إلى آخر كلماته[1] الّتي ينصدع لها الصخر الأصمّ لو وعاها ، وليس فيها اشارة إلى الضرب واللطم ولكنه الظلم الفظيع والامتهان الذريع ، ولو كان شيء من ذلك لأشار إليه سلام الله عليه ، لأنّ الامر يقتضي ذكره ولا يقبل ستره ، ودعوى أنّها أخفته عنه ساقطة بأنّ ضربة الوجه ولطمة العين لا يمكن اخفاؤها .

وأمّا قضيّة قنفذ وأن الرجل لم يصادر أمواله كما صنع مع سائر ولاته وأمرائه وقول الإمام (ع) : أنّه شكر له ضربته فلا أمنع من أنه ضربها بسوطه من وراء الرداء وإنّما الّذي أستبعده أو أمنعه هو لطمة الوجه وقنفذ ليس ممن يخشى العار لو ضربها من وراء الثياب أو على عضدها[2] وبالجملة فإنّ وجه

---

(١) نقلها سيدنا الرضي (ره) في نهج البلاغة فراجع .

(٢) يظهر من هذا الكلام أن مراد شيخنا الإمام (ره) من أول هذا المقال إلى آخره هو استبعاد أن تصل يد أثيمة من أجنبي إلى بدن الصديقة الطاهرة ووجهها سلام الله عليها بالضرب واللطم وهذا الإستبعاد في محله فإنه لا يمكن أن يصل يد اجنبي إلى بدنها قطعاً وإما الضرب من وراء الثياب والرداء فلا استبعاد في ذلك في نظره رحمه الله كيف وقد طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام إلى اليوم وأطبقت كلمتهم إنها ضربت بعد أبيها حتى كسر ضلعها وأسقطت جنينها وماتت وفي عضدها كالدملج .

ووافقهم على هذا الرأي كبير علماء المعتزلة وريسهم إبراهيم بن سيار البصري المعروف بالنظام المتوفي (٢٢١) هـ أستاذ الجاحظ . قال : (كما في الجزء الأول من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٧٧ ط مصر ١٣٦٨ هـ) ما هذا لفظه : أن عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوا الدار بمن فيها وما =

فاطمة الزهراء هو وجه الله المصون الّذي لا يهان ولا يهون ويغشى نوره العيون ، فسلام الله عليك يا أمّ الأئمة الأطهار ما أظلم الليل وأضاء النهار ، وجعلنا الله من شيعتك الأبرار ، وحشرنا معك ومع أبيك وبنيك في دار القرار .

= كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين (أ. هـ.) .

وهكذا نقله عنه صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات كما في العبقات للعلامة السيد حامد حسين الهندي (ره) .

وقال المؤرخ الكبير علي بن الحسين المسعودي (ره) في كتابه « إثبات الوصية » ما هذا لفظه : أقام أمير المؤمنين (ع) ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله (ص) فوجهوا إلى منزله فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً ، وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال لا أفعل فقالوا نقتلك فقال اقتلوني فإني عبد الله وأخو رسوله وبسطوا يده فقبضها ، وعسر عليهم فتحها فمسحوا عليها وهي مضمومة (أ. هـ.) أنظر ١٢١ ـ ١٢٢ ط النجف .

علي فوق العبقريات

شاع في هذه العصور الأخيرة بين حملة الأقلام والمؤلفين في أرض الكنانة إنتاج مؤلفات تنشر بعنوان (العبقريات) أي عبقريّة كبير من رجالات الصدر الأوّل في الإسلام ، فهذا عبقريّة الخليفة الأوّل ، وذاك عبقريّة الثاني وهكذا ، وفي غضون هذه المحاولات أو الحالات وردتني برقيّة مفصّلة من جماعة من شخصيّات ممن لهم مكانة في العاصمة يندبوني فيها أحرّ ندبة إلى تأليف كتاب في عبقريّة الإمام (علي بن أبي طالب) سلام الله عليه ؛ ويتعهّدون بنشره من فوره فكتبت إليهم معتذراً بأنّي لم أجد نفسي كفاية لإيفاء هذا الموضوع حقّه ، وما كانت القضيّة قضيّة إعتذار ومدافعة بل هي حقيقة راهنة ، وقضيّة مبرهنة فإنّ الكتابة عن عبقريّة شخصيّة بارزة كالخليفة الأول أو الثاني أمر ممكن ، وموضوع قريب التناول ، ليس بينك وبينه إلّا أن تراجع كتب التأريخ ، وهي على طرف التمام منك فتذكر فتوحهم وخدماتهم للإسلام ، كحرب أهل الردّة ، وتنفيذ جيش أسامة ، وتجهيز الجيوش إلى حروب القادسيّة والشام وما إلى ذلك ، أمّا الكتابة عن شخصيّة كعلي بن أبي طالب (ع) الذي لا تعدّ مناقبه ، ولا تحصى فضائله بل لو أراد الكاتب مهما كان أن يكتب في كلّ واحدة من مزاياه وخصائصه مؤلفاً ضخماً لما استطاع أن يوفيها حقّها ، ويستوفي جميع خصوصياتها ، أنظر مثلاً إلى شجاعته ومواقفه في سبيل الدعوة إلى الإسلام وتضحياته العظمى وهو إبن عشرين أو دونها .

أنظر كيف اشتبك مع مشاهير الفرسان ، وبارز جمهرة الأبطال الّذين يعدّ واحدهم بألف ، فغلبهم وسقاهم الحتف ، وهو يومئذٍ غلام لم يمارس الحروب . ولم يتمرّن على التقحّم في لهوات المنايا ، وقد سارت بل صارت وقائعه ، وفوزه الباهر في بدر وأحد وحنين والأحزاب وما إليها ، نعم سارت مسير الأمثال ولا حاجة إلى ذكره ، ولكن لو أراد الكاتب مهما كان مطّلعاً ومضطلعاً بالكتابة ، ومالكاً أعنّة البيان أن يستوفي خصوصيات هذه الشجاعة من صبيّ نشأ وتربّى في بيت أبيه شيخ البطحاء أبي طالب . وفي حجر ابن عمّه محمّد (ص) ربيب نعمة ، وفي ظلّ راحة ودعة ، لم ينشأ في الصحاري والقفار والبيداء ولم يتعلّم الفروسيّة وتقحّم الهيجاء ، فمن أين أخذ هذه الدروس ؟ وكيف استطاع التغلّب على تلك النفوس ؟ نعم لو أراد الكاتب تحليل هذه القضية المعماة ، واستكناه أسرارها وبواعثها وتطبيقها على مجاري العادة نكص حائراً ووقف مبهوتاً ، دع عنك صفّين والجمل والنهروان وهو شيخ كبير قد لهذه القتير[1] فلم يختلف حاله في الشجاعة والبسالة بين إبّان صباه وهو ابن العشرين وبينها وقد جاز عتبة الستين ، وهكذا لو أراد أن يكتب عن بلاغته ، ومعجز يراعته في كلماته القصار ، والجمل الصغار فضلاً عن خطبه الطوال كالقاصعة والأشباح والملاحم ، وخطبه في وصف الطاووس والخفّاش وأمثالها .

نعم لو أردت أن تدفع الكاتب إلى أن يكتب عن بلاغة (نهج البلاغة) فقد يهون عليه قلع كلّ واحد من أضراسه دون أن يتسلق هذه العقبة الكؤود وهكذا كلّ واحدة من مزاياه وخصائصه الّتي إختصّ بها ، ولم يشاركه أحد فيها من الكبراء في صدر الإسلام . مثل سبقه إلى الإسلام وعدم سجوده لصنم ، وما عبد غير الله جلّ شأنه ، ولا شرب خمراً في جاهليّة ولا إسلام ، أمّا لو ضربت بفكرك إلى زهده وعزوفه عن الدنيا جراب سويق الشعير الّذي

---

(١) القتير أول الشيب . ولهزه خالطه والمعنى خالطه الشيب .

(الفقيد الإمام)

يحدّثنا عنه الأحنف بن قيس [١] حين وصفه لمعاوية سويق الشعير الجاف بنخالته الذي عاش عليه طيلة حياته وهو خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، والأموال تجبى إليه من خراسان إلى الكوفة ؛ وهو يقول : ألا وأنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً [٢] . فهل يستطيع المتبحّر والمتحرّي أن يأتينا بشخص منذ عرفت الدنيا نفسها ، وعرفها أهلها ، يحوي واحدة من هذه الصفات بتلك الخصوصيّات وهذا الّذي ذكرناه قطرة من بحر ولحظة من دهر [٣] ، وقد قال رسول الله (ص) فيه : يا عليّ ما

---

(١) الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي البصري تابعي كبير من العلماء الحكماء ولد في عهد رسول الله (ص) ولم يصحبه قال ابن الأثير : إنه كان أحد الحكماء الدهات العقلاء (أ . هـ) .

وكان لجلالته إذا دخل المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة لا تبقى حبوة إلا حلت أعظاماً له شهد صفين مع أمير المؤمنين (ع) وبقي بعده إلى زمان تولي مصعب بن الزبير على العراق وتوفي بالكوفة سنة : (٦٧) هـ .

أنظر إلى تنقيح المقال والكنى والألقاب للمحدث القمي (ره) وأسد الغابة وغيرها .

(٢) ذكر أمير المؤمنين (ع) هذه الكلمات النيرة في كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها . أنظر إلى نهج البلاغة . الطمر ـ بالكسر ـ اثوب الخلق .

قوله (ع) : ولا أعددت أي ما كان يهيء لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى ، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر ، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإن مجموع الرداء والأزار يعد ثوباً واحداً فهما يكسي البدن لا بأحدهما قاله الشيخ محمد عبده المصري .

(٣) وقد وصف ضرار بن ضمرة الكناني أمير المؤمنين (ع) في مجلس معاوية حينما دخل ضرار عليه فقال له : صف لي علياً فقال له : أو تعفيني ؟ فقال : لا أعفيك ؟ قال : أما إذ لا بد فإنه كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة نواحيه (عن لسانه) يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، كان والله عزيز العبرة ، طويل الفكرة . يقلب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس العبرة ، ومن الطعام ما خشن (جشب) كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل لؤلؤ منظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله . ولا ييأس الضعيف من عدله .

أنظر نهاية الأرب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ج ٣ ص ١٧٦ ط مصر وروى

عرف الله إلّا أنا وأنت ، وما عرفنا إلّا الله .

وعلى إفتنان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فالبشر يستطيع أن يفوّه عن عبقريّة بشر مثله من هو في أفقه ، وإن كان أعلى منه درجة أو درجات ، ولكن عليّ (ع) الذات المترفّعة عن أفق البشريّة المتّصلة بالعوالم الملكوتيّة فليست هي من ذوات العبقريّات بل تجدها مشابهة للأنبياء فوق المخلوق دون الخالق ، فلا يستطيع بشر أن يدركها أو يأتي على خصوصيّات مزاياها إلّا بمقدار ما يرى الناظر المتطلع إلى إسمى كوكب في وسط السماء لا يبصر منه سوى ضوئه ولا يعرف شيئاً من حقيقته وكنهه وباقي مزاياه ، فعبقرية علي بن أبي طالب (ع) عبقرية روحانيّة ربوبيّة لا عبقرية بشريّة ، فلا يستطيع البشر أن يتطرّقها ويحيط إلّا بالحواشي والوتوش[1] منها . فإنّها خارجة عن مقاييس العقول ومدارك أفهام الأنام ، فيا أيّها الناس لا تظلموا علياً (ع) وهو في الدار الأخرى كما ظلمه أسلافكم يوم كان في هذه الدار الدنيا ، ولو لم يكن له إلّا قوله : ما هلك امرء عرف قدره وقيمة كلّ امرء ما يحسنه ، وقوله الظلم مودع في النفوس ، القوة تبديه والعجز يخفيه ، لكفى .

وهذه شعاعة من أنواره الساطعة وأثماره اليانعة وكلمة الختام أنّ عليّاً ـ وعلى ذكره آلاف التحية والسلام ـ فوق العبقريّات ولا يقاس بمقاييس العقول .

وبمناسبة هذا المقال الضافي نذكر لشيخنا الإمام الفقيد (ره) قصيدة[2]

هذه القصة بتمامها العلامة الكراكجي (ره) بإسناده في كتابه القيم « كنز الفوائد » ص ٢٧٠ ط تبريز فراجع .

(١) الوتش القليل من كل شيء .

(٢) إنما اخترنا هذه القصيدة لوجود كلمتي : « جنة وفردوس » فيها اللتان تشيران إلى « جنَّة المأوى » و « الفردوس الأعلى » .

وقد نظم هذه القصيدة شيخنا الإمام الفقيد بمناسبة عيد الغدير قبل زهاء أربعين عاماً وتحتوي أكثر من خمسة وعشرين بيتاً مثبوتة في ديوانه الموجود في مكتبته العامة في النجف الأشرف .

بديعة نظمها في مدح أمير المؤمنين (ع) :

إمـام الهـدى هـل أبـدع الله آيـة لمعنـاه أسمى منك شـأنـا وأشمخـا
كم استصرخ الإسلام يدعو فلم يجد لصـرخته إلّا حسـامك مصـرخا
وكم شاد للتوحيـد عرشـا من الهدى وهـدّ عـروش المشـركين ودوخـا
وهل فاح لـلأصحاب نشر ولم يكن بـديـع مـزايـاك العبيـر المضمخـا
ولـو وجـد المختـار مثلك فيـهم لمـا اختـار أن تغـدو لـه دونهم أخـا
فمن ذا الـذي قـد ذبّ عنـه بسيفـه ومن ذا الّذي بالنفس من دونـه سخا
لـذا اختصّـه يـوم الغـديـر بـرتبـة ذووا الغـدر فيها كيـدهم قد تفسّخـا
بهـا عقـد البـاري على الخلق بيعـة إلى الحشـر لا تـزداد إلّا تـرسّخـا
فـأصبـح مـولى المؤمنين وعنـدهـا أتى نحـوه الثـاني (فحيّـا بخبخـا)
وسـرعان مـا خفّـوا لنقض عهـودهم فيـا لـك من عهـد مـع الغـدر أرّخـا
وقـد تنسخ الأيّـام فضلاً لـذي حجة وفضلك يـأبى أن يـزول وينسخـا
فـإن حـاولوا أن ينقصـوك قـلامـة على رغمهم تـزداد بالفخـر فـرسخـا
نـبـوّة حقّ عـاضـدتـهـا إمـامـة ولـكن بـوحـدانـيّـة الحـق أرّخـا
فيـا (جنّة الفـردوس) حسبـك جنّـة من النار ان حطّ العـذاب ونـوخـا
فـأنت إمـام الحق إن ضلّت الـورى وأنت الـرخا للخلق إن أعـوز الرخا

يوم التاسع من ربيع الأوّل

سؤال : أخبرونا عن أيّام الربيع العشرة المنسوبة إلى فرحة الزهراء سلام الله عليها ومتى فرحت والرجل طعن في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجّة ، ومات يوم التاسع والعشرين منه وذلك بعد وفاتها فكيف فرحت ؟

الجواب: إنّ المعروف عند كثير من الشيعة من قديم الزمان أنّ هذه الأيام أيام فرح وسرور كما ذكر ذلك السيد ابن طاوس في الإقبال حيث قال : وجدنا جماعة من العجم والأخوان يعظمون السرور في هذا اليوم أي اليوم التاسع من ربيع ويذكرون أنّه يوم هلاك كذا ، وأشار إلى الرواية الضعيفة المنسوبة إلى الصدوق(١) وقال السيّد رضوان الله عليه لم أجد رواية يعتمد عليها تؤيّد تلك الرواية ، ولكن لعلّ فرح الشيعة بذلك اليوم من جهة أنّ الإمام الحسن العسكري سلام الله عليه توفي على أصح الروايات يوم الثامن من ربيع الأوّل ويكون يوم التاسع أوّل يوم من إمامة الحجّة عجل الله فرجه ، وينبغي أن يتّخذه المؤمنون عيداً كما يتخذ الناس أيّام جلوس ملوكهم عيداً ، ثمّ ذكر بعض التوجيهات لاحتمال كون قتل الرجل في ربيع وكلّها في غاية البعد ، انتهى ما أفاده قدّس سرّه مع شرح وتوضيح منّا .

---

(١) الظاهر أنها الرواية التي نقلها السيد نعمة الله الجزائري (ره) في الأنوار النعمانية ولنا كلمات حول تلك الرواية الضعيفة ذكرناها في تعليقاتنا على ذلك الكتاب أنظر ج ١ ص ١٠٨ = ١٠٩ ط تبريز .

وأقول أيضاً ويحتمل أن يكون سبب فرحة الزهراء سلام الله عليها هو أنّ اليوم التاسع والعاشر من ربيع الأوّل هو يوم إقتران أبيها رسول الله (ص) سيّد الكائنات بوالدتها البرّة الطاهرة خديجة الكبرى ولا شك أنّ الزهراء كانت تظهر الفرح والسرور بذلك اليوم من كلّ سنة إفتخاراً بذلك الشرف العظيم والخير العميم ، ويكون قد بقيت عادة إظهار هذا الفرح متوارثاً عند مواليها من الشيعة في ذلك اليوم كلّ سنة ، ولكن على مرور السنين جهلوا السبب ثمّ حوّره بعض الدسّاسين إلى غير وجهه الصحيح ؛ وبقي الإسم معروفاً عندهم وهو فرحة الزهراء (ع) والسبب مجهولاً .

ومهما كان الأمر فليس كونه يوم فرح وسرور عند الشيعة أن يؤذي بعضهم بعضا ويتجاسر بعضهم على بعض بيد أو لسان ، أو يستعملوا بعض المفرقعات المزعجة كما يستعمله بعض عوام النجف حاشا عقلائهم وأفضالهم ، وسرى ذلك الشعار الخبيث إلى جملة من بلاد الشيعة ، فإنّ جميع ذلك من أسوء الكبائر وإيذاء المؤمن محاربة مع الله عزّ وجلّ وإيذاء فظيع للأئمة ، ومن أكبر المصائب على الزهراء ـ سلام الله عليها ـ وقد قاومنا هذه العادات السيئة منذ عدة سنين وخطبنا الناس في الصحن الشريف ووعظناهم حتّى خفّت وطأة هذه المنكرات ولم يبق منها إلّا الشيء اليسير بالنسبة إلى السابق وأرجو بتوفيقه تعالى أن لا يبقى لها أثر إن شاء الله ، وإنّما الفرح والسرور أن يجلس المؤمنون في نواديهم الخاصّة ويتلون القصائد والأشعار البديعة في مدائح أهل البيت (ع) وذكر مناقبهم ولو بالاصوات الحسنة الّتي لم تبلغ حدّ الغناء المحرم(١) وفقنا الله جميعاً للأعمال الصالحة والتجارة الرابحة في الدارين إن شاء الله .

محمّد الحسين
آل كاشف الغطاء

---

(١) يظهر من هنا أن الغناء في نظر الشيخ (ره) غير صوت الحسن فما نسبه إليه بعضَ من أن الشيخ (ره) كان يجوز الغناء إفتراء عليه وناشيء عن عدم فهم كلامه .

كسائر الإفترآآت التي ذكروها في حقه وقد أشرنا إلى واحد منها في مقدمة هذا الكتاب .

هل النار محرمة على ذرية الزهراء "ع" ؟

السؤال الأوّل : حدّثتنا طائفة من الأخبار أن ذرّية الزهراء (ع) قد حرمت عليهم النار حتّى لو كانوا من المخالفين ، نعم يستثنى منهم من ادّعى الإمامة لنفسه في تفسير قوله تعالى ؛ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب : ـ يخطر على بالي كلام للإمام الرضا (ع) مع أخيه زيد المعروف بزيد النار الذي خرج على المأمون ولمّا ظفر به عفى عنه ووهبه للامام (ع) فقال الإمام لزيد ما مضمونه أو لفظه : أغرّك يا زيد ما بلغك أنّ رسول الله (ص) قال : انّ الله حرّم فاطمة وذريّتها على النار ، فانّ ذلك مختصّ بذرّيتها من صلبها كالحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم ، والادلّة القطعية عقليّة ونقليّة تؤيّد ذلك وتدلّ عليه كالحديث المشهور : خلق الله الجنّة لمن أطاعه[1] الخ ، نعم باب العفو والشفاعة والغفران باب آخر ولا يختص بأبناء فاطمة سلام الله عليها بل يعمّ جميع شيعتها ومواليها ، والجميع ابنائها بالبنوّة الروحانيّة ـ رزقنا الله شفاعتها والموافات على ولايتها .

السؤال الثاني : لقد سجل لنا التأريخ المتواتر في تصرف رسول الله

---

(١) لنا تعليقة هنا نذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

(ص) وأهل بيته في هـذا العالم (أي عـالـم المادّة) بـل وفي العوالم الأخـر كعـالـم المثال ، وعـالـم الصورة ، حتّى إنتهت الحقيقـة المحمـدّيـة إلى عـالـم السرمد كما في حديث الأسراء ، وكسير أميـر المؤمنين (ع) من المدينـة إلى المـدائن ، وكصلاة ألف ركعـة وكجواب الجـواد (ع) عن ثلاثين ألف مسـألة في مجلس واحد وكما أخبـرتنا صـوادر قدسيّـة من الله عزّ وجـل كقضيّة عـزرة وعـزير وأمثـالها لأمثـالهم ، فهل صـدور هذه الكـرامـات منهم إلاّ تصـرّف في الاكوان كقصر الدهر ومدّه وهي ليست محالات عقليّة لا يجوز وقوعها ؟ فأرجو الجواب المقنع لأهل العصر الراقي مهد الحضارة المدنيّة ؟ .

الجواب : القضية تحتاج إلى مزيد بسط وسعة بيان لا يسع المقام منه إلاّ الإجمال والإشارة وهو أنّ العوالم أربعة : اللاهوت ، والجبروت ، والملكـوت والملك ، والثلاثة الأولى كلّها مجرّدة عن المادّة والمدّة ، أمّا عالم الملك وهو العالم المادي وما تحت العرش فهو قسمان : قسم يحتـاج إلى مادّة فقطّ وهـو عالم الأفلاك والكرات النيّرة المعلّقة في الفضا الّتي ينشيء الزمان من حركاتها فتكـون المدّة ، وقسم يحتـاج إلى مادّة ومـدّة معا وهـو عالم الصنـع وما تحت فلك القمـر ، وكـلّ عـالم لـه الهيمنة على مـا دونـه والتصـرّف فيـه ، فعـالم الملكـوت المجرّد عن المـادّة والمدّة لـه التصـرّف في عـالم الملك لـلإبـداع والإيجـاد من دون إعداد ولا استعـداد ، ولا مادّة ولا امتـداد ، وبهذا المفتـاح تنحل جميع المشكلات في باب المعجزات والعروج (الجسماني) وأضرابهـا

(١) ومما هو جدير بالذكر هنا أن لبعض المحققين في تحقيق تعدد الأمكنة كلمـة قيمة لا مجـال في المقام لذكرها تفصيلاً وأما إجمالها فهو أنه قسم المكان على ستة أقسام ثلاثة منها للأجسام : من الأجسام الكثيفـة والمتوسـطة واللطيفة ، وثـلاثة منهـا لـلأرواح : من الأرواح الأدنى والـوسطى والعليـا ويختلف تزاحم الأجسام في تلك الأمكنة بعضها مع بعض وعدمه وسرعة الحركـة والسير أيضـاً فيها مختلفة وللأنبياء والأولياء المعصومين (ع) مراتب ودرجات ولهم بحسب نفوسهم القدسيـة القدرة والإستعداد بالتصرف في جميـع تلك الأمكنة والإحـاطة بجميـع عالم الملك والملكـوت بإذن الله تعالى وأقداره ، وبعد إمعان النظر والتأمل فيما ذكره ينحل بعض الشبهات والإشكالات التي يتخيلها الإنسان كحضور الأئمة (ع) في آن واحد في أمكنة متعددة وسيرهم في مدة قليلة إلى مسافة كثيرة بعيدة وأمثال ذلك وأظن أن وجـود تلك الأمكنة وسـرعة الحـركة فيهـا وتفاوتهـا وإمكان وجود حركات سريعة ووجودها في هذا العصر من البديهيـات وأكثرهـا من المشاهـدات =

فإنّ العبد إذا تحقق بحقيقة الحقّ وتخلّق بأخلاق الروحانيّين غلبت عليه صفات الأرواح المجرّدة وصار له السلطنة على العوالم المادّية يتصرّف فيها كيف يشاء بمشيّة الله[1]، فكما أنّه جلّ شأنه يوجد المادّة من غير مدّة ولا موادّ ولا قوّة ولا إعداد ولا استعداد فكذلك وليّه أو نبيّه ، وبالجملة فالوجودات المجرّدة أو العقول الفعّالة (والمدبّرات أمرا) كما في لسان الشرع تمرّ على الزمان ولا يمرّ الزمان عليها وتحكم على المادّة ولا تحكم المادّة عليها ، والمادّة التي تعلّقت بها كأجسامها العنصريّة الشريفة مقهورة لروحها المجرّدة ويجري عليها حكم التجرّد فلا يعوقها عن الإتّصال بالملأ الأعلى فضلاً عن الأدنى عائق ، وهذا رمز وإشارة ولا مجال للبسط ولكنّه من طريقة الفلسفة الإلهيّة والحكمة الروحيّة ؛ وأمّا من حيث الحكمة الطبيعيّة والثقافة العصريّة فبعد أن توصّل علماء المادّة وفلاسفة الطبيعة إلى استخراج جملة من القوى والعناصر المودعة في الكون المحسوس الّتي ما كان يحلم بها أحد من السابقين فاستخرجوا الكهرباء والعناصر المشعة كالراديوم والأورانيوم وأمثالها ممّا يدهش الألباب فيما ترتّب عليها من الآثار والأسرار وعجائب المخترعات النافعة كالسيّارة والطيّارة ، والهاتف والحاكي ، وما إليها فضلاً عن الإكتشافات الفلكيّة والطبّ والجراحة وأضرابها ، وبعد هذا كلّه أيّ مجال للإستنكار أو الإستبعاد في أن يكون في الكون قوى كامنة وأسرار خفيّة أطلع الله عليها أنبيائه وأوليائه فيستطيع أحدهم أن ينقل بلحظة عرش بلقيس من سبأ (اليمن) إلى أورشليم (القدس) أو تكون لأمير المؤمنين (ع) قوّة طبيعيّة فضلاً عن القوّة الروحانيّة يستطيع بها أن ينتقل من المدينة إلى المدائن في دقيقة واحدة ، أو أنّ الجواد (ع) يجيب عن ثلاثين أو ثلاثة آلاف مسألة في مجلس

= والحسيات اليوم ، راجع إلى كتاب « وسيلة المعاد » للعلامة الجليل المولى حبيب الله الكاشاني (ره) تجد تفصيل ما ذكرناه .

(١) الظاهر أن المراد من المجلس الواحد هو المجالس المتوالية التي هيأها الخليفة العباسي لإظهار عظمة الجواد (ع) مع صغر سنه وإطلاق المجلس الواحد على المجالس المتوالية شائع عند العرف كما تطلق الحرب على القتال في الأيام المتعددة المتوالية كحرب صفين مع أنها طالت عدة أشهر .

واحد(١) أيّ استبعاد أن يكون في الكون مثل هذه القوى الغريبة بعد أن رأينا بأعيننا (أشعة رنتجن) الّتي يرى الإنسان فيها بعين رأسه ما وراء الأجسام الكثيفة كصناديق الحديد بل من وراء الجدار ، ومع كثرة هذه الإختراعات الباهرة لا يزال يقول كبار فلاسفة الطبيعة ورجال المادّة ، إنّ العلم لا يزال طفلاً ، فإذا بلغ أشده وأصاب رشده سوف يستكشف ما هو أدّق وأعمق وأرفع وأنفع من هذه المآثر والآثار والفوائد والأسرار .

وحقّاً إنّ العلم لا يزال طفلاً فإنه حتّى الآن لم يصلوا إلى معرفة حقيقة الكهرباء مع كثرة تصرّفاتهم فيها ولا أصابوا كنه الحياة وجوهرها ، ولا كنه القوّة ودقائق المادّة ، ولا حقيقة العناصر الّتي تتركّب منها المواليد العنصريّة فضلاً عن جوهر الكواكب والشموس سوى تخمينات وتخرّصات لا يعول عليها ، وكلّما إزداد الإنسان علماً إزداد علماً بجهله واعترافاً بقصوره .

والغرض من هذا كلّه كسر سورة الإستنكار والإستبعاد وأنّ أمثال (الراديو) أو (الراديوم) و (أشعة رنتجن) وأمثالها من مكتشفات هذا القرن لم تبق مجالاً للإعتماد على القواعد المقرّرة في الفلسفة الطبيعيّة القديمة مثل إستحالة الخرق والإلتئام(١) وتناهي الأجسام وأضرابها ، نعم طيّ الزمان والمكان وطيّ الأرض وبسطها ومدّ الوقت وقبضه ربّما يشكل القول بها لأستلزامها إختلاف نظام العالم الشمسي وتناثر الكواكب المرتبط بعضها ببعض على نظام مخصوص ، وآخر القول أنّ المعجزات وخوارق العادات قد تكون لها أسباب طبيعيّة فضلاً عن القوى الروحيّة ولكن لم يصل العلم بعد إليها ، وقد يصل فيما بعد وقد لا يصل ، والله أعلم بحقائق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) وبسبب تلك القواعد وقعوا في الشبهات في بعض المسائل الإعتقادية كالمعراج الجسماني لرسول الله (ص) وفتحوا باب التأويل أو قالوا بمقالات واهية تستلزم القول بالمعراج الروحاني كما صدر عن بعض المنحرفين عن الطريقة المستقيمة حيث ذكر المقدمات التي تستلزم ذلك وأما في هذا العصر فقد ظهر أنه لا مجال للإعتماد على تلك القواعد ولذا ارتفعت الشبهات بالمرة من المعراج الجسماني والحمد لله تعالى .

كلمة الشيخ الإمام قدس سره في بني هاشم وبني أمية والحسن «ع» ومعاوية [1]

العداوات ، والتباغض بين الأفراد والقبائل والجماعات ، غريزة بعيدة المدى في طبيعة البشر من أول عهده . وبدء وجوده على هذه الكرة من عهد هابيل وقابيل مستمرة في جميع الأجيال إلى هذا الجيل ، ومنشأ العداوة وبواعثها غالباً هو التنافس والتعالي والأنانية التي تدفع إلى حب الأثرة والغلبة والسيطرة ، والإستيلاء على مال أو جاه ؛ أو ولاية وإمرة وأنكى العداوات ، العداوات التي تبعث عن ترة وطلب ثأر وغسل عار للتشفّي والإنتقام ، ولكن أسوأ العداء أثراً ، وبعده مدى ، والذي يستحيل تحويله ولا يمكن زواله هو عداوة الضدّية الذاتية ، والمباينة الجوهرية كعداوة الظلام للنور ، والرذيلة للفضيلة ، والقبح للحسن . والشرّ للخير وأمثال ذا ، فإنّ هذا العداة والتنافر يستحيل من أن يزول إلاّ بزوال أحدهما إذ كل يضاد الآخر في أصل وجوده وطباع ذاته ، وكل واحد يمتنع على الآخر فلا يجتمعان ولا يترفعان ؛ فالذوات الشريرة بذاتها وفي جوهرها تضاد الذوات الخيّرة وتعاديها ، وكل واحد من

---

(١) غير خفي على القاريء الكريم أن هذه الكلمة الذهبية الرائعة قد اشتملت في سر صلح الإمام الحسن عليه السلام مع خصمه معاوية على مواضيع خطيرة وأبواب جديدة وأبحاث ممتعة تعد بحق آية من آيات الفن من حيث البحث ، والعمق والأسلوب : والتحليل وقد كتبوا كثيراً في سر صلح الإمام عليه السلام وأطالوا ولكن نحن نتحف القاريء العزيز بهذه الدرة الثمينة التي جاءت من المع شخصية علمية في العالم الإسلامي .

هذين المتضادين المتعاندين يجدّ ويجتهد في إزالة الآخر ، ومحوه من الوجود كالنور والظلام لا يجتمعان في محل واحد أبداً ، وكل منهما بطباعه يتنافى مع الآخر ويعاديه وكالفضيلة والرذيلة في الإنسان ، وعلى هذا الطراز ، ومن هذا النوع عداوة بني هاشم وبني أميّة عداوة جوهرية ذاتية يستحيل تحويلها ويمتنع زوالها عداوة الظلام للنور ، والشر للخير ، والخبيث للطيب ، ويعرف كل واحد منهما بثماره وآثاره . وقديماً قيل : « من ثمارهم تعرفونهم » الشجرة لا تعرف إلا من ثمرها أنها خبيثة أم طيبة ؛ والانسان لا يعرف خبثه وطيبه إلا من أعماله وملكاته وخصاله .

أولد عبد مناف هاشماً ، وعبد شمس ، ونشب العداء بينهما منذ نشاء وشبّا لا لشيء سوى اختلاف الجوهرين ، وتباين الذاتين ، ثمّ استشرى الشر واتسعت عدوى العداء بين القبيلين بحكم الوراثة ، وكان لكل واحد من هذا القبيل ضد له من القبيل الآخر ، فعدوه بالنسب ؛ هاشم وعبد شمس ، وعبد المطلب وأميّة ، وأبو طالب وحرب ، ومحمّد (ص) وأبو سفيان ، ما اشرقت أول بارقة من أشعة الاسلام ، وما اعلن البشير النذير بدعوة التوحيد إلاّ وثارت نعرة الشرك والوثنية لطمس أنوار الاحدية وقام بحمل معاول المعارضة والهدم لما يبنه ، ويتبناه منقذ البشرية من مخالب الوحشيّة ، قام بها ثالوث الجبت والطاغوت ، أبو جهل ، وأبو لهب ، وأبو سفيان ، وكان الثالث زعيم الحزب الأموي أشدهم مناوئة للاسلام ومحاربة له ؛ نصبوا كل الحبائل ، وتوسلوا بجميع الوسائل لاخفات صوته ، واخماد ضوئه ؛ واعملوا كل بأس وسطوة في مقاومة تلك الدعوة ، حتى ألجأت جماعة ممن تدين بها فهاجروا إلى الحبشة ، وتحمل النبيّ واصحابه من الاضطهاد والأذى أكثر من عشر سنين حتى اضطرّ إلى الجلاء من وطنه ووطن آبائه ، ومركز عزّه ، فهاجر إلى يثرب فطارده أبو سفيان ، وتلاحقه إلى دار هجرته ، وما رفعت راية حرب على الإسلام الاّ وبنو أمية وزعيمهم أبو سفيان قائدها ورافعها يلهب نارها ويثير غبارها ويتربّص باخماد ذلك النور ، الدوائر ، ويهيج نعرة القبائل ، إلى أن فتح الله الفتح المبين وأمكن الله نبيه من جبابرة قريش وملكهم عنوة ، فصاروا عبيداً وملكاً بحكم قوانين الحرب ، والاستيلاء على المحاربين ، بالقوة

والسلاح ولكنه سلام الله عليه أطلقهم وعفا عنهم ، وقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء واكتفى منهم بظاهر الاسلام واطلاق لسانهم بالشهادتين ، وقلوبهم مملوءة بالكفر والحقد على الاسلام ، يتربّصون الفرص لمحو سطوره : وقلع جذوره « ما اسلموا ، بل استسلموا . ولما وجدوا أعواناً على الاسلام وثبوا » ما تغير شيء من نفسيات أبى سفيان وبنى أمية بعد دخولهم في حظيرة الاسلام قلامة ظفر ، انما تغير وضع المحاربة ، وكيفية الكفاح والمقاومة .

دخل أبو سفيان ومعاوية في الإسلام ، ليفتكوا في الإسلام ويكيدوا له والعدو الداخل أقدر على الكيد والفتك من العدو الخارجي وهذه العداوة ذاتية متأصلة ؛ والذاتي لا يزول وليست هي في تنافس على مال ، أو تزاحم على منصب أو جاه ، بل هي عداوة المبادىء عداوة التضاد الطبيعي ، والتنافر الفطري ، عداوة الظلام للنور ، والضلال للهدى والباطل للحق والجور للعدل ولذا بقي بنو أمية على كفرهم الداخلي ومكرهم الباطني مع عدادهم في المسلمين وتمتعهم بنعم الإسلام وبركاته لكن لم يمس الإسلام شعرة من شعورهم ولا بلّ ريشة من أجنحتهم ، كالبطّ يعيش طول عمره في الماء ولا يبلّ الماء ريشة منه (فيما يقولون) نعم أقروا بإسلامهم حقنا لدمائهم وتربصّاً لسنوح الفرصة لهدم عروش الإسلام وقواعده ، حتّى إذا أدلى من كانت له السلطة بالخلافة إلى أول خليفة منهم طاروا فرحاً ؛ وأعلنوا ببعض ما كانت تكنّه صدورهم ، فجمعهم أبو سفيان وقال : « تلقفوها يا بني أمية ، تلقف الكرة ؛ فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار » .

ثم أخذوا زمام الخليفة الأموي بأيديهم ، وصاروا يقودونه « كالجمل الذلول » حيث شاؤا ، فاتخذوا مال المسلمين دولاً ، وعباد الله خولاً ، وانتفضت بلاد المسلمين من جميع أقطارها عليه وعليهم إلى أن حاصروه في داره ، وضايقوه على أن يخلع نفسه من الخلافة . ويجعلها شورى بين المسلمين فتقاعس وتصلب أوّلاً ، ثم لمّا اشتد الحصار عليه وحبسوا عنه حتى الماء والطعام تراخت أعصابه ، ووهنت أطنابه ، وحاول أن يخمد نار الفتنة بخلع نفسه إجابة للثائرين الذين شددوا الحصار فأحسّ بنو أمية وقيادتهم يومئذٍ بيد مروان في المدينة ، ومعاوية في الشام ، بأنّ صاحبهم إذا خلع نفسه فسوف يفلت

الحبـل من أيديهم ، وقـد غلط الـدهـر أو غلط المسلمـون غلطة يستحيـل أن يعودوا لمثلها أبداً ، وبأيّ سـابقة ، أو مكـرمة لبني أميـة أو جهاد في الإسـلام يستحقـون أن تكون خـلافة المسلمين في واحـد منهم ، وهـم أعـداء الإسـلام وخصومه في كل موقف من مواقفه ، وفي كـل يوم من أيـامه ، أدرك كـل ذلك مـروان ومن معه من حـزبه ، فتـواطئـوا مـع زعيمهم بـالشـام أن يجهـزوا على صـاحبهم فيقتلوه قبـل أن يخلع نفسـه وقبـل ان يفـلت حبـل الـحيـلة من ايديهم ، نعم يقتلونه ويتخذون قتله ذريعة إلى مطالبة فئة من المسلمين بدمه ، ويتظاهرون لسائر المسلمين بأنّه قتل مظلوماً ولا بدّ من الأخذ بثأره فيكون أقوى وسيلة إلى استـرجاع الخـلافة إليهم ، ولـولا قتل عثمـان وقميص عثمـان لمـا صارت الخلافـة إلى معاويـة ومروان وأبنـاء مروان ، ولكـان من المستحيل أن يحلموا بها في يقظة أو منام ، ولكن جاءت صاحبهم الأول من غير ثمن ، وقد دفعهـا إليـه من قبله دفعـاً ، نعم أراد السـابق أن يحـولهـا عن بني هـاشم إلى خصومهم الألداء بني أمية ففتل حبل الشورى ، وأبرمه بحيث تصير الخلافة لا محـالة إلى عثمـان وما اكتفى بـذلك حتى نفـخ روح الطمـوح إليهـا في نفس معاوية الطليق إبن الطليق ؛ وهو وأبوه أكبر الأعداء الألداء للإسلام ، كان كـل سنة يحاسب عماله ويصـادر أموالهم ، ويعـاملهم بأشـد الأحوال إلا معـاوية ، تـواتر الأخبـار لديـه بأن معـاوية يسـرف في صرف أمـوال المسلمين ، ويلبس الحـريـر والـديبـاج فيتغـاضى عنـه بـل يعتـذر لـه ، ويقـول : « ذاك كسـرى العرب »[1] مع أن معاوية كان من الضعة والفقر والهوان بـأقصى مكان ، كـان من الصعاليك السـاقطين في نـظر المجتمع حتى أن أحـد أشراف العـرب وفد على النبي (ص) ولمـا أراد الخروج أمـر النبي (ص) معاويـة أن يشيّعه إلى خارج المدينـة وكان الحـرّ شديـداً والأرض يغلي رملها ويفـور ومعاويـة حافي القدمين ، فقال للوافد الذي خرج في تشييعه :

« إردفني خلفك » .

(١) في كـتـاب « الأمالي » للقـالي البغدادي مـا هذا لفـظه . قال : وكـان عمر إذا نـظر إلى معاويـة يقول : هذا كسرى العرب ، قال : فكان معـاوية يقـول : ما رأيت عمـر مستخلياً رجلاً قط إلا رحمته ، أنظر الأمالي ج ٢ ص ١٢١ ط ٢ مصر ١٣٤٤ هـ .

ـ أنت لا تصلح أن تكون رديف الأشراف والملوك ! .

ـ ألا فأعطني نعليك أتّقي بهما حرارة الشمس .

ـ أنت أحقر من أن تلبس نعلي .

ـ ما أصنع وقد احترقت رجلاي ؟ .

ـ إمشي في ظل ناقتي ولا تصلح لأكثر من هذا !!! .

تعسا لك يا زمان وأف لك يا دهر هذا الصعلوك النذل صار أو صيّروه كسرى العرب !!! .

نعم : معاوية ومروان هما اللذان دبّرا الحيلة في قتل عثمان ، ومكّنوا الثائرين من قتله ، وقضية الجيش الذي أرسله معاوية من الشام إلى المدينة ووصيته له بأن لا يدخل المدينة حتى يقتل عثمان تشهد لذلك وهي مشهورة .

نعم : وقد أعانهم على قتله أيضاً إحدى زوجات النبي التي كانت تهرج على عثمان وتصرخ في النوادي « أقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلا » ثمّ بعد أن امتثلوا أمرها وقتلوه ، ثارت أو أثاروها إلى الطلب بدمه ، وكانت من جراء ذلك واقعة الجمل التي ذهب ضحيتها عشرون ألف من المسلمين وفتحت باب الحروب بين أهل القبلة ، وقال أحد شعراء ذلك العصر يخاطبها ويؤنّبها :

وأنت البلاء وأنت الشقاء ... وأنت السحاب وأنت المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا إنه قد كفر

وقال الآخر :

جاءت مع الأشقين في هودج ... تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرّة ... من جوعها تأكل أولادها

وهذه النكات التي رشح القلم بها هنا وهي من أسرار دقائق التأريخ والتي قل من تنبه لها إنما جاءت عفواً ، وما كانت من القصد في شيء ، إنما المقصود بالبيان أنّ معاوية وأبا سفيان لما بهرهما الإسلام وقهرهما على الدخول فيه حفظاً لحوبائهما من التلف ؛ أظهرا الإسلام صورة وأضمرا الكيد

والفتك به سريرة ، وبقيا يتربصان فكلما سنحت فرصة لذلك ظهرت ركيزتهم في أقوالهم وفي أعمالهم .

وكان معاوية أدهى من أبيه الذي كبر وخرف في آخر عمره ومن دهائه وعزمه كان يحتفظ بصورة الإسلام مدة إمرته بالشام عشرين سنة فلا يصطدم بشعيرة من شعرائه ، ولا يتطاول إلى اعتراض قاعدة من قواعده فلا يتجاهر بشرب الخمر والأغاني ولا يقتل النفس المحرمة ، ولا يلعب بالفهود والقرود . ولا يضرب على المزمار والعود ، نعم : قد يلبس الحرير والديباج وطيلسان الذهب ولا بأس بذلك فإنه « كسرى العرب » وما احتفظ بشعاير الإسلام إلا لحاجة في نفس يعقوب ، ومن باب الهدوء قبل العاصفة والمشي رويداً لأخذ الصيد .

بقي على ظاهر هذا الإيمان المبطن بالكفر مدة مخالفته ومحاربته لأمير المؤمنين في صفين ، فلما استشهد سلام الله عليه تنفس الصعداء وغمرته المسرة ، وأمكنته الفرصة من اللعب على الحبل وتدبير الحيل ، ولكن بعد أن بويع الحسن (ع) والتف عليه الأبطال من أصحاب أبيه ، وشيعته ومواليه ومنهم الرؤوس ، والضروس والأنياب ، والعديد ، والعدة ، والسلاح ، والكراع ، فوجد أنه وقع في هوة أضيق وأعمق من الأولى ، فإن الحسن (ع) سبط رسول الله ، وإبن بنته ، وريحانته ، وهو لوداعته ، وسلامة ذاته محبوب للنفوس لم يؤذ أحداً مدة عمره . بل كان كله خير وبركة ، ولم تعلق به تهمة الاشتراك بقتل عثمان : بل قد يقال إنه كان من الذابين عنه فكيف يقاس معاوية به وكيف يعدل الناس عن ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) إلى ابن هند آكلة الأكباد . اقلق معاوية ، وأقض مضجعه التفكير بهذه النقاط المركزة التي لا مجال فيها للنقاش والجدال . ولكن سرعان ما اهتدى بدهائه ومكره إلى حل عقدتها وكشف كربتها . فلجأ إلى عاملين قويين أولهما المال الذي يلوى اعناق الرجال ، ويسيل في لعبه لعاب الأبطال وبعث إلى أعظم قائد من قادة جيش الحسن الذين بايعوه على الموت دونه وامسهم رحماً به وهو عبيد الله بن العباس الذي جعله أميراً حتى على قيس ابن سعد بن عبادة ذلك الزعيم

العظيم الفارس المغوار المتفاني اخلاصاً في حب الحسن (ع) وأبيه (ع)[1] .

نعم : بعث إليه معاوية بأكثر من خمسين ألف ، ووعده عند مجيئه إليه بمثلها فانسل إلى معاوية في جنح الظلام ، وأصبح الناس ولا أمير لهم فصلى بهم قيس ، وهوّن عليهم ، هذه الفادحة التي أوهت عزيمة الجيش . وهيئتهم للهزيمة قبل النضال وقل ساعد الله قلبك يا ابا محمّد كيف تحملت هذه الرزايا التي أقبلت عليك متتابعة كقطع الليل ، وصار معاوية يعمل بهذه الخطة مع كل بارز من الشيعة ورجالهم وأبطالهم فاستمالهم إليه جميعاً ولم يستعص عليه ويسلم من مكره وحبائله إلا عدد قليل لا يتجاوز العشرة كقيس بن سعد ؛ وحجر بن عدي وأمثالهم ممن ناطحوا صخرة الظلم والظلال براسخ إيمانهم . وما اختلجهم الشك في كفر معاوية وأبيه وبنيه طرفة عين وكان قيس « أقسم بالله أن لا يلقي معاوية إلا وبينهما الرمح أو السيف » في قضية معروفة هذا « أول » تدبير اتخذه معاوية للغلبة على الحسن (ع) واستبداده بالأمر واغتصاب الخلافة منه .

« الثاني » وهي حيلة تأثيرها أشد من الأولى استطابها السواد الأعظم وانحرف إليها الرأي العام تلك دعوى معاوية الحسن إلى الصلح نعم : أشد مافت في عضد الحسن طلب معاوية الصلح ، فقد كانت أفتك غيلة وأهلك حيلة لأن المال كان يستمبل به معاوية عيون الرجال ، والخواص

---

(١) كان قيس من أكابر فضلاء الصحابة وعلمائهم وأحد دهات العرب وكرمائهم وشرفائهم ومن بيت سيادتهم ومن ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة لم يبايع أبا بكر ولكن بايع معاوية بعد أن أمره إمامه الحسن المجتبي (ع) بالبيعة له لما رأى من المصلحة ، أنظر أيها القارىء العزيز إلى جور الزمان وتسافله الذي ألجأ من لم يبايع أبا بكر إلى بيعة معاوية .

تعس الزمان فإن في أحشائه ... بغضاً لكل مبجل ومفضل
وتراه يعشق كل رذل ساقط ... عشق النتيجة للأخس الأرذل

مات قيس سنة : (٦٠) هـ .

منهم . أما العامة فلا ينالهم منه شيء ولكن الناس كانوا قد عضتهم أنياب الحروب حتى أبادت خيارهم ، وأخرجت ديارهم في أقل من خمس سنين ثلاثة حروب ضروس : الجمل ، وصفين ، والنهروان ، فأصبحت الدعوة إلى الحرب ثقيلة وبيلة ، والدعوة إلى الصلح والراحة لذيذة مقبولة . وهنا تأزمت ظروفه سلام الله عليه وحاسب الموقف حساباً دقيقاً ، حساب الناظر المتدبر في العواقب فوضع الرفض والقبول في كفتي الميزان ليرى لأيها الرجحان ، فوجد أنه لو رفض الصلح وأصر على الحرب ، فلا يخلو إما أن يكون هو الغالب ، ومعاوية المغلوب وهذا وإن كانت تلك الأوضاع والظروف تجعله شبه المستحيل ولكن فليكن بالفرض هو الواقع ، ولكن هل مغبة ذلك ألا تظلم الناس لبني أمية . وظهورهم بأوجع مظاهر المظلومية ، بالأمس قتلوا عثمان عين الأمويين ، وأمير المؤمنين « كما يقولون » واليوم يقتلون معاوية عين الأمويين ، وخال المؤمنين[1] (يا لها من رزية) ويتهيأ لبني أمية قميص ثاني فيرفعون قميص عثمان مع قميص معاوية ، والناس رعاع ينعقون مع كل ناعق لا تفكير ولا تدبر . فماذا يكون موقف الحسن إذاً ؟ لو افترضناه ، هو « الغالب » .

أما لو كان هو « المغلوب » فأول كلمة تقال من كل متكلم أن الحسن هو الذي ألقى نفسه بالتهلكة ، وسعى إلى حتفه بظلفه فإن معاوية طلب منه الصلح الذي فيه حقن الدماء فأبى وبغى ؛ وعلى الباغي تدور الدوائر وحينئذٍ يتم لمعاوية وأبي سفيان ما أرادا من الكيد للإسلام وإرجاع الناس إلى جاهليتهم الأولى وعبادة اللات والعزى ، ولا يبقى معاوية من أهل البيت نافخ ضرمه ، بل كان نظر الحسن (ع) في قبول الصلح أدق من هذا وذاك أراد أن يفتك به ويظهر خبيثة حاله ؛ وما ستره في قرارة نفسه قبل أن يكون غالباً أو مغلوباً ؛ وبدون أن يزج الناس في حرب ، ويحملهم على ما يكرهون من إراقة الدماء .

---

(١) هنا كلمة قيمة للعلامة الأكبر القاضي أبو الفتح الكراجكي (ره) في كتابه « التعجب » يأتي نقلها في تعاليقنا الملحقة بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

فقدْ ذكرنا أن معاوية المسلم ظاهراً العدو للإسلام حقيقة وواقعاً كان لوجود المزاحم يخدع الناس بغشاء رقيق من التزمت في ارتكاب الكبائر والموبقات ، وما ينطوي عليه من معاداة الإسلام وتصميم العزيمة على قلع جذوره وإطفاء نوره ؛ يتكتّم بكل ذلك خوفاً من رغبة الناس إلى الحسن وأبيه من قبل فأراد الحسن أن يخلي له الميدان ، ويسلم له الأمر ويرفع الخصومة ، حتى يظهر ما يبطن ، ويبوح بكفره ، ويعلن ويرفع عن وجهه ذلك الغشاء الصفيق ويعرف الناس حقيقة أمره ، وكامن سره ، وهكذا فعل ، وفور إبرام الصلح صعد المنبر في جمع غفير من المسلمين ، وقال :

إني ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ، وقد أعطيت الحسن شروطاً كلها تحت قدمي .

أنظر إلى القحة والصلف وعدم الحياء وضيق الوعاء وصفاقة الوجه ؛ أما وأيم الله إنه لو لم يكن لقبول الصلح إلا ظهور هذه الكلمات من معاوية لكفى بها دليلاً على افتضاح معاوية ، ومعرفة الناس بكفره ، فما ظنك به وقد استمر على هذه الخطة الكافرة ، والخطيئة السافرة ، والتحدي للإسلام وهدم قواعده جهاراً .

لولا صلح الحسن لما استلحق معاوية زياداً بأبي سفيان ، وهو ولده من الزنا ، فضرب قول رسول الله (ص) « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ضربها بالحجر وبعرض الجدار بلا خيفة ، ولا حذار .

لولا الصلح لما قتل حجر بن عدي سيد الأوابين ؛ وعشرة من أعلام خيار الصحابة والتابعين ، قتلهم بمرج عذراء صبراً ، من دون أي سبب مبرر .

لولا الصلح لما قتل معاوية الصحابي الجليل عمرو بن الحمق وحمل رأسه إلى الشام ، وهو أول رأس حمل في الإسلام .

لولا الصلح لما سقى معاوية الحسن السم على يد جعيدة بنت الأشعث .

لولا الصلح لما أجبر معاوية البقية الصالحة من أولاد المهاجرين والأنصار على أخذ البيعة ليزيد ، وحاله في الفسق والفجور مشهور إلى كثير من أمثال هذه المخازي ، والفظايع التي لا يبلغها الإحصاء . ولكن تأمل ملياً وأنظر من الغالب ومن المغلوب ، أنظر ما صنع الحسن بمعاوية في صلحه وكيف هدّ جميع مساعيه وهدم كل مبانيه حتى ظهر الحقّ وزهق الباطل ، وخسر هنالك المبطلون فكان الصلح في تلك الظروف هو الواجب والمتعين على الحسن ، كما أن المحاربة والثورة على يزيد في تلك الظروف كان هو الواجب والمتعين على أخيه الحسين ، كل ذلك للتفاوت بين الزمانين والإختلاف بين الرجلين .

لولا صلح الحسن الذي فضح معاوية ، وشهادة الحسين التي قضت على يزيد ، وانقرضت بها الدولة السفيانية بأسرع وقت .

لولا تضحية هذين السبطين لذهبت جهود جدهما بطرفة عين ، ولصار الدين دين آل أبي سفيان دين الغدر والمكر دين الفسق والفجور دين الحانات والخمور دين العهار والقمار دين الفهود والقرود دين إبادة الصالحين واستبقاء الفجرة الفاسقين .

فجزاكما الله يا سيدي شباب الجنة ويا سبطي رسول الله جزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء ، فوالله ما عبد الله عابد ولا وحده موحد ، وما حققت فريضة ولا أقيمت سنة ولا ساغت في الإسلام شريعة ولا زاغت من الضلال إلى الهدى أمّة إلاّ ولكما بعد الله ورسوله الفضل والمنة والحجة البالغة والمحجة .

جاء رسول الله بالهدى والنور والخير والبركة للإنسانية أجمع من غير لون ولون وعنصر وآخر وأمة دون أمة وقوم سوى آخرين جاء بالإسلام والنور المبين فشيد قواعده وأحكمه وأقومه وأكمله وأتمّه ولم يترك فيه أي نقص وأي عوج وجاء أبو سفيان والشجرة الملعونة في القرآن معاوية ويزيد ومروان فحملوا معاول الكفر والشرك وتحاملوا على تلك الأسس والقواعد يقلعون جذورها ويخمدون نورها ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم

نوره ولو كره الكافرون ﴾[١] فوقف السبطان بما لهما من قوة وسلطان سداً منيعاً دون ذلك البنيان وما تم لهما ما أراد من حفظ شريعة جدهما إلا بالتضحية العظمى بأنفسهم وأموالهم ورجالهم وأطفالهم وبكل ما في الدنيا النعمة والنعيم والعيش الوسيم بذلوا كل ذلك في سبيل الله ولحفظ دين الله ، ولولا هذه التضحية وتلك المفادات لأصبح دين الإسلام أسطورة من الأساطير لا تجده إلا في الكتب والقماطير يذكره التاريخ كما يذكر الحوادث العابرة والأمم المنقرضة .

﴿ سبحان الله والله أكبر ولله الحمد ﴾ من هنا تعرف ويجب أن تعرف السر في حفاوة المنقذ الأعظم تلك الحفاوة البليغة والتعظيم الخارج عن نطاق العرف والمعتاد بل وعن رواق التعقل والسداد ذلك النبي العظيم والشخصية الحبيبة إلى المبدء الأعظم التي ملأها هيبة وعظمة ووقاراً ، والذي لا تهزه العواصف ولا تستمليه العواطف ولا خامره في لحظة من عمره العبث واللهو واللعب الذي كانت غريزته التي فطر عليها قوله : « ما أنا من دد ولا الدد مني » والذي كان من الوقار والهيبة والأتران ربما يدخل عليه الرجل الذي ما رآه من ذي قبل فترتعد فرائصه من هيبته فيقول له النبي : « لا تفزع فإني ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » حذراً من أن يقول المسلمون فيه ما قالت النصارى في المسيح هذا الطود العظيم ، يحمل الحسن والحسين وهما طفلان على كتفيه ويمشي بهما وهما على متنيه في ملأ من المسلمين رافعاً صوته ليسمعوا « نعم الجمل جملكما ، ونعم الراكبان أنتما » ثمّ يأتي الحسين وهو غلام فيعلو على ظهر النبي والنبي ساجد فلا يرفع رأسه حتّى ينزل الحسين حسب إرادته ، النبي يخطب والحسين يدرج في المسجد فيعثر فيقطع النبيّ خطبته ؛ ويعدو إليه ويحتضنه ويقول : « قاتل الله الشيطان ، الولد فتنة لما عثر ولدي هذا أحسست أن قلبي قد سقط مني » إلى كثير من

---

(١) سورة ٩ آية : ٣٢ .

أمثال هذا مما صدر عنه سلام الله عليه في ولديه مما لست بصدد إحصائه وجمعه .

ولكن أقول أن هذا الشغف ، والحب اللامتناهي ليس لكونهما إبني بنته فحسب فإن هذه النسبة لا تستوجب كل هذا العطف الخارق لسياج العرف والعادة ، ولكن لا شك أن هناك أسرار وأسباباً هي أدق وأعمق ، أسرار روحية هي فوق هذه الوشايج الجسمية ، فهل ترى معي أن رسول الله (ص) لعله ارتفع عن أفق الزمان ، وأشرف بروحيته المقدّسة من نافذة الدهر ، وأطل على صحيفة التكوين من ألفه إلى يائه ، فنظر إلى الماضي والحاضر والآتي نظرة واحدة ، رأى الحوادث الآتية ممثلة بعينها في صحيفة الوجود لا بصورها على شاشة التمثيل ، رأى ما كابد ولداه من الدفاع عن دينه ، والحماية لشريعته والتضحية بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ، وأنهم أرخصوا في المفادات كل غال وعزيز ، تجرع الحسن السمّ من معاوية مراراً حتى قضي بالمرة الأخيرة التي تقيأ بها كبده قطعة قطعة ، ثم ضرب الحسين المثل الأعلى في التضحية والمفادات لحفظ شريعة جده ، فاستقبل السيوف والرماح والسهام وجعل صدره ونحره ورأسه ورئته ، وقاية عن المعاول التي اتخذها بنو أمية لهدم الإسلام وقلعه من أساسه ، ونصب نفسه وأولاده وأنصاره ، الغرّ الميامين هدفا وشبحاً لوقاية الإسلام من أن تنهار دعائمه ، وتنهد قواعده وقوائمه ، بهجمات الأمويين عليه ، حتّى سلم الإسلام وأشرقت أنواره ، وعلمت أسراره ، وهلك الكافرون وخسر هنالك المبطلون ، وكانت كلمة الله العليا ، وكلمة أعدائه السفلى ، وكل مسلم من أول إسلام الناس إلى اليوم بل وإلى يوم القيامة مدين ورهين بالشكر والمنة لهذين الإمامين ؛ ولولا تضحيتهما التي ما حدث التأريخ بمثلها أبداً .

نعم لولا تلك التضحية لعاد الناس بمساعي الأمويين إلى جاهليتهم الأولى بل أتعس ، إذاً فهل تستغرب من النبيّ (ص) تلك الحفاوة والتعظيم لهما وهما طفلان صغيران ، وقد عرف بل رأى بعين بصره تلك الحوادث الفجيعة ، وذلك الكفاح المرير من أجله وفي سبيله ، وكان يشمهما ويضمهما

ويقول : « هما ولداي وريحانتاي » وباليقين أنه كان يتنسّم منهما العبق الربوبي ، ويتوسم بهما الألق الإلهي ، وبهذا نعرف ويجب أن نعرف أن الحسن والحسين ، نور واحد لا يفضل أحدهما على الآخر قدر عرض شعرة كل واحد منهما قد قام بواجبه ؛ وأدى رسالته ؛ وعمل بالمنهاج المقرر له من جده وأبيه والصك الذي تسلمه في أول يوم من إمامته ؛ إذا أردت التوسع في معرفة عظمة الحسن سلام الله عليه وشجاعته ، وبسالته ، وقوة قلبه ، وشدة عارضته ، وبليغ حجته ، وعدم اكتراثه بزخارف الملك ، وأبهة السلطان ، فانظر إلى كلماته واحتجاجاته في مجلس معاوية مع رؤوس المنافقين وضروس الكفرة الملحدين الذين كان معاوية يحرش بينهم وبين الحسن ليضحك على ذقونهم ، كابن العاص وابن شعبة ومروان ونظرائهم من زبانية جهنم الذين ما آمنوا بالله طرفة عين أنظرها وأعجب بها ما شئت هناك تتمثل لك العظمة في أوج رفعتها ، وتتصور لك البسالة في موج لجتها ، وإن شئت المزيد فانظر إلى كلماته ساعة الموت ويوم انطلاقه من هذا السجن . الكلمات التي قالها لأخيه محمّد بن الحنفية في حق أخيه الحسين ، هنالك تنفتح لك أغلاق أسرار الإمامة ، ويتضح لديك إشراق أنوار النبوة والزعامة ، وتعرف المرعوية النبوية والولاية الكلية هنالك الولاية لله « والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ومن كنت مولاه فعلي مولاه وإنما وليكم الله ورسوله الآية .

وقد زحف القلم ، وخرج عن المحدد واشتمر عن قصد الجادة وجادة القصد ، إنّما القصارى التي أردتها من كلمتي هذه أنّ العداوة بين بني هاشم وبني أمية ذاتية متأصلة هي عداوة الهدى للضلال ، والنور للظلام ؛ ويشهد لذلك أنك لو استعرضت سيرة بني أمية من أولهم من عبد شمس إلى آخرهم مروان الحمار لم تجد في صحيفة الكثير بل الأكثر منهمْ إلا الغدر والمكر ونكث العهود ، والفسق والفجور ، والعهر والخنا وأبناء الزنا إلى كل ما يتحمله لفظ الرذيلة من المعاني .

وإذا استعرضت سيرة بني هاشم من أولهم ليومنا هذا لم تجد في

صحيفة الكثير بل الأكثر منهم إلا كلما تحمله لفظ الفضيلة من الوفاء والصدق والشجاعة والعفة ، وطهارة المولد ، وشرف النفس وعلوّ الهمة ، والتضحية في سبيل المبدأ . وما إلى ذلك من كرم الأخلاق ، وطهارة الأعراق ، وهب أن هناك من يعذر بني أمية في عداوتهم لبني هاشم ويقول : إنهم اتخذوها ذريعة ووسيلة إلى الملك والسلطان . ولكن ما عذر الموالين لبني أمية في هذا العصر ما عذر الأموية الحديثة ، التي لا تنال بذلك حظاً من حظوظ الدنيا ولا نصيباً في الآخرة .

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾[1] ﴿ خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾[2] .

والحمد لله الّذي فقأ عيني الكفر والنفاق ، وأقر عيني الإسلام والإيمان بالحسن والحسين ، والعترة الطاهرة ، ونسأله تعالى كما منّ علينا بمعرفتهم وولايتهم أن يحشرنا في زمرتهم ، ويكرمنا بشفاعتهم والبراءة من أعدائهم وعداوتهم :

أواليكم ما دجت مزنة … وما اصطخب الرعد أو جلجلا
وأبرء ممن يعاديكم … فإن البراءة شرط الولا

وحقاً إن الزكي أبا محمّد سلام الله عليه في المدة القصيرة التي عاشها بعد أبيه تحمل من الرزايا والمحن ما لم يحتملها نبي أو وصي نبي ، وما هي بأقل من المصائب الّتي جرت على أخيه أبي عبد الله (ع) يوم الطف فإنّ النكبة الأليمة ، والضربة الأثيمة في الأخوين واحدة وإن اختلفت الأشكال والأساليب وكما أن الحسين قابل رزاياه بالصبر الذي عجبت منه ملائكة السموات فكذلك الحسن قاتل عدوه ، وقابل آلامه وأرزائه بصبر عجيب ، وصدر رحيب ما هان يوماً ولا لان ، ولا تضرع ولا استكان وما أخذ من

---

(١) سورة كهف آية : ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٢) سورة الحج آية : ١١ .

أمواله التي اغتصبها معاوية منه وصارت العوبة بأيدي بني أمية ، ما أخذوا واحداً من آلاف بل من مئات الآلاف وكما لا مساغ للتفاضل بين هذين النيرين ، كذلك لا يصح القول بأنّ صبر الحسن دون صبر الحسين ، أو أنّ مصيبته أهون المصيبتين ، فسلام الله عليكما يا إمامي الهدى وسليلي عليّ والزهراء ما أزهرت الفضيلة واكفهرت الرذيلة .

وأختم كلمتي بأبيات من خاتمة قصيدة رثاء لسيد الشهداء نظمتها منذ مدة تزيد على خمسين سنة أستهلها :

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ولا تحملوا للبرق منا ولا السحب

وأختمها :

بني الشرف الوضاح والحسب الذي تناهى فأضحى قاب قوسين للرب
لئن عدت الأحساب للفخر أو غدت تطاول بالأنساب سيارة الشهب
فما نسبي إلا انتسابي إليكم وما حسبي إلا بأنكم حسبي

حرر هذه الكلمة بأنامله الرقيمة ، وأقلامه السقيمة مرتجلاً مترسلاً في بضع سويعات آخرها يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان يوم وفاة سيد الوصيين وإمام الصديقين أمير المؤمنين عليه آلاف السلام والتحية سنة ١٣٧٣ هـ .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

بمدرسته العلمية بالنجف الأشرف

حسين مني وأنا من حسين

ورد إلى الإمـام كاشف الغـطاء رحمـه الله من الكـويت سؤال عن معنى قول رسول الله (ص) (حسين منّي . . .) فأجابه الإمام بجواب غالي .

السؤال :

إلى مولاي حجّة الإسـلام والمجاهـد الأكبر في إحيـاء المذهب الشيـخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء المحترم : دمت بالعزّ والهنا ؛ أدام الله تعالى ظلّه الـظليل بعـد تقديم فـروض التحيات مع واجب الإحترام بتحيّـة الإسلام وأتمنّى لكم السعادة والإقبال .

مـولاي : أسمع من كثيـر من الخطبـاء على منبـر الحسين عليـه أفضـل الصـلاة والسلام أحـاديثاً جمّـة يذكـرونها عن النبيّ (ص) ومن جملتهـا هـذا الحـديث : حسين منّي وأنـا من حسين ، وكلّمـا أمعنت النـظر وأكثـرت من التفكير فيه لم أصـل إلى حدّ يـوفقني عنده ، فـأعلم في قولـه (ص) (حسين منّي) هو أنّ الحسين ولد من فاطمة (ع) وفاطمة إبنـة الرسـول (ص) ولكن يقف حـدّي وأتحرج في تفكيـري ويختلف عقلي في تفسيرهـا . وعلمت أنّك أنت الملاذ الوحيد في صدور هذه المسائل ، ولذا كتبت لشخصكم الفـذّ هذا الكتاب راجياً منكم تفسيرها على الوجه الاكمل .

هـذا ولا عدمنـا وجـودكم ، ودمتم نبـراسـاً وعلمـاً لـلأمّـة والمـذهب ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٤ محرم الحرام سنة ـ (١٣٦٨)

خادمكم المحتاج :أحمد مراد محمّد

بسمه تعالى

الجواب :

ورد في كتابك المؤرّخ ٤ محرم ١٣٦٨ هـ بخصوص الحديث النبويّ الحسينيّ المشهور الذي أصبحت شهرته تغني عن البحث في صحّة سنده وعدم صحّته . وهو قوله (ص) : حسين منّي وأنا من حسين ، وإنّ عقلك قد اختلف عليك في تفسير الجملة الثانية ولم تستطيع أن تحمله على تفسيرها وتطلب منّا بيان معناها وتفسيرها على الوجه الأكمل ، وقد طرق باب هذا السؤال كثيرون قبلك منّا ومن غيرنا ، ونحن لا ندري كيف فسّره غيرنا[1] والذي نحتمله فيه عدّة وجوه نذكرها ونشير في كل وجه إلى ما يؤديه وإلى ما يبعده .

الأوّل : من المحتمل أنّ المراد به هو الدارج المتعارف حيث يقول الرجل لولده أو أخيه أو أحد أقربائه : أنا منك وأنت منّي ، ويستعمل في مورد الكناية من شدّة الإتصال والقرب المقتضى للمودّة والمحبّة لأنّهما من شجرة واحدة ومتفرّعات من أصل واحد ، فيكون المراد والله العالم : إنّي أنا والحسين من نور واحد وشجرة واحدة أحبّه ويحبّني وأتّصل به ويتّصل بي ؛ ويؤيّد هذا المعنى شيوع هذا الإستعمال وكثرته والمشكوك يلحق بالأعمّ الأغلب ، والّذي يبعّده أنّه معنى تافه لا مزيّة فيه للحسين (ع) بل ويشاركه أبوه وأخوه بل سائر بني هاشم ، وسياق الكلام يقتضي أن يكون المراد بيان

(١) قال السيد عبد الله الشبر في مصابيح الأنوار : روي عن النبي (ص) أنه قال : حسين . . . والأشكال في الفقرة الثانية ، وقد قيل في توجيهها أنهما لما كانا من نور واحد ثم قسما صدق أن كل واحد منهما من الآخر ؛ أنظر ج ٢ ص ٣٩٩ ط النجف .

مزيّة تختصّ بالحسين من النبيّ (ع) دون غيره .

الثاني : أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ المعنى الذي يقصد بقولهم النخلة من النواة والنواة من النخلة ، وفي الشجرة بذرة منها توجد الشجرة ، فيكون كناية عن كون الحسين (ع) قد انطوى فيه جميع كمالات الشجرة أي كمالات النبيّ (ص) ففيه كمالات النبوّة المعنويّة دون النبوّة الظاهريّة الرسميّة ، وهذا المعنى يؤيده مساعدة الإعتبار ومطابقة الحقيقة والوجدان ، ويبعّده أنّ لازمه اختلاف سياق الجملتين كما لا يخفى عن المتأمّل .

الثالث : من المحتمل أن يكون المراد الإشارة إلى ما هو المعلوم والمقطوع به من أنّه لولا شهادة الحسين (ع) لما بقي للإسلام إسم ولا رسم فإنّ أبا سفيان ونغلاه (معاوية ويزيد) ، حاربوا النبيّ (ص) في الجاهليّة وحاربوه في الإسلام لمحو الإسلام وطمس آثاره وأنواره وقد تسنى لهم ذلك بعد شهادة أمير المؤمنين عليّ (ع) واستقامة الأمر لمعاوية بعد صلح الحسن (ع) ، ولو تمّ الأمر ليزيد كما تمّ لأبيه لمحي الإسلام بالتمام وأعاد الجاهليّة على بكرة أبيها وبتمام معانيها ، ولكن جزى الله الحسين (ع) عن الإسلام أحسن الجزاء فلقد حفظه بشهادته وفداه بدمه ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه الذين ما خلق الله لهم مثيلاً على وجه الأرض لا في عصرهم فقط بل منذ خلقت الدنيا إلى وقتك هذا ، فبقاء شريعة الإسلام ونبوّة النبيّ (ص) من الحسين (ع) ، وهذا المعنى عال شريف ، وهو عين الحقيقة والواقع ، وهي مزيّة اختصّ بها دون أبيه وأخيه فضلاً عن غيرهم ؛ ولكن يبعّده استلزامه اختلاف سياق الجملتين أيضاً ، إذ يكون الحاصل حسين منّي ولادة ، وشريعتي من الحسين بقاءً واستدامة .

الرابع : وهو أعلى المعاني ولعلّه أصحّها وأجمعها وربّما تندرج تلك الوجوه في طيّه ، وهو يحتاج إلى بيان مقدّمة تمهيديّة تشمل على أمرين الأوّل : أنّ الولادة الّتي هي عبارة عن تكوّن شيء من شيء وانبثاق كائن من كائن آخر تقع في الخارج على ثلاثة أنواع .

الأوّل : تولّد جسم من جسم ومادّي من مادّي كتـولد حيـوان من حيوان ونبات من نبات ومعـدن من معدن ومنـه تولـد إنسان من آخـر ، فيتحقّق إنتزاع البنوّة والأبوّة والأمومة ، وهذا هو التوالد الجسماني المحض .

الثاني : تولّد روح من جسم كتولد أرواح الحيوان من جسمـه ، وتوالـد أرواح البشـر من أجسـامهـا على مـا حقق في محلّه من أنّ النفس جسمـانيّـة الحدوث روحانيّة البقاء[1] ، وإنّ الـروح تتكوّن من جسم الإنسـان أو الحيوان كما تتكوّن الثمرة من الشجرة .

وأمّـا أحاديث خلق الأرواح قبـل الأجسام بـألفي عام فهي محمـولة على معان أخرى من الحكمة العالية والمعارف المتعالية ممّا لا مجال لذكرهـا هنا ، وهذه الولادة برزخ بين الولادة الجسمانية المحضـة والروحـانية المحضـة التي يأتي ذكرها لأنّها روحانية جسمانية .

الثالث : تولـد مجرّد وروح من روح كتـولّد النفـوس الكليّة من العقـول الكليّة في قوس النزول وتولد العقول الجزئية من النفوس الجزئية وتولّد النفوس الجزئيّة من الأجسام الشخصيّة في قوس الصعود ، وقد قرّر العرفاء الشـامخون والحكمـاء الإلـهيّـون أنّـه لا تـنـافي بيـن أن يتـولّـد شخـص من آخر بـالولادة الجسمانية ويكون الوالد متولّداً من ولده بالولادة الروحانيّة ؛ فآدم أبو البشر وأبو الأنبياء وكذلك هو أب لخاتم الأنبياء (ص) وبالولادة الجسمانية ولكنّـه متولّـد من محمّد (ص) بالولادة الروحانيّة ، ولعلّ إليه يشير شاعـر العرفـاء أو عارف الشعراء إبن الفارض[2] :

وإنّـي وإن كنـت ابن آدم صـورة فلي فيـه معنى شـاهـد بـأبـوّتي

---

(١) هـذا رأي صدر المتـألهين (ره) وقد حقق هـذا المطلب على ضـوء البراهين العلمية في كتبه النفسية كالأسفار وغيرها فراجع .

(٢) إبن الفـارض هو شـرف الدين أبـو القاسم عمـر بن علي الحموي المصـري العارف المشهـور صـاحب القصيدة التـائية المعـروفـة ـ تـائيـة الصغـرى والكبـرى ـ تـوفي سنـة : (٦٣٢) هـ بالقاهرة .

وشاعر أهل البيت (ع) العمري[1] يقول في مدح أمير المؤمنين سلام الله عليه :

أنت ثاني الآباء في مبدء الدور وآباؤه تعدّ بنوه
خلق الله آدم من تراب فهو ابن له وأنت أبوه

فآباء النبيّ بالولادة الجسديّة كلّهم أبنائه وهي ولادة حقيقيّة بل أحقّ من الولادة الجسميّة .

الثاني : إنّ الولاية أوسع دائرة وأعلى أفقاً وأكثر أثراً من النبوّة : هنالك الولاية لله ؛ وأوّل ولاية ولاية الله جلّ شأنه ﴿ الله وليّ الّذين آمنوا ﴾[2] بل وليّ كلّ شيء : ﴿ إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾[3] فولاية الله هي الولاية الكبرى ، وولاية النبيّ (ص) هي الوسطى ، وولاية أوليائه من سدرة المنتهى وجنّة المأوى ؛ ومن هنا قالوا إن الولاية أعمّ من النبوة وكلّ نبيّ وليّ ، ولا عكس ، والنبوّة تحتاج إلى الولاية والولاية لا تحتاج إلى النبوّة .

إذا تمهّدت هذه المقدمة وما تنطوي عليه من الأمرين النيرين ظهر لك معنى الحديث الشريف بالوجه الأكمل : وهو « حسين منّي » بالولادة الجسمانيّة « وأنا من حسين » بالولادة الروحانيّة فإنّ الحسين بوجوده السعي الكلّي الخارجي العيني لا الذهني المفهومي هو الحائز بشهادته الخاصّة ، وإمامته العامة لمقام الولاية العظمى ، والفائز بالقدح الاعلى من سدرة المنتهى وهذه هي مجمع الولايات وغاية الغايات ، ومنها تنبثق وتتولّد جميع النبوّات ، فلا جرم أنّ حسيناً من محمّد (ص) ومحمّد من حسين (ع) .

محمّد النبيّ من الحسين الوليّ ونور النبوّة ينبثق من نور الولاية ثمّ يصير النور واحداً ، وهنا تزول الحيثيّات وتسقط الإعتبارات وليس إلّا الله جلّ جلاله

---

(١) أنظر صفحة (١٢٢) من هذا الكتاب .
(٢) سورة ٢ آية : ٢٥٧ .
(٣) سورة ٥ آية : ٥٥ .

وأنواره وتجلياته فأطفأ السراج فقط (فقد) ظهر الصباح لذي عينين وزال كلّ فرق وفارق من البين ، ووصل الكلام إلى مقام لا تحتمله عقول الأنام ، وهنا أسرار وأكوار لا يجوز نشرها وذكرها ، وكيف كان فهذا الحديث من جوامع كلمة صلوات الله عليه ، والحمد لله وليّ الإلهام في البدء والختام .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

الحسين كتاب الله التكويني

آية الله المرجع الديني الأعلى الإمام كاشف الغطا تفضّل فحلّى صدر (البيان) بكلمته هذه الّتي أعربت عن سموّ عظمته فلعمر الله لقد أوتي هذا الإمام العظيم من المواهب ما لم يؤتها إلاّ ذوحظّ عظيم ، فهو الأمير في البيان والزعيم في الفقه والمصلح الأكبر بين سائر المسلمين ، فلا بدع إذا اقتدى به الجماهير واعتنق رأيه الملايين من البشر فقد برهن طوال أربعة عقود من الزمن أنّه الحارس للدين والراعي لشرعة سيّد المرسلين ، وآثاره ناطقة ومؤلفاته شاهدة ، وأسفاره معربة عن كلّ ذلك وفوق ذلك .

البيان[1]

جرت عادة الصحف منذ سنوات أن تفرّد عدداً خاصاً في الحسين ـ سلام الله عليه ـ عند رأس السنة مستهلّ محرّم من كلّ عام فيستنهضون أقلام الكتّاب ويشحذون عزائمهم لتحبير المقالات ، فيأخذ كلّ كاتب أو شاعر أو خطيب ناحية من نواحي واقعة الطفّ ويكتب فيها ما تملي عليه قريحته وتواتيه قدرته ، وكنّا كتبنا في فواتح عدّة من الصحف في مستهل السنوات الغابرة ما لو جمع لجاء مؤلّفاً مستقلاً وكتاباً فذّاً ، أمّا لو جمع ما كتبه العلماء والأدباء والشعراء والخطباء في تلك الفاجعة ، نعم لو جمع كلّ ما قيل في تلك

(١) مجلة البيان لصاحبها الشيخ علي الخاقاني تصدر في النجف الأشرف .

الفاجعة الدامية من بدء حدوثها إلى اليوم لاستوعب ألوف الكتب والمؤلفات وبرزت منه دائرة معارف كبرى لم يأت لها الدهر بنظير ، وليس هذا هو الغرض من كلمتي هذه وإنّما المقصود بالبيان : أنّ نهضة الحسين (ع) على كثرة ما نظم الشعراء فيها ممّا يجمع مئات الدواوين وأكثر منها الخطب والمقالات وألوف المؤلفات هل ترى أنّ كلّ ذلك وجميع أولئك أحاطوا بكلّ مزاياها ؟ وأحصوا جميع خصائصها وخفاياها ؟ ووصلوا إلى كنه أسرارها وعجائبها ؟ كلّا فإنّ أسرار تلك الشهادة ومزاياها لا تزال تتجدّد بتجدّد الزمان وتطلع كل يوم على البشر طلوع الشمس والقمر لا ينتهي أمدها ولا ينطفي نورها ولا يحد سورها ولعل أقرب مثل يضرب للحسين (ع) هو كتاب الله المجيد فإنّ هذا الفرقان المحمدي على كثرة تفاسيره وشرح نكاته ودقائقه وغوامض حقائقه وإعجازه وبلاغته وباهر فصاحته وبراعته لا يزال كنزاً مخفياً ، ولا تزال محاسنه تتجدّد وأسراره تتجلى ، وفي كل عصر وزمان يظهر للمتأخّر من إشارته ومغازيه ما لم يظهر للمتقدّم فكأنّه يتجدّد مع الدهر ويتطوّر بتطوّر الزمان ، نعم القرآن كتاب الله الصامت والحسين كتاب الله الناطق ، القرآن كتاب الله التدويني والحسين (كتاب الله التكويني) وكلّ من الكتابين صنع ربوبيّ وعمل إلهي ، نعم كلّ الكائنات صنع ربوبيّ ولكن الحسين (ع) والقرآن صنعهما للتحدّي والإعجاز ، وما تحدّى الله بصنعه يعجز البشر عن الإحاطة به واستيعاب مزاياه وأسراره وبدائع أحكامه وحكمته ، القرآن يملي على البشر في كلّ زمان أسرار الكون وخبايا الطبيعة ودقائق الفطرة ، ونهضة الحسين (ع) في كلّ محرّم من كل سنة بل في كلّ سنة تملي على الكائنات عجائب التضحية وغرائب الاقدام والثبات ومقاومة الظلم ومحاربة الظالم ، نلقى على العالم دروس العزّة والاباء والاستهانة بكلّ عزيز من نفس أو مال في سبيل نصرة الحق وقمع الباطل والدفاع عن المبدء والعقيدة ، يلقي على الواعين دروس الاخلاق الفاضلة والانسانيّة الكاملة ، والسجايا العالية والملكات الزاكية وكلّ ما جاء به القرآن والسنّة من الخلق العظيم والنهج القويم ، ولكن جاء بها القرآن قولاً وطبّقها الحسين (ع) عملاً وأبرزها للناس يوم الطفّ عيانا ، أتريد ان تتعرّف بناحية ممّا صنع الحسين (ع) يوم الطفّ

أنظر إلى الكتاب الكريم فإنّ أقصى ما طلبه من العباد في باب الجهاد هو الجهاد بالنفس والمال فقال تعالى : ﴿ جاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾[1] والحسين سلام الله عليه لم يقنع بهذا حتّى جاهد بماله ونفسه وأولاده وعياله وأطفاله والصفوة من صحبه وأسرته . صنع الحسين (ع) يوم الطف صنع العاشق الولهان فضحى في سبيل معشوقه كلّما اعزّ وهان كان الله تعالى أعزّ شيء عند الحسين (ع) فأعزّه الله وصار ثأر الله في الارض والوتر الموتور .

نعم قلنا ولا نزال نقول ، إنّ نهضة الحسين (ع) لا تحصى أسرارها ولا تنطفي أنوارها ولا تنتهي عجائبها :

وعلى افتنان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فصلوات الله عليك يا « أبا عبد الله » وعلى نهضتك المقدّسة التي حيّرت الأفكار وأذهلت العقول وأدهشت الألباب . وأعجزت عن الإحاطة بها كلّ كاتب وكتاب ، على مرّ الدهور وتمادي الأحقاب .

بسمه تعالى له الحمد والمجد

موقف الحسين (ع) وأصحابه يوم الطفّ .

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفا إلى الحشر لا يزداد إلّا معاليا

وذاك لأنّ موقفهم ذلك اليوم ما كان عملاً من أعمال الأنام وحادثة غريبة من حوادث الأيّام بل كان عملاً ربوبياً ، وطلسماً إلهياً .

نعم هي دروس إلهيّة ، وتعاليم روحيّة ، أملأها على جوامع الجبروت وصوامع الملكوت ، لأجيال الأبديّة ، وأحقاب السرمديّة ، وأعقاب البشريّة أكبر أستاذ إلهي ، ومعلّم ربوبي مع سبعين نفر من أهل بيته وخاصّته ،

---

(١) سورة ٩ آية : ٤١ .

وخريجي جامعته ، ما فتح الدهر سمعه وبصره على مثيل لهم قطّ .

وقفوا ضحوة من النهار على تلال الطفّ فألقوا على الأملاك والأفلاك والأرض والسماء والأنس والجنّ دروساً طاشت لها الألباب ، وذهلت عندها البصائر ، ذاك لأنّ تلك الدروس ما كانت أقوالاً وكلمات ؛ وألفاظاً وعبارات بل كانت أعمالاً جبّارة ، وتضحيات قهّارة ، وعزائم ملتهبة ؛ خاضوا لجج غمرات البلاء شعلاً ناريّة بل نوريّة إلتمع منها في آفاق الأبديّة سطور تسجل إحتقار هذه الحياة مهما كانت شهيّة بهيّة ، وتبرهن أنّها مهما غلت وعزّت فهي أرخص ما يبذل في سبيل المبدء ، وأهون ما ينبذ في طريق الشرف والكرامة وسموّ العقيدة ونبالة الذكر الخالد والمجد المؤبد ، وليست القضية قضيّة تقابل بين مزاج يعمل للأريحيّة والنخوة ومزاج يعمل للمنفعة والغنيمة ونزاع بين العقائد عراك بين الكفر والإيمان . وحراب بين الشرك والتوحيد بل بين الدين والجهود ، والروح والمادّة والفضيلة والرذيلة .

نعم الحرب والّتي كانت بين محمّد (ص) وأبي سفيان في بدر وأحد والأحزاب سوى أنّ الأوّل ظفر بالثاني بالغالبيّة وفي محاربة الحسين (ع) ويزيد يوم الطفّ ظفر الأوّل بالثاني بالمغلوبيّة فانعكست القضيّة هنا فصار المقتول هو القاتل والمغلوب هو الغالب ، المقتول غالب ، والقاتل مغلوب نعم كان القراع والصراع على ذلك المبدء أوّلاً وأخيراً ، ولولا نهضة الحسين (ع) وأصحابه يوم الطفّ لما قام للاسلام عمود ولا اخضرّ له عود ، ولأماته أبو سفيان وأبناء معاوية ويزيد في مهده ، ولدفنوه في أوّل عهده في لحده ولعل مراد القائل بالنخوة والحميّة هذه المعاني السامية ، ولمّا ضاقت عليه العبارة رمز إليه بالإشارة ، وعلى كلّ فالمسلمون جميعاً بل والإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين (ع) وأصحابه على ذلك الموقف الذي أقلّ ما يقال فيه .

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفا إلى الحشر لا يزداد إلّا معاليا

هل البكاء على الحسين "ع" اغراء للشيعة

سؤال ورد للإمام كاشف الغطاء رحمه الله من فضيلة الشيخ كاظم الخطيب[1] وهو : هل في قراءة الخطيب للأخبار الواردة في ثواب البكاء على الحسين (ع) كما هو مذكور في محلّه من المقاتل الحسينيّة إغراء للشيعة يوجب حرمة قراءتها ؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله وتحياته وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد .

جزاك الله عن أخ لك في الله يواليك ويحبّك لوجه الله تعالى .

ويؤسفني بل ويؤلمني أشدّ الألم أن تجول الصروف والظروف القاسية بيني وبينك فلا يتمتّع بصري برؤياك ولا سمعي بحديثك ولكن لا محيص من قضاء الله وقدره ، كما لا محيص من الرضاء بقضائه والعاقبة للمتقين ، أمّا الأخبار الواردة في ثواب البكاء على الحسين سلام الله عليه أو زيارته فهي وإن كانت عظيمة ولكنه ولله المجد والعظمة أعظم من ذلك ويستحقّ أكثر من ذلك ولكن اللازم على خطباء المنابر والذاكرين لرزيّة الحسين (ع) في هذا العصر

(١) كان رحمه الله من فضلاء خطباء الكاظمية توفي في أوائل الحكومة الجمهورية في العراق .

الذي ضعفت فيه علاقة الدين وتجرّأ الناس على المعاصي وتجاهروا بـالكبائـر أن يفهموا أنّ الحسين (ع) قتل وبذل نفسه لأجل العمل بشعائر الدين ، فمن لا يلتزم بأحكام الإسلام ويتجاهر بالمعاصي فالحسين (ع) منه بـريء كبراءتـه من يزيد وأصحاب يزيد ، وأمّا ذكـر أخبار الثـواب فقط ففيها أعـظم الإغراء ، وقـد تنبّه كثيـر من الكتّاب وذوي الألبـاب ونشـروا ذلـك في الصحف حتّى أنّ بعضهم كتب مقـالاً واسعـاً في هـذا المعنى وجعـل العنـوان (جنـايتنـا على الحسين) وحقـاً أنّ أكثر أعمـالنا جنـاية عـظمى على الحسين (ع) ولا مجال للبيان أكثر من هذا ، وفّقكم الله لكلّ عمل صالح بدعاء :

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

التضحية في ضاحية الطفّ[1]

إنّ التضحية والمفادات التي تسامى وتعالى بها إمام الشهداء وأبو الأئمّـة يوم الطفّ من أيّ ناحية نظرت إليها ، ومن كـلّ وجهة إتّجهت لهـا متأمّـلاً فيها أعطتك دروساً وعبراً ، وأسراراً وحكماً تخضع لها الألباب وتسجد في محـراب عـظمتها العقـول ، واقعـة الـطفّ وشهـادة سيّـد الشهـداء وأصحـابـه في تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرات والعظات البليغة فهي :

كـالبدر من حيث إلتفت وجـدتـه   يهـدي إلى عينيك نـــوراً ثـاقبـاً

* * *

أو :

كالشمس في كبد السماء ونورهـا   يغشى البـلاد مشـارقـاً ومغـاربـا

* * *

---

(١) تشـرف مندوب (البيـان) لدى الإمـام الفقيد (ره) يستمليـه كلمة للعـدد الخاص بـ (الحسين ـ ع ـ ليجعله غرة في جبين هذا العدد نفسه فأجاب الطلب فأملى عليـه هذه الكلمـة البليغة في بضع دقائق) .

(العدد ٣٥ ـ ٣٩) السنة الثانية ١٣٦٧ هـ النجف الأشرف .

أو :

كـالبحر يمنـح للقـريب جـواهـرا غــرراً ويبعث للبعيـد سحــائبــا

هذه الدنيا وشهواتها ولذائذها وزينتها وزخارفها الّتي يتكالب عليها البشر ويتهاوى على مذبحها ضحايا الأنام ، هـذه الدنيـا التي اتّخذهـا كلّ واحـد من الناس ربّاً وصار عبداً لها ولمن في يده شيء منها فلعبت بهم ولعبوا بها ، هذه الدنيا وشهواتها الّتي أشـار جلّت عظمتـه إلى جمهرتهـا بقولـه تعالى : ﴿ زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الـذهب والفضّة والخيل المسوّمة ﴾[1] كانت كلّ هذه النفائس الدنيويّة قـد توفـر للحسين (ع) أكملها وأجملها : من المال والبنين والنساء والخيل المسوّمة مضافاً إلى ما كان له من العزّ والكرامة وكلّ مؤهلات الشرف والتقدير التي استحقّها بحسبه ونسبه وبيته ومواهبه وقد كان في ذلك العصر لا يوازيه ولا يدانيه أحد في دنيا المفاخر والمـآثر ، الكـلّ يعترف ويعـرف مالـه من عظيم القـدر ورفيع المنـزلة ، فسلّم المجد والصعود إلى السماء بيمينه ، ومفاتيح خزائن الدنيـا في قبضة شمـاله . ومـع ذلـك كله فحين جدّ الجـدّ وحقّت الحقيقـة بـذل كـلّ ذلـك وضحّى بـه في ضـاحية يـوم الطفّ ، وفي سبيـل المبدء كـان أهـون شيء عليـه كـل تلك النفـائس ، وما اكتفى حتّى بـذل نفسه وجسـده ورأسه وأوصـالـه وأولاده وكـلّ حبيب لـه وعزيـز عليه في سبيـل حبيبـه الأعلى ومعشـوقـه الأوّل ، أفليس هـو الجدير والحري بأن يقول ؟ :

وبمـا شئت في هـواك اختبـرني فـاختياري مـا كـان فيـه رضـاكـا
يحشـر العـاشقـون تحت لـوائي وجميــع المـلاح تحت لــواكـا
واقتبـاس الأنـوار من ظـاهـريغـ يــر عجيب وبــاطني مــأ واكـا

---

(١) سورة ٣ آية : ١٤ .

ساعة الوداع لسيد الشهداء «ع»

كلّما ازداد الشيء عظمة وتعالى خيراً وبركة ، وتوفرّت غرر أوصافه من جميع أطرافه ، وتسامت معاليه من كلّ مناحيه ، إزدادت حيرة العقول فيه ، وقصرت الأفهام على إدراك كنهه وأداء حقّه ، هناك وما أدريك ما هناك ، تقف الأفهام ، وتنكسر الأقلام ، وتطيش الالباب ، وتوصد الأبواب دون الدخول إلى مجاز حقيقته وحقيقة مجازه ، وحلّ ألغازه ، ومعرفة سرّ إعجازه مهما أطنبت وأطالت ، ومهما أنشأت وقالت ، فإنّ قصارها الإعتراف بالتقصير بل القصور عن التعبير والتصوير .

خذ إليك مثلاً على ذلك هذا القرآن العظيم فقد مضى على نزوله من المبدء الأعلى من السماء الأسمى إلى هذه الأرض السفلى زهاء أربعة عشر قرناً ألف سنة وزهاء أربعمأة عام ، وفي كل عام من الصدر الأوّل إلى اليوم تنشر عنه المقالات وتؤلّف المؤلّفات ، مطولّة ومختصرة عن بلاغته وفصاحته ، وإعجاز آياته ودقائق نكاته ؛ وربّما ينوف هذه النوع من المؤلّفات على الالوف بل عشرات الالوف ؛ ولكن أترى انّ جميع اولئك الكتبة بلغوا من عظمة مقداره عشر معشاره ؟ او وزنوا دانقاً من قنطاره ؟ او انتهلوا القطرة من بحره ؟ او اهتبلوا الذرّة من ذروته ؟ لا ولا وكّلا ولقد احسن العارف ابن الفارض فيما فرض في إحدى عرفانيّاته حيث قال :

وعلى افتتان الواصفين بوصفه   يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

ولعلّ من قال إنّ القرآن لم يفسّر حتّى الآن لم يبالغ فيما قال كل ذلك لتعاظم القرآن وتساميه ، وارتفاع أفق أسراره عن أفق إدراك البشر .

ومن هذا القبيل وعلى هذا السبيل فاجعة الطفّ الّتي حدثت عام إحدى وستّين هجريّة ، ولا يزال المؤرخون وأرباب السير والمقاتل والفلاسفة والأدباء وكتبة الشرق والغرب يكتبون عنها باحثين عن جريان سيرها وتسلسل اسبابها ، وأليم وقعها ، وعظيم هولها نظماً ونثراً ، وتمثيلاً وتحليلاً ، حتى لو أمكن تعداد نجوم السماء ، وجاز الصعود إلى الجوزاء أمكن إحصاء كلّ ما قيل وما نظم وما نثر في هذه الحادثة النكراء الّتي ما حدث في عصر من العصور نظيرها ولا حدث التاريخ بمثلها ، ولكن كأن كلّ من كتب فيها اوجز او أطنب . وقصّرا وأطال ما اعترضها الاّ من ناحيتها السطحية ولا تناولها الاّ من وجهتها التاريخيّة ، وما أقلّ من استطاع سبر جرحها الدامي وغورها العميق ، وأسرارها الغامضة من كلّ ناحية من نواحيها وكلّ فصل من فصولها ، لأنّه على الغالب غير مستطاع لهم ولا تصل إلى أقلّه أكثر او اكبر مداركهم .

على القاعدة الّتي افتتحنا بها كلمتنا من أنّ الشيء كلّما ازداد عظمة تزداد فيه الحيرة ، فترتبك الأفهام ، وتقف الأقلام ، وتعجز الأرقام ، قل لي بربّك : ريشة أيّ رسّام مصوّر مهما كان فنّاناً بارعاً ومصوراً ماهراً يستطيع أن يمثّل ويصوّر لك حالة الحسين ـ سلام الله عليه ـ بعد الظهر بساعتين من يوم عاشوراء بعد مصرع جميع أولاده وإخوته وبني أخيه وبني عمومته جعفر وعقيل وجمهرة أصحابه حتّى الأطفال والشباب الذي لم يبلغ الحلم ، فها هي جثثهم على رقعة الأرض المحمرة بدمائهم في حرّ الهجير تصهرهم الشمس نصب عينه بين المعارة والمخيم ، وقد خفقت أجنحة المنيّة على رأسه ، وجراحاته تشخب دماً ، وقد بنى عليه درعه بنياناً ، وحال العطش بينه وبين السماء كالدخان ، ولمّا رأى أنه لم يبق بينه وبين الشهادة إلاّ سويعة ، ليس بينه وبين هبوط جسده المبضّع إلى الأرض وعروج روحه المعذّبة إلى السماء ، نعم لم يبق إلاّ هذه الحملة الأخيرة يدخل إلى الميدان ثمّ لا يخرج منه إلاّ ورأسه على السنان .

نعم من ذا الذي يقتدر أن يصوّر لك الحسين (ع) وقد تلاطمت أمواج البلاء حوله ، وصبّت عليه المصائب من كلّ جانب ، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقي من الأطفال ؛ فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوّة وبنات عليّ والزهراء ـ سلام الله عليهما ـ فخرجت المخدرات من الخدور كسرب القطاء المذعور ، فأحطن به وهو سابح بدمائه ، فهل تستطيع أن تتصوّر حالهنّ وحال الحسين (ع) في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطّر قلبك ؟ ولا يطيش لبّك ؟ ولا تجري دمعتك ؟ أمّا أنا فيشهد الله وكفى به شهيداً إنّي أكتب هذه الكلمات عصر هذا اليوم العاشر من محرّم سنة (١٣٧٣) هـ ولعلّها الساعة التي وقف فيها سلام الله عليه لوداع أهل بيته ، أكتب والقلب يرتجف ، والقلم يرتعش والعين تدمع والحشا تذوب وتتلاشى ، لا أدري كيف أعبر ؟ وكيف أصوّر ذلك الموقف المهول ؟ وأعجب كيف لم تسقط السماء على الأرض أسى وحزناً ولوعة وشجواً ؟ غيرة الله وحجّته يريد أن يرتحل من هذه الدنيا ويترك هذه الحرائر والمخدّرات في تلك الصحراء . يتركهنّ في الصحراء بين جثث القتلى ومصارع فتيانهنّ ، وبين الوحوش الكاسرة الّتي قتلت رجالهنّ وأطفالهنّ ، وتدبّر ما شئت وفكّر ما وسعك التفكير ، وتأمّل كيف حاله سلام الله عليه في فراقه لهنّ وهنّ بذلك الوضع الشائك ، وكيف حالهنّ في فراقهنّ له وهو غيرة الله ، وهنّ ودائع الله وودائع رسوله ، تجسّمت للحسين (ع) عند التوديع في تلك البرهة القصيرة ، وتمثّل له كلّ ما تصبّه سحائب المصائب على هذه الحفنة من اليتامى والنسوة الثواكل اللآتي ما فيهنّ إلّا من فقدت عزيزها من ولد أو أخ أو زوج وكم فيهنّ من فقدت كلّ أولئك وكلّ عميد لها وزعيم .

مشى الدهر يوم الطفّ أعمى فلم يدع عميداً لها وإلّا وفيه تعثّرا

تمثّل للحسين (ع) حالهنّ من ساعته تلك إلى رجوعهن إلى المدينة ، وأشدّ ما يشجيه ويبكيه لو كان مجال للبكاء ما يمرّ عليهن تلك الليلة ليلة الحادية عشر وصبحها يوم الرحيل مفكراً من يراقبهن تلك الليلة في تلك الصحراء ومن يحميهن ومن يطعمهم ؟ ومن يسقيهن ؟ .

نعم وهو ـ سلام الله عليه ـ أمام كل هذه الخواطر صابر ، وبينما هو يودّع ودائع النبوّة ويأمرهنّ بالصبر[1] إذا استعجله جيش بني أميّة وناداه مناديهم : للنزال ودخل خيمة النساء فودّعنه ولسان حال كلّ واحدة يقول :

ودعته ووديّ لو تودعني   روح الحياة وإنّي لا أودّعه

(١) رجع الحسين (ع) إلى حرمه مرة أخرى وودعهم وأمرهم بالصبر ووعدهم الثواب والأجر وأمرهم بلبس أزرهم وقال لهم استعدوا للبلاء واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب أعدائكم بأنواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ثم توجه إلى قتال أعدائه .

قال عمر بن سعد : ويحكم أهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه والله أن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم ، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين (ع) كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلاّ يعجه بسيفه فقتله والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره ، أنظر مقتل الحسين (ع) أو حديث كربلاء ص **٣٢٣** ط ٢ النجف . لسيدنا الحجة السيد عبد الرازق المقرم النجفي وجلاء العيون للسيد عبد الله الشبر (ره) ج ٢ ص ٢٠٥ ط النجف .

هل تكلم رأس الحسين "ع"

حضـرة حجة الإسـلام والمسلمين وآية الله في العـالمين الأستـاذ الأكبـر مولانا الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء دام ظلّه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته المعروض لحضرتكم إنّا كثيراً مـا نسمع من الذاكـرين أنّ رأس الحسين (ع) قد تكلّم غيـر مرّة ويـروون بذلـك أخباراً شتّى ورواياتاً مختلفة كخبر زيد بن أرقم وإبن وكيدة وغيرهما ، ويروون أنه قد تكلّم في مجلس يزيد ، فهـل هذه الأخبـار صحيحة أم لا ؟ فـإن كانت صحيحة فهل يمكن أن يقع مثل هذه المعجزة العـظيمة الخـارقة للعـادة بمرأى من الناس ومسمع ، ولا يرتدع منهم أحـد ؟ أو يرميـه بالسحـر كما رمـوا النبيّ (ص) بـذلك ؟ أو يغـالون فيـه كما غـالوا في الأميـر (ع) لمّـا ظهـرت على يديهما بعض المعاجز ؟ فإنّ التاريخ لم ينقل لنا شيئاً من ذلك ، وهل يجوز أن يكون جميع الذين شاهدوا ذلك الأمر العظيم معاندين مكابرين ؟ هذا ما نرجـو الجواب عنه ، ولكم جزيل الأجر والثواب .

٢٥ جمادي الأولى ١٣٤٩ / هـ

محلّة السنك بغداد

حسن بن عباس

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم : سلام عليك ودعاء لك بالسلامة والتوفيق .

نعم خبر زيد بن أرقم[١] وإبن وكيدة مروي كلاهما في بعض الكتب المعتبرة ، والمراد هنا الإعتبار التاريخي لا الإعتبار الذي عليه المدار في الأخبار الّتي يستنبط منها الأحكام الشرعيّة من الصحيح والحسن والموثّق[٢] ، بل هو من قبيل قولنا تاريخ الطبري[٣] وتاريخ إبن الأثير[٤] معتبران ، ويكفي في هذا المعنى من الإعتبار للخبر أن ينقله مثل صاحب البحار[٥] والطريحي في المنتخب[٦] فضلاً عمّا رواه السيد ابن طاووس[٧] في اللهوف أو الشيخ

(١) هنا تعليقة يأتي في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) أنظر في معرفة معاني هذه الإصطلاحات إلى كتاب « مقياس الهداية في علم الدراية » للمجتهد الأكبر العلامة المامقاني (ره) المتوفي (١٣٥١) هـ وهو أبسط كتاب وأنفعه في علم دراية الحديث فراجع .

(٣) محمد بن جرير الطبري المؤرخ الفقيه من علماء العامة صاحب التاريخ المشهور توفي (٣١٠) هـ ببغداد .

(٤) عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري المشهور بابن الاثير صاحب تاريخ الكامل واسد الغابة توفي سنة (٦٣٠) بالموصل .

(٥) المولى محمد باقر المولى محمد تقي المجلسي شيخ الإسلام والمسلمين ورئيس المحدثين المتوفي سنة : (١١١١) هـ صاحب الجامع : الكبير ـ بحار الأنوار ـ الذي هو دائرة معارف في جميع شتات الأخبار ومتفرقات الآثار ولم يلتزم مؤلفه إن كل ما جمعه فيه من الأخبار مما يمكن الركون إليه أو يلزم الإعتماد عليه أو يصح نسبته إلى عالم التشيع . وإنما نظر مؤلفه إلى جمع متفرقات الأخبار صوناً لها من التلف والضياع على مرور الأدوار وأما التنقيب والتحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف وفهم معاني بعض الأحاديث والبحث حول مضامينها فهذا كله موكل إلى أنظار أهل البحث والتحقيق والنظر والتحليل وليس غرض شيخنا الأستاذ (ره) أن مجرد وجود خبر في البحار يكفي مدركاً للإعتبار ودليلاً على الإعتماد سواء كان من قضايا وقعة كربلاء ـ تلك الكارثة الفجيعة ـ أو من غيرها .

(٦) الشيخ فخر الدين بن محمد علي الطريحي الرماحي العالم العابد الفقيه الورع صاحب مجمع البحرين المتوفي سنة : (١٠٨٥) هـ وكتابه « المنتخب » في المقتل مشهور ولا يمكن الركون إلى بعض متفرداته .

(٧) رضى الدين علي بن طاووس الحسنى العلامة الأورع الأتقى قدوة العارفين صاحب الكرامات المتوفي سنة : (٦٦٤) هـ له تصانيف كثيرة في غاية الإتقان والضبط منها كتاب « اللهوف» في المقتل في نهاية الإعتبار والإعتماد وما ذكره المحدث النوري (ره) أنه من تصانيف أوائل عمره لا يقتدح على اعتباره فإنه لم يغيره طيلة حياته ونسخه متحدة من حيث الوضع والأسلوب .

المفيد [1] في الإرشاد ونظائرهم ، والظاهر أنّ مثل هذه الكرامات (ولا تسمّى معجزات) على تقدير صحّة وقوعها ما وقعت بمرأى من عامّة الناس وإنّما هي خصوصيّة لبعض الأفراد الناقلين لها لحكمة هناك أمّا مجهولة لنا أو معلومة ، وعلى تقدير وقوع شيء من ذلك بين أمّة من الناس وجمهرة من البشر [2] فلا يلزم من ذلك أن يرتدعوا ، وكم وقعت من الأنبياء معجزات بين أممهم فلم يرتدعوا حتّى أصابهم العذاب ، وعدم ارتداعهم وإصرارهم ليس بأعظم من

---

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بـ (المفيد) شيخ الإمامية ورئيسهم ومن أركان الإسلام وأعمدة الدين ـ كل من تأخر عنه استفاد منه ـ توفي (٤١٣) هـ وله تصانيف نفسية وآثار خالدة في تمام الإعتبار وعليها الإستناد في جميع الشؤن الدينية منها كتابه « الإرشاد » من نفائس الكتب وجلائل الآثار وهو في غاية الإعتبار .

(٢) كما يظهر للقاريء الفطن بعد الفحص والتأمل في معجزات رسول الله (ص) أن بعضاً نادراً منها لم يكن ظاهراً لعموم الناس ومرآهم في كل الأوقات كتظليل الغمامة على رأسه الشريف فإنها كانت ظاهرة لبعض الناس دون بعض من غير فرق قبل البعثة وبعدها ويظهر ما ادعيناه واضحاً مكشوفاً لمن تتبع وتأمل معجزات رسول الله (ص) وسيرته أنظر أقلاً إلى قصة الراهب « بحيراً » في « بصري » في مناقب إبن شهر آشوب (ره) ج (١) ص ٣٦ ـ ٣٧ ط النجف .

قال الراهب : إني لأرى ما لا ترون واعلم ما لا تعلمون ..... ولقد رأيت له وقد أقبل نور أمامه ما بين السماء والأرض ولقد رأيت رجالاً في أيديهم مراوح الياقوت أو الزبرجد يروحونه وآخرين ينثرون عليه أنواع الفواكه ثم هذه السحابة لا تفارقه ألخ يظهر من ملاحظتها أن هذه الخوارق العادات كان يراها الراهب وأبو طالب (ع) دون غيرهما من قريش ثم شرع الراهب يخبرهم بما رآه .

والظاهر أن من هذا القبيل عدم الظل لرسول الله (ص) وأنه أيضاً لم يكن بمرأى من عامة الناس في عامة الأوقات .

وغير خفي أن خوارق العادت الصادرة عن رسول (ص) قبل البعثة تسمى « إرهاصات » وصدر عن رسول الله (ص) إرهاصات كثيرة ذكر المؤرخ الشهير فريد وجدي المصري مقدارا منها في « دائرة المعارف » في مادة « رهص » ج ٤ ص ٣٠٠ ط ٣ مصر ، فراجع .

ومما ينبغي لفت النظر إليه هو أن الرأس الأقدس قرأ القرآن في حشد من الناس أيضاً كما نقل أنه حينما نصب في موضع الصيارفة وهنا لغط المادة وضوضاء المتعاملين فأراد سيد الشهداء (ع) توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتنحنح الرأس الشريف تنحنحاً عالياً فاتجهت إليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنح قبل يوم الحسين (ع) فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » . أنظر مقتل الحسين للمقرم ص ٤٠٢ ط ٢ النجف .

إصرارهم على القتل من غير جرم ولا جناية ، وقد ورد في الأخبار المعتبرة أنّ رأس يحي بن زكريّا تكلّم بعد قتله مع الجبّار الذي أمر بقتله وقال لـه (إنّها لا تحلّ لك) عن المرأة التي تزوّجها وأمرته بقتل يحي فلم يرتدع[1] وسرّ ذلك كلّه أنّ الحرص والشهوة والطمع إذا استحكم في النفس وصار خلقاً لها وطبعاً فيها لم يكن شيء من العبر والعظات مؤثراً فيها (وحبّ الشيء يعمي ويصمّ) إذا شاهدت النفس من تلك الغرائب شيئاً إنصرفت عن التفكّر فيه وترتيب الأثر عليه أو تصرّفت فيه بالتأويلات وصرفته عن وجه الحقيقة ، وإنّ أمة تقتل عترة نبيّها وتسبي عياله لا تستبعد عليها جهود معجزة له أو كرامة ، ولو أنعمت النظر في رجال عصرنا الحاضر وما يرتكبون من الجناية على هذه الأمّة المسكينة وما يقترفون من الخيانة والغدر لحقوقها حتّى أسقطوها في هوّة الإفلاس والفقر المدقع والهلاك المؤبد لوجدت من أبناء عصرك وسماسرة مصرك المتربّعين على دست الحكم بقوّة الظالم الغاشم وعدوّ العرب والإسلام ما هو أشنع وأفظع ممّا يحدّثنا التأريخ عنه من أبناء العصور الغابرة وأبناء الملوك الجائرة ، فلا تستبعد شيئاً بعد الّذي تراه بعينك في زمانك وأوطانك والسلام .

٢٩ ج ١ سنة ١٣٤٩ هـ .

هل كان خروج الإمام (ع) إلقاء النفس إلى التهلكة ؟

بغداد بتاريخ أوّل شوال ١٣٥٠ هـ

من السيد صالح نجل المرحوم السيد عباس

ما يقول مولانا حجّة الإسلام وآية الله الملك العلّام في خروج أمير المؤمنين أرواحنا فداه ليلة ١٩ رمضان مع علمه بقتل إبن ملجم له كما يظهر

(١) كما نقل الحجاج بن يوسف الثقفي بعدما قتل التابعي الكبير جهبذ العلماء وعالم الشهداء ومن لم يكن على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه أعني سعيد بن جبير (رض) وسقط رأسه الشريف إلى الأرض قال : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ .

فهل ارتدع ذلك الظالم الغشوم ؟ كلا وكلا . قتله سنة : (٩٥) هـ بواسط ودفن في ظاهرها وقبره بها .

من كلامه لأمّ كلثوم ، لو شئت لأخبرتك بما تحت ثيابك ، وقصّة أوز وغير ذلك من الدلالات ، وهل هذا الخروج من باب القاء النفس إلى التهلكة ؟ فلقد أكثر الجاهلون في هذه السنة بمناسبة إحتكاكهم مع أهل الأهواء المبتدعة القال والقيل في ذلك .

وجواب الشيخ المفيد والسيد المرتضي(١) والعلاّمة الحلّي(٢) وغيرهم في هذا الباب لم يقبل به السائل الناقد ، فإن رأيتم ـ أطال الله بقاكم ـ أن تفيضوا علينا من المعلوم الّتي خصّكم الله بها دون غيركم ، وتجلو الريب عن القلوب الصدية بوجيز من القول فإنّا لا نريد أن نشقّ عليكم ، فالأمر إليكم ودمتم مؤيّدين موفّقين مسدّدين .

الجواب :

له الحمد والكبرياء

معاذ الله أن يكون ذلك من باب إلقاء النفس إلى التهلكة بل هو على الإجمال من باب الجهاد الخاص على الإمام لا الجهاد العام على عموم الإسلام . يعني أنّه من باب المفادات والتضحية والتسليم لأمر الله سبحانه في بذل النفس لحياة الدين وتمييز الحقّ من الباطل ، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حيّ عن بيّنة ، ويميز الله الخبيث من الطيّب ومن هذا الباب أقدام الحسين (ع) على الشهادة مع علمه بأنّه مقتول لا محالة .

ولا شك أنّهم سلام الله عليهم كانوا يعلمون بكلّ ذلك بأخبار النبي (ص) وحياً ، ولكن يحتملون فيه أن يتطرّق إليه البداء ويكون من لوح المحو والإثبات وأن يكون ثابتاً خلافه في العلم المخزون المكنون الذي استأثر الله

---

(١) علي بن الحسين الموسوي الشهير بـ (السيد المرتضي علم الهدى) سيد علماء الأمة وزعيم الشيعة الأكبر ومفخرة الإمامية ولد (٣٥٥) هـ وتوفي (٤٣٦) هـ .

(٢) جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي الشهير بـ « آية الله العلاّمة » رئيس الإمامية وزعيمها الأكبر صاحب التصانيف الممتعة توفي سنة : (٧٢٦) هـ .

سبحانه به لنفسه فلم يظهر عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً ، وباب البداء باب واسع[1] لا مجال هنا لشرحه ، وفي هذا كفاية إن شاء الله .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) مسألة البداء من المسائل الشريفة التي ينبغي البحث والتحقيق حولها ولذا تعرض لها علمائنا الإمامية وجمع منهم صنف فيها كتاباً مفرداً أو رسالة مستقلة وبعضهم تكلم فيها في أضعاف كتابه ولشيخنا الإمام الراحل (ره) بيانات بليغة كافية في هذه المسألة في كتاب « الدين والإسلام » .

وصنف عمنا العلامة المجتهد الأكبر السيد ميرزا محمود شيخ الإسلام الطباطبائي (ره) رسالة مستقلة في مسألة البداء ووسمها بـ « إبداء البداء » مطبوعة في سنة : (١٣٠٢) هـ ق بطهران مع رسالة : « مسائل الدعاء » أيضاً لـه رحمه الله ونقل شيخنا العلامة المحدث المتتبع الثقة المعتمد المولى على الواعظ الخياباني (محلة بتبريز) المتوفي ١٣٦٧ هـ ـ صاحب وقائع الأيام ـ في مجلد الصيام أقوال جمع من علمائنا وكلماتهم حول هذه المسألة أنظر صفحة ١٩٧ ـ ٢٣٠ وللعلامة المجاهد الأكبر الشيخ محمد الجواد البلاغي النجفي (ره) رسالة لطيفة في مسألة البداء طبعت ضمن « نفائس المخطوطات » في المجموعة الرابعة ص ٧٧ ط بغداد .

وفي مكتبتنا رسائل ـ مخطوطة ـ لجمع من علمائنا في مسألة البداء لم تطبع إلى اليوم .

سؤال عن تضحية أصحاب الحسين «ع»

قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾(١) .

سماحة العلاّمة المحقق والمصلح الأكبر مولانـا ومقتدانـا الشيخ محمّـد الحسين كاشف الغطاء دام ظلّه هذا السؤال لا أرى له جواباً شافياً إلاّ ما يخطه قلمكم المبارك فأرجو الجواب :

ذكر المؤرخون وأهل السيّر بـأنّ الحسين (ع) أحلّ أصحـابه من بيعتـه يوم كربلاء وأذن لهم بالإنصراف وقد أبوا إلاّ مواساته ، فـإن صحّ ذلـك فكيف يحلّهم من بيعتـه والحال أنّـه خـلاف الضـرورة من دين المسلمين : من مـات وليس في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهليّة فكيف يأمرهم (ع) بذلـك ؟ ويقول لهم أنتم في حلّ من بيعتي مـع ما يتـرتّب عليه من المحـذور وهو ميتـة الكفـر ، ثمّ أليس الجهـاد معــه واجب ؟ وحفـظه (ع) على الأمّــة واجب ؟ فكيف يـأمرهم بتـرك الـواجب وقـد صمّمـوا على الجهـاد والـدفـاع عنـه حتى الممات ؟ ولمّا كـان أمره واجب الـطاعة فكيف لم يتفـرّقوا عنـه حينما أمـرهم بالتفرّق عنه ؟ فبقائهم معه مع أمره بالتفرّق عنه معصية وحاشاهم المخالفة لأمر أمامهم ونهيه وهم العالمون بأنّ طاعته واجبة .

---

(١) سورة ١٦ آية : ٤٣ .

وإن قيل أنّه أراد اختبارهم وإقامة الحجّة عليهم . فيقال هذا لا يصحّ لأنّ الإختبار إنّما يصحّ مع مشكوك الحال أو معلوم النفاق عند المختبر (بالكسر) لتتم الحجّة عليه في ذلك الحال ، أمّا هؤلاء الصفوة والعلماء الأبرار فإنّ ذلك لهم من قبيل تحصيل الحاصل لأنّهم رضوان الله عليهم بأعلى مراتب الإيمان والتقوى وإنهم لم يطلقوا حلائلهم ولم يعرضوا عن زهرة دنياهم ، ويناصروا الحسين (ع) إلّا وهم على بصيرة وعلم من أنّه (ع) إمام تجب طاعته وتحرم معصيته ، فكيف يختبرهم بعد هذا الإخلاص والمعرفة الثابتة بوجوب طاعته ؟

١٨ ، ١ ، ١٩٥٤ م (محمّد حسن عليّ)

الجواب :

إنّ فاجعة الطفّ قضيّة هي الوحيدة من نوعها واليتيمة في بابها خرجت عن جميع القواميس والنواميس ولا ينطبق عليها حكم من أحكام الشرائع السماوية ولا الأرضيّة لا الدينيّة ولا المدنيّة ، ولا ينفذ في فولاذها الحديدي (لماذا ولأن) قل لي بربّك أيّ حرب في العالم برز فيها سبعون نفر إزاء سبعين ألف[1] أولئك عطاشاً قد كظّهم الجوع والظمأ وهؤلاء ملأى البطون من الطعام والشراب ، أولئك مقسّمة أفكارهم موزّعة ألبابهم بعيالهم وأطفالهم المعرضة للنهب والسلب ، وهؤلاء وادعة نفوسهم مجتمعة أفكارهم حيث لا عيال ولا أطفال ولا جوع ولا عطش ، قل لي بربّك أيّ حرب يبرز فيها غلام لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه قلم التكليف بصوم وصلاة فضلاً عن الجهاد فيأذن له عمّه[2] في المبارزة ويتقدم إلى سبعين ألف من الأبطال لامعة سيوفهم

---

(١) هذا الكلام من شيخنا الأستاذ (ره) من باب ذكر التمثيل للتكثير فإنه غير خفي على الخبير أن كلمة « سبعون » أو « سبعين ألف » جارية في كلام العرب مجرى التمثيل للتكثير كما صرح به العلّامة الزمخشري في الكشاف أنظر ج ٢ ص ٢٣١ ط ٢ مصر طبعة مطبعة الإستقامة وجوامع الجامع ص ١٨٣ ط (أفست) تبريز .

(٢) كقاسم بن الحسن عليه السلام خرج وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر إليه الحسين (ع) اعتنقه وبكى ثم استأذن فأذن له فبرز كان وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميص وأزر وفي رجليه =

مشرعة رماحهم ، أفما كان اللازم بحكم الشرائع السماوية أن يقول له عمه أنت غير مكلّف بجهاد ولا دفاع ؟ ويجب علينا أن ندفع عنك لا أن تدافع عنّا ، فكيف يأذن له عمّه العطوف الرؤوف حتّى يقتل ويصرع نصب عينيه ، ثمّ يبرز له أخ أصغر منه غلام[1] بل دون الغلام في أوّل الصبا وغضارة العمر وطراوة الشباب فيقتحم الميدان الذي ترتجف من رؤيته العقول والأبدان ، فيضربه أحد العتاة من عسكر العدوّ على رأسه ضربة صرعته وضربة أخرى على يده فأبانها من المرفق وبقيت معلّقة فنادى واعمّاه وعمه ينظر إليه فيسرع إليه قائلاً : عزّ على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغني عنك هذا يوم كثر واتره وقلّ ناصره ، ويبقى الغلام يتفحصّ برجليه حتّى يموت ، قل لي بربك أيّ حرب برزت فيه ربّات الحجال إلى القتال واشتبكت مع الرجال ، وحملت على الأبطال بعمود الخيمة .

قل لي بربّك أيّ حرب منع فيها العدو الماء حتّى عن النساء والأطفال فإنّ الطاغي معاوية[2] وإن سبق إلى ذلك في صفّين ولكن لم يكن في معسكر

= نعلان فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى وأنف ابن النبي (ص) أن يحتفي في الميدان فوقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلا بمثله غير مكترث بالجمع ولا مبال بالألوف .

قال العلامة السيد مير علي أبو طبيخ (ره) :

أهوى يشد حذاءه	والحرب مشرعة لأجله
ليسوم مهاما إن غلت	هيجاؤها بشراك نعله
متقلداً صمصامه	متفيئاً بظلال نصله
لا تعجبن لفعله	فالفرع مرتهن بأصله
السحب يخلفها الحيا	والليث منظور بشبله

وكان خرج قبله أخوه لأمه وأبيه أبو بكر بن الحسن عليه السلام وهو عبد الله الأكبر وأمه أم ولد يقال لها رملة فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

أنظر (مقتل الحسين) للمقرم ص ٣٦٠ ط ٢ النجف .

(١) هو عبد الله بن الحسن عليه السلام كان له إحدى عشر سنة .

(٢) أنظر إلى مخازي إبن آكلة الأكباد وصحائف تاريخه السوداء في الجزء العاشر من الأثر الخالد « الغدير » للعلاّمة الأميني .

أمير المؤمنين (ع) سوى الرجال ، قل لي بربّك أيّ حرب حملت الرؤوس فيها على أطراف الرماح يطاف بها من بلد إلى بلد فإنّ الجبت والطاغوت معاوية وإن حمل إليه رأس الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي وهو أوّل رأس[1] حمل في الإسلام ولكن ما حمل على الرمح ولا طيف به في البلدان .

قل لي بربّك أيّ حرب في الإسلام بل وفي الجاهليّة حملت فيها المخدّرات المصونات مع أطفالهم مسبيّة بتلك الصورة المهولة من بلد إلى بلد ولو أردنا أن نحصى ونستقصي الفظائع الّتي اقترفتها يد الإثم والعدوان في حادثة الطفّ وذيولها تلك الفظائع التي خرقت النواميس ومزقت القواميس ولا ينطبق عليها أيّ حكم من الأحكام ، ولا تسيغها شريعة من الشرايع ، لاقتضى ذلك تأليف كتاب يشجبك ويشجيك ، ويضحكك ويبكيك .

أمّا ما أشكل عليك من جعل الحسين ـ سلام الله عليه ـ أصحابه في حلّ من بيعته فليس محلّ العجب منه وموضع السؤال وعقدة الأشكال معكوسة وهي أنّه سلام الله عليه كيف أباح لهم الجهاد معه وهو يعلم كما قال لهم ان القوم إنّما يطلبون شخصه الكريم فقطّ ، وأنّهم لو ظفروا به لم يكن لهم حاجة بغيره ، ويعلم هو كما يعلم كلّ واحد منهم أنّهم لا يستطيعون دفع القتل عنه مهما جاهدوا واجتهدوا ، إذاً ألا يكون جهادهم معه من العبث وإلقاء النفس في التهلكة بغير فائدة ؟ فكيف رضي سلام الله عليه منهم بذلك ؟ وهذا هو السرّ الغامض الذي يحتاج إلى البحث والنظر لا ما ذكرته من جعلهم في حلّ من بيعته ، وليس معنى ذلك أنّه أسقط عنهم التديّن بإمامته الّتي جعلها الله طوقاً في عنق كلّ مكلّف يستحيل نزعه وخلعه ، وليس هو المقصود من جعلهم في حلّ من بيعته كما توهّمت ، نعم العقدة الّتي لا تحلّ ولعلّ سرّها الغامض لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم هو هذه الناحية فإنّ المعلوم بضرورة العقل والنقل وفي عامّة الشرائع والأديان أنّ الجهاد إنّما يجب

---

(١) أنظر إلى صفحة ١٢٨ من هذا الكتاب .

أو يجوز مع احتمال السلامة ورجاء الظفر والغلبة أمّا مع اليقين بالهلكة والمغلوبيّة فهو إتلاف للنفوس بغير فائدة[١] فأصحاب الحسين (ع) لو تركوا اقتحام هذه المعركة وتباعدوا عنها لم يكن العدوّ يتعقّبهم وليس له أيّ غرض بهم ، ولمّا دخلوا في الحرب لم يحفظوا الحسين (ع) ولم يحفظوا أنفسهم فكان اللازم البقيا على أنفسهم ولعلّ بقائهم وسلامتهم أنفع للحسين (ع) وعياله من قتلهم وإستئصالهم ، هذا هو الأمر المشكل والسرّ الغامض لا جعلهم في حلّ من البيعة الذي هو بمعنى إسقاط الجهاد عنهم أو الدفاع الّذي هو ساقط بطبعه وبذاته ، والله هو العالم بأسرار أوليائه وحكمة أحكامه وقضائه ، وله الحمد .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) إن الحسين (ع) إمام معصوم وإنسان حكيم فلا يخفى عليه الصواب ويتجلى إصابة الحسين (ع) في موافقته على تضحيتهم معه بعد تخييرهم بالرجوع إلى الرأي بالحديث في العمل السياسي ، وخلاصته أن التاريخ من صنع الإنسان أفراداً وجماعات ولا تجري حوادث التاريخ بصورة عفوية ، آنية وبدون ارتباط بالحوادث السابقة ، فحوادث التاريخ مترابطة ولذلك لا بد في العمل السياسي لأجل الوصول لغاية معينة من العمل المستمر والجهاد المستمر ، فالتضحية في سبيل الحق على اختلافها وإن لم تكن ذات فائدة آنية فإنها تثمر في المستقبل خصوصاً الشهادة في سبيل الحق فإنها تنبه الأفكار وتهيج النفوس لطلب الثأر ومواصلة الكفاح للوصول إلى الهدف والغاية ، فالمهم في العمل السياسي أن تكون الغاية شريفة والوسيلة شريفة مع المثابرة والإستمرار وقوة الإيمان .

الخضر ـ ٥ ذي القعدة ١٣٦٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

لمولانا سراج محجّة الدين وحجّة الله على العالمين العلاّمة الشيخ محمّد الحسين أدامه الله وأمتع به : السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

سيّد هل الأخبار الواردة في سكينة بنت الحسين (ع) من تعاطيها الشعر وبلوغها درجة الحكم بين الشعراء وكثرة مراجعتهم لها في مجلس أعدّ لذلك كما في الأغاني وغيره صحيحة عندكم ؟ فإن صح ذلك فالمرجو التفضّل بكلمات وجيزة تؤيّد تلك الأخبار ويحتجّ بها على من أباها ونفاها ، وإن لم تصحّ فتصدّقوا علينا ببسط كلام في التشنيع على من صدّق تلك الأخبار واعتقد بها وأهّل سكينة لمحادثة الرجال ومراجعتهم في الأشعار ومناظرتهم فيما نظم بالشعر وغيره ، نفع الله بكم الأمّة وأيدكم .

سيد كاظم الخطيب

الجواب :

من النجف الأشرف إلى الخضر ١١ ذي القعدة ١٣٦٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليكم وعلى عباد الله الصالحين ومدّنا بروح منه نرقى به إلى درجات المقرّبين ، ونستعين به على صلاح أمر الدنيا والدين ، سألت عافاك

الله عن الأخبار الواردة في سكينة سلام الله عليها وعلى أبيها وتعاطيها الشعر وبلوغها درجة الحكم بين الشعراء كما في الأغاني هل هي صحيحة ؟ إلى آخر ما في الكتاب .

فاعلم وفّقك الله أنّ أوّل من روى هذه الأخبار ونشرها على الظاهر هو أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وكلّ من رواها بعده فعليه اعتمد ومن شرعته ورد . أمّا من قبله من الثقات الإثبات كإبن قتيبة[1] فلم يذكر شيئاً منها في شيء من كتبه وكذلك إبن طيفور[2] في بلاغات النساء وهما أقدم من أبي الفرج بكثير ، ومن المعلوم أنّ كتاب الأغاني كتاب لهو وطرب[3] يجمع

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب كتاب المعارف وعيون الأخبار والإمام والسياسة وغيرها توفي سنة : (٢٧٦) هـ .

(٢) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور من أبناء خراسان ولد بغداد سنة : (٢٠٤) هـ وتوفي سنة : (٢٨٠) هـ وكتابه « بلاغات النساء » هو خلاصة منتخبة من صميم البلاغات العربية المروية عن النساء وطرائف كلامهنّ وملح نوادرهنّ وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام .

(٣) أبو الفرج الأصبهاني المتوفي سنة : (٣٥٦) هـ مرواني النسب مرواني النزعة ولذلك ألف لأقاربه الأمويين من ملوك الأندلس كتباً وصيرها إليهم سراً فأتته الجائزة منهم سراً .

وقد أرسل المؤرخون تشيعه حتى تسرب الوهم منهم على جملة من الشيعة فذكروه في كتب رجالهم وذهب عنهم أن هذه الأكذوبة أمر دبر بليل وإنما افتعلوها ليحملوا الشيعة أوزاراً مما أثبته من هناته وليس في كتبه وشعره أي صراحة بانتمائه إلى مذهب أهل البيت (ع) عدا إشعارات لا تعدو أن تكون تزلفاً منه إلى ملوك وقته آل حمدان وأمرائه ممن ينتمون إلى ولاء العترة الطاهرة (ع) ويصلون مادحيهم بعطائهم الجزيل ولذلك ألف كتاب « مقاتل الطالبيين » .

فالحق مع العلامة الخونساري صاحب روضات الجنات (ره) فيما أبداه من الرأي في حق أبي الفرج وتحامل المحدث العلامة النوري (ره) في خاتمة « المستدرك » عليه ليس على ضوء التحقيق والتحليل الصحيح بل جمود على أقوال بعض علماء الرجال من الشيعة مع أنهم ذكروه من الشيعة الزيدية إعتماداً على الشهرة الكاذبة بين المؤرخين قال ابن الجوزي في المنتظم ج ٧ ص ٤٠ ـ حوادث سنة ٣٥٦ ـ لا يوثق برواية أبي الفرج لأنه يصرح بكتبه بما يوجب الفسق عليه وتهاونه بشرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر .

وللدكتور زكي مبارك كلمة قيمة وقد أتى فيها بالحقائق الراهنة وصورت الرجل وكتابه الأغاني =

فيه كلّ غثّ وسمين ، إذ ليس المقصود منه على الأكثر سوى الفكاهة وأحاديث السمر ، وأبو الفرج وإن كان ثقة لا يكذب ولكنّه كثيراً ما يروي عن الكذّابين ولا يعنيه أمر الصحّة والضعف في الأخبار ، ويسرد كلّ ما وصل إليه مهما كان ، والأحاديث التي رواها بسكينة منها مقطوع بكذبه إنّه من المجعولات وأحاديث السمر ، مثل حديث إبن سريج مع سكينة فإنّه من السماجة والسخافة بحيث يدرك كلّ أحد جعله وكذبه ، ولا سيّما وإنّ رواية حمّاد الرواية[1] المشهور بالكذب وكان يضع القصص والوقائع وينشيء الأشعار وينسبها إلى العرب ، وكيف يحتمل العاقل أن سكينة تقول لإبن سريج المغنّي الذي تنسّك وترك الغناء أنا بريئة من جدي إن لم تغنّي لي ، وبريئة من جدّي إن لم تقم في بيتي شهراً كي تغنّي لي كل يوم ، وهكذا تبرّأت من جدّها عدّة مرات ، والحاصل أنّ المؤرخ وكتب التأريخ والأدب

= بما يفيد للقاريء زيادة بصيرة بما عليه من الخلاعة والمروق عن الدين وفراغ الكتاب ـ الأغاني ـ عن الحقائق التاريخية وقال هو كتاب أدب لا كتاب تاريخ أراد أن يقدم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذي بها الأندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني الشراب وقد جاءت أحاديث الأغاني مروية بالسند والرواية بالسند شيء ساحر فتن به كثير من الناس وظنوه علماً دقيقاً له آداب وشروط واعتماداً على هذا العلم الدقيق إطمأن كثير من الباحثين إلى روايات الأغاني فضلوا وأضلوا في حقائق التأريخ .

أنظر كتاب « النثر الفني » ج ١ ص ٢٣٤ ـ ٢٤٥ ط مصر وكتاب « السيدة سكينة » ص ٤٠ ـ ٥٤ لسيدنا الحجة السيد عبد الرازق المقرم النجفي .

(١) حماد بن سابور بن المبارك ولد (٩٥) هـ وتوفي (١٥٥) هـ . كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها أصله من الديلم ومولده في الكوفة ورحل إلى الشام فتقدم عند بني أمية وهو الذي جمع السبع الطوال (المعلقات) قال الأنباري في نزهة الألباء ص ٤٣ : ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة(أ . هـ) .

وقال محمد بن سلام الجمحي المتوفي (٢٣١) هـ في كتاب طبقات فحول الشعراء ، كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حماد الراوية وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار وسمعت يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر وقال علم الهدى (ره) في الأمالي . وأما حماد الراوية فكان منسلخاً من الدين زارياً على أهله مدمناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور أنظر طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ ـ ٤١ ط مصر بتحقيق وشرح الأستاذ محمود محمد شاكر . والأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٧٠ ط ١ مصر . والأمالي للسيد المرتضي ج ١ ص ١٣١ ط مصر .

كحاطب ليل ، واللازم في تمييز الصحيح من السقيم الرجوع إلى العقل والتعويل إلى القرائن والإمارات ، فمثل تلك الأخبار حرام نقلها والإعتماد عليها ، نعم في الأغاني ما يمكن التعويل عليه في أحوال سكينة مثل أنّ جريراً والفرزدق[1] وجماعة من الشعراء اجتمعوا في ضيافة سكينة فمكثوا أيّاماً ثمّ أذنت لهم فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، ثمّ أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت أيّكم الفرزدق ؟ فقال لها أنا ذا إلى الآخر ، فمثل هذا الخبر الّذي يحفظ كرامة هذه العقيلة ويجعلها في المقام اللائق بشرفها من الستر والصيانة هو المعقول والمقبول ، ولا جرم أنها كما ذكر أبو الفرج بنفسه أنّ سكينة كانت عفيفة سلمة برزة تجالس الجلّة من قريش وتجتمع إليها الشعراء وكانت ظريفة مزّاحة فكيف يعقل أن أقلّ غلمانها وهو أشعب يجتري عليها ويقول في خبر ابن سريج الذي أشرنا إليه : الرجل (يعني إبن سريج) زاهد ولا حيلة فيه فارفعي طمعك وامسحي بوزك إلى آخره .

والخلاصة أنّ أخبار الأغاني بل وغيرها مغشوشة ، والكذب فيها إن لم يكن أكثر من الصدق فهما سواء ولا يميّز هذا من ذاك إلّا الماهر المتبحّر من العلماء ولا يجوز لغيرهم من الذاكرين وغيرهم ذكرها إلّا بعد عرضها على من يوثق به من أهل البحث والنظر ، وإلّا كان إثمه أكبر من نفعه ؛ أمّا أخبار سكينة من الأغاني وغيره فالأرجح بل اللازم ترك ذكرها في النوادي العامّة والمحافل ومجالس العزاء وإن كان السيد المرتضى رضوان الله عليه[2] ذكر خفيفاً منها في أماليه ، والظاهر أيضاً أنّه أخذه من الأغاني ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله

---

(١) الفرزدق همام بن غالب التميمي الشاعر المشهور من الشعراء المجاهرين في محبة أهل البيت (ع) صاحب جرير توفي بالبصرة سنة (١١٠) هـ وبلغ خبره جريراً بكى وقال أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه وكذلك كان توفي جرير سنة (١١٠) هـ التي مات فيها الفرزدق .

(٢) أنظر الأمالي لسيدنا المرتضي علم الهدى ج ١ ص ٥١٣ ط مصر سنة : (١٣٧٣) هـ .

وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾[1] .

جعلنا الله من الفائزين بطاعته وغفر لعبده المذنب .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٣٣ آية : ٧٠ ـ ٧١ .

ربيع ٢ سنة ١٣٥٨ هـ سؤال من امريكا مشيغان
سيدي الحجة آل كاشف الغطاء

أتيح لي أن أطلع على كتاب السياسة الحسينية لجامعه ولدكم المحروس عبد الحليم ، وما دار به من بحوث حول الحسين وسياسة الحسين (ع) فخرجت من هذه المطالعة على وشك الإعتقاد الراسخ من أنّ الحسين لم يقتل إلّا لأجل شيء معنويّ ، وهذا الشيء المعنوي لا يزال مجهولاً عند الباحثين عن تأريخ الحرب الأموية وعند أتباع الحسين (ع) الذين يتحرّون جميع الأساليب المؤثرة ، ويزيدونها على النواجيد الحسينيّة إثارة للذكريات الدفينة الّتي تمجّد موقف الحسين (ع) وتخذل موقف اليزيد والأمويين الذين عاصروه ومشوا على مبادئه وسننه الظالمة .

إنّ الحسين لم يقتل لأجل الدين الإسلامي كما تقول الشيعة بذلك ولم يستشهد طلباً للملك والسلطان ، بل قتل (ع) محافظاً على معنويته الهاشميّة التي هي علّة وجود الأمّة العربيّة وبعثها من جديد متمتعة بجميع أساليب الثقافة ووسائل النجاح الإقتصادي المادّي ، وهذه القتلة الّتي يقولون عنها أنّها كانت في سبيل الله وسبيل المحافظة على معنويّة آل محمّد في سبيل الله أيضاً هي الشيء المعنوي الذي لا يزال مخبئاً عن أعين الباحثين ونحن إذا قلنا أنّ الحسين (ع) مات دفاعاً عن شرف الدين نكون قد أسأنا إلى الدين الإسلامي نفسه الذي ليس يقوم على قتلة الحسين (ع) او استشهاد أيّ نبيّ من الأنبياء ،

وليس هـو صورة مـاديّة يملكهـا فرد من البشـر لتموت بمـوته وتحيـا بحياتـه ، والأفضـل لكلّ مقتصـد أن يجعل هـذه القضيّة قضيـة عائليّـة تتفـاوت عن حـرّ وقوعها بين سموّ مباديء الحسين وبين إنحطاط مباديء يزيد .

وقد أدرك ولدكم ـ حرسه الله ـ في جوابه على كتاب الشيخ عبد المهدي شيئاً من هذا إذ قـال : إنّ الذي عـرض الحسين للقتل هـو تمنّعه عن المبـايعة ليـزيد ، وفي عـدم القيام بهـذه المبـايعـة يتعـرّض الحسين لأن يقتـل بسيـوف الأمـويين ، حتّى ولو كـان في عقر داره دون ان يضـطرّ إلى الخروج لمحـاربة يزيد وأتباعه ، وان يعرض نسائـه وأطفالـه للهتك الـذي هو صـورة القبح عنـد طبقات الاشراف الـذين منهم الحسين ، كما زعم غيـر واحد في إفتـرائه على الحسين وعائلة الحسين .

إنّ هذا الإفتراض ممكن الوقوع أكثر من غيره ، ومبايعة الحسن لمعاوية الّتي ظلّت أسبابها مغمضـة في بحثكم هي الّتي أجلت وقوع الحـرب الأمويّـة إلى مـا بعد وفـاة معاويـة ، ويظهـر أنّ الحسن بتعهّده لمعـاوية أنّـه لا يرى من الحسين سيئاً ؛ ـ كما جاء برسالة سماحتكم ـ وقف وقفة المشفق الذي لا يريد أن يفجع بأخيه وهو حيّ ، أراد بمبايعته أن يحجب دمـاء الأبريـاء التي أباحهـا يـزيد في تعنّتـه وطغيه وفسـاده وإعتدائـه على أخيه الحسين ، ولكن السيـاسـة لعبت دورها يومذاك إذ مات معاوية الذي كان عنده مخافة من الله أكثر من ولده يزيد[1] وإذا توفيّ الحسن الذي يعدّ بحق نراس السياسة الهاشميّة المؤديّة إلى أعمـال السلام القـومي الذي وقف حـائلاً في حيـاته دون وقـوع حرب طـاحنة كالحرب الأموي ، فيما لو ضم صوته إلى صوت أخيه الحسين في زمن معاوية الّذي تعود مبايعته لهذا السبب الوفاقي ـ على ما أظنّ ـ لا لأسباب الخوف والوجل الذي عزاه كثير من ضعفاء العقول والنوايا السيّئة للحسن ، أمّا قضيّة العادة العربيّة الّتي قلتم سماحتكم أنّها دفعت بالحسين أن يـصحـب أولاده

---

(١) ليس عنده ولا عند ولده يزيد شيء من مخافة الله ولكن معاوية عنده سياسة وتدبر دنيوي ويزيـد ليس عنده دين ولا سياسة .

كاشف الغطاء

ونسائه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف فهذه تخضع على خروجها عن قلم سماحتكم لضروب النقد والإعتراض إذ كان الدين الإسلامي أو التعاليم الإسلاميّة ـ بتعبير أصحّ ـ حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلّا من وراء الحجاب ، وأرجعتها إلى بيتها حيث تقوم بتربية وتهذيب أولادها وتدبير شئون منزلها الّذي يعدّ نصف الحياة الزوجية ـ إذ لم تكن كلها ـ في نظر قانون الزواج المدني والديني فكيف بالحسين خرق حجاب هذا النظام وأصحب عائلته وتابعيه معه جرياً على العادة العربية المعروفة قبل ظهور الإسلام وبعده ؟

وتعلمون أنّ العادة التقليديّة غير حكم الدين التشريعي ، فحكم الدين أسمى مكانة في نفس الحسين من عاطفة العادة ، فهل هناك ضرورة حيويّة دفعت بالحسين أن لا يكترث بتعاليم الدين ؟ ويتّبع ما أوحته عاطفة العادة الّتي تعدّ ملغاة بحكم هذه التعاليم ؟ هذا ما نريد الإجابة عليه مفصّلاً .

وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي وهو ، أن الخمسة أثواب الّتي أعطاها الحسين إلى محمّد بن بشير الحضرمي ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ السياسة الحسينية ـ كان يزيد ثمن الواحد منها على المأة ليرة عثمانيّة لا يتوافق اقتنائها بهذا الثمن الباهظ من قبل الحسين مع دواعي الزهد الّتي كانت متجسمة في أبيه وجدّه سيّد الرسل ، إذ عرفنا عن طرق الأحاديث المرويّة أنّ علياً والد الحسين كان يرتدي الصوف على بدنه داخلاً ويلبس الأطمار الرخيصة خارجاً ، دلالةً على زهده وورعه وتقواه أو تقليداً للنبيّ الذي هو المثل الأعلى للأمّة الإسلاميّة ، والذي جعل بهذه الإرتداء أمثولة عزاء للفقير الذي لا يستطيع أن يلبس ثوباً يسوي ثمنه مأة ليرة عثمانيّة ونحوها ، كما استطاع الحسين أن يلبس[1] مثل هذا الثوب ويهب خمسة على غراره إلى أحد أتباعه من الفقراء ؟

---

(١) لم يلبس الحسين تلك الثياب وإنما كان يقتنيها ليعطيها .

كاشف الغطاء

إن هـذه الروايـة على ما فيهـا من استقراء في النقـل تصوّر لنـا الحسين مسرفاً طامعاً في خير الدنيا أكثر من خير الآخرة . بينما لو رجعنـا إلى استقصاء ورع الحسين وزهـده وتقواه لـوجدنـا ذلـك أنّـه لا يتـوفّق ـ ورغبـة الحسين في تضميد عواطف الفقـراء المجروحـة ، والترفيـه على كل بـائس محتاج ولـو أنّ راوياً عزى ذلك إلى الحسن الذي كان له ميل خاص وصفة خاصة بهذا الثـراء الدنيويّ لأمكننا أن نصدّق ذلك بدليـل أنّ الحسن نشأ على الأبّهـة والمجد في زمن جـدّه وأبيه ، وأمّـا الحسين فمن المعروف عنـه أنّـه كـان لا يعـرف قيمـة الدنيا ، ولو عرف لها قيمة لبايع يزيد ، وبذلك كان أضاف إلى ثـراه ثراء آخـر يـدفعه لـه يزيـد بدلاً عن تلك المبـايعة الّتي كـانت منعت هذه الحـرب وذلك الهتك ؛ وحوّلت معنويّة الحسين من رجل شريف نزيه حافظ على مبدء أجداده ومعنويّة هذا المبدء إلى رجل مادي عبث بكـلّ شيء وخضع لكـلّ شيء بتأثيـر المادّة .

ورواية أخرى لا تتـوافق وصحـة النقـل ، وهي واردة بجواب سمـاحتكم من زيد بن أرقم قال ليزيد يوم كان يضـرب رأس الحسين بعوده : إرفـع عودك عن هـاتين الشفتين فوالله طـالما رأيت رسـول الله (ص) يقبّلهما ، إذ أنّـه من المعـروف أنّ رسول الله (ص) كـان يقبّل الحسين في نحـره على اعتبـار أنّـه سيموت مقتولاً ويقبّل الحسن في فمه على اعتبـار أنّه سيمـوت مسمومـاً فكيف تناقض المعنى الذي وقع فعلاً كما أشار النبيّ (ص) ؟ وكيف انتقل تقبيل فم الحسن إلى فم الحسين الذي مات منحـوراً على قفاه ؟ ولم ينتقـل تقبيل نحـر الحسين إلى نحر الحسن الذي مات مسموماً في فمه.

وفي الإستعراض الديني لأهل البيت نجد إعتـراضاً على الحـديث الذي ورد بلسـان النبيّ (ص) قـال مخـاطبـاً سلمـان الفـارسي : نحن أسـرار الله المودعة في هياكل البشريّة ، يـا سلمان نـزّلونـا عن الربـوبيّة ثمّ قـولوا فينـا ما استطعتم فإنّ البحر لا ينزف وسرّ الغيب لا يعرف ؛ وكلمـة الله لا توصف ومن قال هناك لم وممّ وبم فقـد كفر ، ! إذ أنّ من يتـأمل المعـاني الإستهلاليّـة من

الحديث يجد أنّ منها ما يعدّ إستكباراً في الأرض ، وهو يخالف بمنطوقه إرادة الله التي جاءت في القرآن فمحت آية الإستكبار الخليقة بالمستضعفين من الناس ، ويجد أنّ كلمة أسرار الله المودعة الّتي عمّت جميع هياكل البشريّة تتعرّض للشرّ حيناً وللخير حيناً آخر ، وتنقل من الزهد والتقوى دوراً وإلى الفساد والإثم والفوضى دوراً آخراً ، حيث كانت هياكل البشر الطاهرة فيها فهل كان الرسول يعني أنّه هو وذرّيّته سرّ الله المودع في هياكل البشريّة الطاهرة فقط ؟ أو في جميع الهياكل سواء كانت طاهرة أو خبيثة ، مجرمة أو مصلحة ، مدنسة أو غير مدنسة ؟ ! هذا سؤال نطرحه أمام سماحتكم من الشطر الأوّل من الحديث .

وأمّا الشطر الآخر فيه (ومن قال لم وممّ وبم فقد كفر) فيكفينا أن نقول إنّ فيه حجراً لعقل الإسلام الذي خلق حرّاً طليقاً بحكم التشريع الإسلامي ، ونتساءل كيف أباح النبيّ محمّد (ص) لنا إدراك الله عن طريق العقل بعد التفكير والتكييف والمقارنة والمشابهة والظنّ والشكّ والريبة وما أشبه ذلك ، ثمّ تكون هذه الأشياء كلّها شرعيه بنظر القانون الإسلامي ، ولم يبح لنا إدراك كنه (أسرار الله المودعة وسرّ الله الّذي لا يعرف وكلمة الله الّتي لا توصف) المتجسّمة في شخصه وشخص ذرّيّته من بعده ؟

إنّ هذا المنع المجرّد عن العقل والروية يعرض الرسول (ص) ـ إذا كان صادراً عنه ـ إلى عدّة إنتقادات عقليّة أهمّها أنّه أباح للعقل أن يدرك الله تعالى عن طريق الظنّ والتفكير الّذي حرّمه لإدراك شخصه ، وبذلك جعل نفسه فوق الله تعالى ؟ وإن كانت هذه النفس هي خليقة الله والخاضعة لأمر الله ، هذا فضلاً عن أنّ هذا الإدّعاء المتجسّم في كلمة سرّ الغيب الّذي لا يعرف وكلمة الله الّتي لا توصف ، يجعل للشكوك والأوهام سبيلاً للوقوف حائلاً بين حكم العقل وعاطفة الإعتقاد ، ولماذا لا يعرف رسول الله الذي هو كلمة الله وله أعمال وأقوال تدل على شخصه وتنم عن سجاياه وأخلاقه ؟ ومتى كانت أعمال الرجل وأقواله وتصرّفاته الدينيّة والإجتماعية بين أيدينا يمكننا أن نحكم على شخصيّته من أنّها شخصيّة صالحة إذا كانت أعماله وأقواله توافق

الصلاح وأن نحكم على هذه الشخصية من أنّها شخصية مجرمة فاسدة فيما إذا كانت أعماله وأقواله تأتي الفساد وترتكب الإجرام والفوضى الإجتماعيّة ؟ !

لا أعتقد أنّ هذا القول يصدر عن النبيّ كمحمّد (ص) كان متواضعاً جدّاً وهو كإنسان بسيط يمشي في الأسواق ، ويأكل ويشرب ، فكيف به كنبيّ يقول مثل هذا القول الذي هو القول الذي هو من صفات الإلهيّة ؟ بل أعتقد أنّ هذا الحديث من جملة الأحاديث الّتي دسّتها اليهود دساً في كتب الإسلام إنتقاصاً من قيمة الدعوة المحمّديّة التي هي أسمى كلّ شيء ظهر على وجه الأرض !

أمّا إذا كان هناك ما يدعو إلى الإعتقاد بصحتها فأرجو سماحتكم أن تتفضّلوا بيان ذلك ولو مفصّلاً .

الداعي عبد الله بري

من مدرسة كاشف الغطاء الكبرى في النجف الأشرف ٢٧ ربيع ٢ سنة ١٣٥٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، وله الحمد والمجد .

إلى الحبر الفاضل بل الإنسان الكامل ، وما أعزّ الكمال في الإنسان .

كان قد وردني منك كتاب فيه شيء من الأطناب ذكرت فيه بعض الملاحظات على بعض مندرجات (السياسة الحسينيّة) ووعدتك أن أجيبك إن لم يكن عن كلّها فمن بعضها على الأقلّ في كتاب أرجو أن يكون قد وصلك في البريد مع (كتاب أصل الشيعة) هديّة للسيّد فائز حسين أمين النهضة العربية الهاشميّة ـ حرسه الله وإيّاك .

تقول ـ أيدك الله ـ في كتابك : ونحن إذا قلنا إنّ الحسين (ع) مات دفاعاً عن شرف الدين نكون قد أسأنا إلى الدين الإسلامي ، إلى آخر ما أبديت في هذا الموضوع وكأنّه غاب عنك أنّنا حيث نقول : مات أو قتل دفاعاً عن الدين ؛ لا نريد أنّ الدين الإسلامي يموت بموته ويحيا بحياته ، بل نريد العكس يعني أنّ الدين يحيا بموته ويموت باستقاء حياته ، وهذه حال جميع من قتل في سبيل الله الذين يقول الله جلّ شأنه عنهم : ﴿ ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم ﴾[1] . . . مثل حمزة وجعفر

(١) سورة ٣ آية : ١٦٩ .

وعبيدة بن الحارث وسعد بن الربيع[1] وأمثالهم ممّن بذلوا حياتهم في الدنيا لحياة الدين فوجدوا خيراً من تلك الحياة عند الله تعالى ؛ فهم عند الله أحياء غير أموات وإن كانوا بالنظر إلى الدنيا أمواتاً غير أحياء ، ولا يلزم من هذا أن يكون الدين الإسلامي صورة مادية يملكها فرد من البشر كما تخيّلت ، ضرورة أنّ الدين هو عبارة عن تلك الأحكام والقوانين الّتي جاء بها الرسول الأمين من ربّ العالمين وحياتها وموتها بالعمل بها وعدم العمل بها ، ولمّا سلك يزيد في خلافته مسلكاً يوجب إبطال العمل بشرائع الإسلام حيث صار يجاهر بشرب الخمور وإرتكاب الفجور وترك الصوم والصلاة والناس يتبعونه طبعاً (لأن الناس على دين ملوكهم) كما قيل، وكأنّه بهذا يريد القضاء على الإسلام وموته ، لذلك ضحى الحسين (ع) بحياته ، وحياة خيرة أهل بيته وأصحابه إنكاراً على يزيد وإبطالاً لمساعيه وإحياءً للدين ، ولحمل الناس على العمل بشرائعه كما قال سلام الله عليه أو قيل عنه :

إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

فحقاً أنّ الحسين ـ سلام الله عليه ـ ما بذل نفسه إلّا دفاعاً عن شرف الدين وتفادياً للمبدء المقدّس ، ولا نكون بهذا قد أسأنا إلى الدين بل أحسنّا إليه حيث جعلناه فوق نفس الإمام المعصوم وأنّه يفدي بأعزّ النفوس ، ومن الغريب قولك ـ حرسك الله ـ على قولنا أنّ العادة العربيّة دفعت بالحسين (ع) أن يصحب أولاده ونسائه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف ، فقلتم إنّ التعاليم الإسلامية حرمت المرأة مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلّا من وراء حجاب ، أليس من الغريب أن تقول وأنت بهذه الثقافة ، إن الدين الإسلامي حرّم المرأة من مخالطة الرجال فتجعل ذلك وصمة شنعاء ولطخة سوداء في جبين الدين الإسلامي ؟ كيف يقال هذا وهذه الصدّيقة فاطمة الزهراء (ع) بنت مشرّع الدين الإسلامي خطبت في المسجد النبوي في حشد المهاجرين

---

(١) سعد بن الربيع الخزرجي أحد نقباء الأنصار من شهداء أحد ، أنظر ترجمته في تنقيح المقال ج ٢ ص ١٣ ط النجف .

والأنصار تلك الخطبة البليغة الغراء التي تستغرق ما يقرب من ساعة وكلّهم يسمعون ويشهدون ؟ وهذه عايشة ما زالت مدّة عمرها تخطب وتحدّث الرجال بالأحاديث النبويّة وإذا نظرت إلى كتب صحاح إخواننا السنيين تجد الربع أو الثلث تقريباً ينتهي سنده إلى عائشة ، حتّى نسبوا إلى النبيّ (ص) أنّه قال : خذوا ثلث دينكم من الحميراء ، وهل أوّل جواز الإختلاط من أنّها قادت جيشاً جرّاراً وجنداً قهّاراً إلى حرب البصرة وحاربت أمير المؤمنين (ع) ومعه أعاظم أصحاب النبيّ (ص) من الأنصار والمهاجرين ، دع عنك هذا وراجع كتاب (بلاغات النساء) وأمثاله وانظر إلى النساء اللآتي كن يخطبن في الجيوش في صفّين ويحرّضن أهل العراق على حرب أهل الشام ، وانظر إلى كلام الوافدات[1] على معاوية بعد أن تمّ الأمر له . وكيف كانت تلك النسوة أجرء من اللبوة وأقوى قلباً من الصخور ، أنظر إلى الخنساء[1] يوم حرضت أولادها الأربعة في بعض حروب المسلمين حتى قتلوا جميعاً ، وبعد هذا فهل تجد من الصحيح قولك : إنّ الإسلام حرّم المرأة من مخالطة الرجال ؟ ألم تكن النساء تضمد الجرحى وتسقي العطاشا ، وتزغرد وتهلهل وتحرض المقاتلين على الهجوم في حرب النبيّ (ص) وحرب الوصي (ع) ؟ .

دع وانظر إلى صفايا النبوّة وحرائر الرسالة وبنات سيّد الموحدين ويعسوب الدين (ع) من زينب وأمّ كلثوم وسكينة وخطبهنّ في كربلاء والكوفة والشام ، وفي مجلس يزيد وابن زياد في النوادي والمجتمعات ، فهل مع هذا كلّه تقول إنّ التعاليم حرّمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم وأرجعتها إلى بيتها ؟ أمّا آية الحجاب فهي واردة في خصوص نساء النبيّ (ع) وكان الأعراب الذين أخبر الله جل شأنه عنهم بقوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك

---

(١) مثل كلام سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية . وآمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي (ره) التي حبسها معاوية سنتين .

أنظر إلى بلاغات النساء لإبن طيفور وأعلام النساء لعمر رضا كحالة وأمثالهما من الكتب .

(١) الخنساء بنت عمرو بن الشريد اتفق أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ووفدت الخنساء على رسول الله (ص) مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم وتوفيت سنة : (٦٤٦) ميلادية .

من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾[1] يؤذن نساء النبيّ بالهجوم عليهنّ في منازلهنّ نهاهم الله عن ذلك ، راجع سورة الأحزاب ، نعم إنّ التعاليم الإسلامية حرّمت على النساء مطلقاً التبرّج وإظهار الزينة للرجال : ﴿ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى ﴾[2] وأين هذا من حرمة المخالطة ولو سلّمنا تنازلاً بحرمة المخالطة فأيّ منافاة بهذا لما أبديناه وأريناه من أنّ حمله لنسائه وأولاده استماتة في سبيل الكرامة والشرف ، فإنّ حمله لهنّ لا يستلزم المخالطة بوجه وإلّا لما جاز لامرأة أن تسافر من محلّ إلى آخر أبداً .

وأغرب من ذلك بل وأعجب جداً قولك أيّدك الله وسدّدك : وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي وهو أنّ الخمسة أثواب . . . يزيد ثمن الواحد منها على مائة ليرة عثمانية لا تتوافق اقتنائها مع دواعي الزهد الّتي كانت متجسّمة في أبيه وجده سيّد الرسل إلى آخر ما أفضت به وأفدت في هذه الناحية ، وكأنّك ـ عافاك الله ـ تحسب أنّ الزهد هو الفقر والفلاكة وعدم الوجدان ، وأن الغناء والثروة تنافي الزهد ؟ لا يا عزيزي ـ أعزّك الله ـ حقيقة الزهد هو عدم الحرص على المال وعدم المبالات في الدنيا وأن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء ؛ وقد جمع الله الزهد في كلمتين : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾[3] وحقيقة الزهد لا تظهر ولا تتجلى إلّا مع توفّر النعم وغزارة المال وبذله وعدم الحرص والتعفّف عن رذيلة الشحّ والبخل : ﴿ ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[4] أمّا الفقير المعدم الذي لا يجد ولا يملك شيئاً فأيَّ زهد له ؟ وأيّ فضيلة له بذلك الزهد القهري وقد سئل الحسن

---

(١) سورة ٤٩ اية : ٤ .

(٢) سورة ٣٣ آية : ٣٣ قال الجصاص المتوفي (٣٧٠) هـ : ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى يعني إذا خرجتن من بيوتكن قال : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهاهنّ الله عن ذلك وقيل هو إظهار المحاسن للرجل وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية الثانية حال من عمل في الإسلام بعمل أولئك فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي (ص) صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها (أ . هـ) أنظر أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٤٣ ط مصر .

(٣) سورة ٥٧ آة : ٢٣ .

(٤) سورة ٥٩ آية : ٩ . سورة ٦٤ آية : ١٦ .

البصري : أنت أزهد أم عمر بن عبد العزيز وهو خليفة المسلمين فقال عمر ابن عبد العزيز أزهد مني لأنّه وجد فعفّ وتمكّن فكفّ ولعلّ الحسن لو وجد وتمكّن لاستخفّ وأكل فأسرف .

وأمّا رسول الله وأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهما وآلهما ـ حيث كانوا يأكلون الشعير ويلبسون الصوف فليس لأنّهم كانوا لا يتمكّنون من المآكل الطيّبة والملابس الليّنة ولكنّهم كانوا يحتقرون الدنيا ونعيمها الفاني ويقولون عن أهل الدنيا : أولئك قوم عجّلت لهم طيّباتهم ونحن أخرت طيباتنا ؛ ولأمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة كلام مع العلاء بن عاصم الذي ترك الدنيا ولبس الصوف فقال له : يا عديّ[1] نفسه لقد استهام بك الخبيث (يعني الشيطان) فقال : يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ، قال : ويحك إنّي لست كأنت إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيّغ بالفقير فقره[2] وللباقر والصادق (ع) مع سفيان الثوري وأصحابه من متقشّفة ذلك العصر ومتصوّفة تلك الأيّام حيث كانوا يعترضون على الأئمّة عليهم السلام إذا وجدوا عليهم بعض الملابس الفاخرة قائلين ؛ إن جدكم رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما ما كانوا يلبسون هذه الملابس ؟ فيقول لهم الإمام : ذاك حيث أنّ الزمان قلّ أمّا إذا درّت الدنيا أخلافها فأولى الناس بها أولياء الله أو ما هو بهذا المضمون ، وللرضا (ع) كلام عال شريف في هذا الموضوع ولقد كان لأمير المؤمنين (ع) في المدينة من الضياع والبساتين والمزارع كعين أبي نيزز والبغيبغة وغيرها ما يدرّ كلّ سنة بألوف الدنانير ، وقد أوقفها جميعاً في سبيل الله وكان يضرب بالمسحاة بيده في عقار الله لا حرصاً على الدنيا والاموال ولكن حرصاً على الانفاق في سبيل الله والاحسان على الضعفاء من عباد الله[1]

---

(١) عدي تصغير عدو .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٢٣ ط مصر شرح إبن أبي الحديد ج ٣ ص ١١١ ط مصر .

(٣) قال السيد رضى الدين بن طاووس الحسني قدّس سره في كتابه القيم « كشف المحجة » ما هذا لفظه :

=

وكانت قنية تلك الاثواب الثمينة تمس ورع الحسين (ع) وزهده لو كان يشحّ بها ويحرص عليها ، امّا وقد بذلها في فكّ الأسير المجاهد في سبيل الله فتلك فضيلة للحسين (ع) وكرامة تزيد في علوّ ورعه وزهده ورغبته في تضميد عواطف الفقراء المجروحة والترفيه عن كل بائس محتاج .

ولعلّك ـ عافاك الله ـ حسبت أن الحسين (ع) يلبس تلك الثياب

= واعلم يا ولي محمد . . . أن جماعة ممن أدركته كانوا يعتقدون أن النبي (ص) جدك محمد وأباك عليا صلوات الله عليهما كانا فقيرين لأجل ما يبلغهم إيثارهم بالقوت واحتمال الطوى والجوع والزهد في الدنيا فاعتقد السامعون لذلك الآن أن الزهد لا يكون إلا مع الفقر وتعذر مع الإمكان وليس الأمر كما اعتقده أهل الضعف المهملين للكشف لأن الأنبياء عليهم السلام أغنى أهل الدنيا بتمكين الله جلّ جلاله لهم مما يريدون منه جلّ جلاله من الإحسان إليهم ومن طريق نبوتهم كانوا أغنى أممهم وأهل ملتهم ولولا اللطف برسالتهم ما كان لأهل وقتهم مال ولا حال وإنما كانوا عليهم السلام يؤثرون بالموجود ولا يسبقون الله جلّ جلاله بطلب مال يريد أن يطلبوه من المفقود وقد وهب جدك محمد (ص) أمك فاطمة صلوات الله عليها فدكا والعوالي من جملة مواهبه وكان دخلها في رواية الشيخ (عبد الله بن حماد) الأنصاري أربعة وعشرون ألف دينار في كل سنة وفي رواية غيره سبعون ألف دينار وهي وزوجها المعظم والواهب الأعظم من أعظم الزهاد والأبرار وكان يكفيهم منها أيسر اليسير ولكن العارفين ما ينازعون الله جلّ جلاله في تملك قليل ولا كثير ولكنهم كالوكلاء والأمناء والعبيد الضعفاء فيصرفون في الدنيا وفيما يعطيهم منها كما يصرفهم هو جلّ جلاله وهم في الحقيقة زاهدون فيها وخارجون عنها ووجدت في أصل تاريخ كتابته سبع وثلاثين ومأتين . . . عن مولانا علي أبيك أمير المؤمنين (ع) تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش وصدقتي اليوم لو قسمت على بني هاشم لوسعتهم وقال في الكتاب أنه (ع) وقف أمواله وكانت غلته أربعين ألف دينار وباع سيفه وقال من يشتري سيفي ولو كان عندي عشاء ما بعته .

وروى فيه أنه قال مرة (ع) من يشتري سيفي الفلاني ولو كان عندي ثمن أزار ما بعته قال وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف دينار من صدقته .

. . . . . . ورأيت في كتاب إبراهيم بن محمد الأشعري الثقة بإسناده عن أبي جعفر (ع) قال : قبض علي (ع) وعليه دين ثمانمائة ألف درهم فباع الحسن (ع) ضيعة له بخمسمائة ألف درهم فقضاها عنه وباع ضيعة أخرى له بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه وذلك أنه لم يكن يذر من الخمس شيئاً وكان تنوبه نوائب ورأيت في كتاب (عبد الله بن بكير) بإسناده عن أبي جعفر (ع) أن الحسين (ع) قتل وعليه دين وإن علي بن الحسين زين العابدين (ع) باع ضيعة له بثلاثمائة ألف ليقضي دين الحسين (ع) .

. . . . وكان وقف جدك أمير المؤمنين (ع) على أولاده خاصة من فاطمة عليها السلام لها عامل من ذريته فكيف وقع الضعفاء أنه كان فقيراً وأن الغني لا يكون لمن جعله الله جلّ جلاله =

ويتظاهر فيها بالبذخ والخيلاء أو نحو ذلك مما ينافي تلك القدسيّة السامية ، كلّا يا عزيزي ، فإنّ الحسين ـ سلام الله عليه ـ لو ملك الدنيا كلّها لوهبها لحظة واحدة في سبيل الله وفي سبيل البر والمعروف ، وما كان يضع شيئاً من تلك الثياب على بشرة بدنه الشريف وإنّما يقتنيها ليجود بها ويعطيها ويضعها في مواضعها اللائقة بها ، وقد ورد في بعض الأخبار أنّه سلام الله عليه لمّا استشهد كان عليه من الدين سبعة آلاف دينار ذهباً أو سبعون ألف وإنّ عليّ بن

= من خاصته وهل خلق الله جلّ جلاله الدنيا والآخرة إلا لأهل عنايته (أ . هـ) أنظر كشف المحجة ١٢٣ ـ ١٢٦ .

وغير خفي على القاريء الكريم أن علياً أمير المؤمنين (ع) إستخرج عيوناً بكد يده بالمدينة وينبع وسويعة وأحيا بها مواتاً كثيراً ثم أخرجها عن ملكه وتصدق بها على المسلمين ولم يمت وشيء منها في ملكه وجملة من وصاياه عليه السلام في صدقاته وموقوفاته مروية في الجامع الكبير « الكافي » للكليني (ر ه) فراجع .

ولم يورث أمير المؤمنين (ع) بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلا عبيده وامائه وسبعماية درهم من عطائه تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً على حسب المائة أربعة دنانير هكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك .

وكان أمير المؤمنين (ع) يعمل بيده يحرث الأرض ويستقي الماء ويغرس النخل كل ذلك يباشر بنفسه الشريفة ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلاً لا كثيراً وإنما كان صدقة وقصة عين أبي نيزر معروفة نقلها أبو العباس المبرد في الكامل أنظر ج ٣ ص ٩٣٨ ط مصر .

وقد مات رسول الله (ص) وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النضير ـ والحوائط السبعة مشهورة ـ وقد أوصى بها رسول الله (ص) إلى إبنته الصديقة الطاهرة (ع) وروى أن هذه الحوائط كانت وقفاً وكان رسول الله (ص) يأخذ منها ما ينفقه على أضيافه ومن يمر به فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة (ع) فيها فشهد علي (ع) وغيره إنها وقف .

وكان لرسول الله (ص) وأدى نخلة وضياع أخرى كثيرة بالطائف .

عن أبي بصير قال لما بلغ أمير المؤمنين (ع) أن طلحة والزبير يقولان ليس لعلي مال فشق ذلك عليه وأمر وكلائه أن يجمعوا غلته حتى إذا حال الحول أتوه وقد جمعوا من ثمن الغلة مائة ألف درهم فنشرت بين يديه فأرسل إلى طلحة والزبير فأتياه فقال لهما هذا المال والله لي ليس لأحد فيه شيء وكان عندهما مصدقاً فخرجا من عنده وهما يقولا أن له لمالاً .

أنظر الجامع الكبير « الكافي » والبحار وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٣٣ ط مصر وسيرة إبن هشام ج ٢ ص ٤٠ ط مصر .

الحسين (ع) لمّا رجع إلى المدينة إمتنع عن الطعام والمنام إلى أن قضاها عن أبيه ، والخلاصة أنّ الزهد هو قطع العلاقة عن الدنيا وعن حبّ المال لا عدم وجود المال ، وليس الزهد هو لبس الثياب الممزّقة والأطمار المرقّعة والمآكل الخشنة ، إسمح لي يا نور عيني أن أقول لك أنّ أكثر الناس لا يعرفون من حقيقة الزهد شيئاً ، والموكب العظيم الذي سار فيه الحسين (ع) من الحجاز إلى العراق وسقى في قفر الأرض بحرّ الهجير ألف فارس وألف فرس[١] أعظم من قضية الثياب الخمسة .

أمّا زيد بن أرقم وقوله إرفع عودك عن هاتين ألخ . . . فلعلّ تقبيل رسول الله شفتي الحسين (ع) من جهة أنّه تعالى أعلمه انهما موضع ضرب يزيد وابن زياد الذين قرعوا ثغر الحسين (ع) بالخيزرانة[٢] .

وأمّا حديث : نحن أسرار الله المودعة ألخ . . . فحيث أنّه من الأسرار التي لا يليق إفشاؤ ها مضافاً إلى ضيق المجال وطول المقال فالأجدر عدم الخوض فيه ونسأله تعالى أن يعصم أفهامنا وأقلامنا من الهفوات ، وما توفيق إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) إشارة إلى قضية الحر (ره) ولقائه مع سيد الشهداء (ع) ومنعه الإمام (ع) من الدخول إلى الكوفة ـ مذكورة في كتب التواريخ والمقاتل لا حاجة إلى ذكرها ومن شاء أن يطلع فعليه بالمراجعة إلى مظانها .

(٢) نقل العلامة الزمخشري قضية زيد بن أرقم مع إبن زياد بهذه الصورة قال في الفائق ما هذا لفظه : إبن زياد لعنة الله ـ دخل عليه زيد بن أرقم وبين يديه رأس الحسين ـ عليه وعلى أبيه وجده وأمه وجدته من الصلوات أذكاها ومن التحيات أنماها وهو ينكته بقضيب معه فغشي عليه ، فلما أفاق قال له : مالك يا شيخ ؟ قال : رأيتك تضرب شفتين طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلهما . فقال إبن زياد لعنه الله : أخرجوه فلما قام ليخرج قال : إن محمديكم هذا لدحداح .

أنظر الفائق ج ٣ ص ٣٩٢ ط مصر ١٣٦٤ هـ .

لا بد من ظهور المهدي «ع»

بسم الله الرحمن الرحيم

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون[1]

دلّت الأدلّة القاطعة ، وقامت البراهين الساطعة ، ولم يبق مجال شكّ لذوي العقول والألباب أنّ لهذه العوالم المحسوسة فضلاً عن العوالم الغائبة عن الحسّ من الذرّة إلى الذري ، ومن الثريّا إلى الثري من الأملاك والأفلاك ، والإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ـ لم يبق شكّ لذي عقل ـ في أنّ لها صانعاً حكيماً ، ومدبّراً عليماً ؛ كما لا ريب في أنّ المدبّر الحكيم ،والصانع القدير منزّه عن العبث مقدّس عن اللغو وجميع أفعاله معلّلة بالحكمة ، ومنوطةبالفائدة ، ومربوطة بالأغراض الصحيحة ﴿ أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا ﴾[2] وإذا توسّعنا في الفكر واستقصينا النظر وطالعنا من أول فجر التاريخ إلى ضحوة هذه العصور ، وتأمّلنا في جريات عوالم البشر من أبيه الأوّل إلى ولده الأخير وجدنا الشرّ هو لغالب على البشر ، والفساد هو المستولي على الصلاح ، والباطل غالباً مستفحل على الحقّ ، وإنّ الإنسانية لا تزال تئنّ من

---

(١) سورة ٢١ آية : ١٠٥ .

قال الطبرسي (ره) في تفسير هذه الآية الشريفة : قال أبو جعفر (ع) هم أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي (ص) أنه قال : لو لم يبق من الدنيا ألخ .

أنظر ج ٤ ص ٦٦ ط صيدا .

(٢) سورة ٢٣ آية : ١١٥ .

جروح الظلم الدامية ، وترزح تحت أثقال الجور العاتية ، فهل يصلح هـذا أن يكـون هو الغـرض والحكمة لـذلك الصـانـع الحكيم من خلق هـذا المخلوق التعيس وهـو الإنسان ؟ وهـل هذه الفـائدة والثمـرة من إيجـاده ؟ كـلّا ثمّ كـلّا وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً أهذا البشر الذي ثلثاه شرّ بـل أكثره . وقـد قال القائل :

ليت الكـلاب لنا كـانت مجاورة　　　وأنّنـا لم نـر ممّن نـرى أحـداً

وقال الآخر :

إنّي لأفتـح عيني حين أفتحهـا　　　على كثيـر ولكـن لا أرى أحـداً

أفهذا يصلح أن يكون غاية الصنع ، وفائـدة الإيجاد ، وثمـرة التكوين ؟ جلّ الصانع وتعالى ، وتقدس عن ذلك ، كيف وقد قال جلّ شأنه : ﴿ كتب الله لأغلبن أنـا ورسلي ﴾[1] وقد رأينا أكثر الـرسل مغلوبين مقهـورين مستضعفين مقتّلين ، ولا شـكّ أنّ المراد بـالغلبة المنوه عنهـا في الكتـاب هي الغلبـة في الدنيا . أمّا في الآخرة فالغلبة لـه جلّ شأنه وحـده كلّ شيء هنـالك هالـك إلّا وجهه[2] ، والملك يومئذٍ لله الواحـد القهّار[3] ، إذاً فـلا محيص ولا مجال من أنّ للحق في هذه الدنيـا دولة ، وللصـلاح فوز ونجـاح وللعدل ظهـور وغلبة ، ولله ورسله في هـذا الكون سـطوة وسلطان على جنود الشيطان ، وأن الله جلّ شأنه سوف يفي بوعده لأنبيائه وأوليائه وهو لا يخلف الميعاد .

وإنّه لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لـطوّل الله ذلك اليـوم حتّى يظهـر من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً[4] ، هنالك تظهر حكمة

---

(١) سورة ٥٨ آية : ٢١ .

(٢) إشارة إلى آية : ٨٨ من سورة : ٢٨ .

(٣) إشارة إلى آية : ١٦ من سورة : ٤٠ .

(٤) قال إمام المفسرين الشيخ الطبرسي (ره) في مجمع البيان : روى الخـاص والعام عن النبي (ص) أنه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحـا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما قد ملئت ظلمـاً وجوراً . وقـد أورد الإمام أبـو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتاب البعث والنشور أخباراً كثيرة في هذا المعنى حدثنا بجميعه =

الصنع وفائـدة الإيجاد ، والغـرض الصحيح من الإبـداع والتكوين ويستبين أنّ هذه العوالم المتقدّمة والشرور المتطرّفة كلّها مقـدّمات وتمهيـدات لظهـور دولة الحقّ ، وقمع الباطل ، هنالك يعرف كل إنسان صدق قوله تعالى : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر . . . الآية ، وقوله عزّ من قائل : كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، ذلك حيث يظهـر مهديّ الأمم ، وجـامع الكلم ، والحق الجـديد ، والعالم الذي علمه لا يبيد[1] .

عنه حافده أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمـد في شهور سنـة : ثماني عشـرة وخمسمائـة (أ . هـ) أنظر ج ٤ ص ٦٧ ط صيدا .

والأحاديث والأخبار في حق المهدي المنتظر (عج) بطرق أهل السنّة والشيعة متواترة مضافاً إلى أن وجود المهدي سـلام الله عليه من ضـروريات مـذهب الشيعة الإمـامية وأحـاديث أهل البيت (ع) به متواترة والعجب بعد ذلك من أبن خلدون المغربي حيث نقـل في مقدمته المشهورة من الروايات المتواترة الواردة من طرق أهل السنة ثم أخذ يستشكل في إسنـادها ورواتهـا مع أن من المحقق في أصول الفقه أن الحديث إذا بلغ إلى حد التـواتر لا ينـظر فيه إلى الإسنـاد والرجـال الراوين لذلك الحديث ولا يلاحظ أحوال الناقلين له لعدم الحاجـة إلى ذلك بعـد حصول العلم الضروري بسبب التواتر .

(١) قال تعالى : « فـذكرهم بـأيام الله » سـورة ١٤ آية : ٥ ، يستفـاد من أحاديث أهـل البيت عليه السلام أن من أيام الله أيام ظهور الدولة الحقة بقيام مهدي هذه الأمة ـ تلك الأيام التي يصل رقي البشر فيها إلى أوج الكمال لا يكون فيها شـرك ولا نفاق والعـالم كلها عـدل وإيمان وتـوحيد وصـلاح ولـذلك نسبت تلك الأيـام إلى الله تعالى مـع أن الأيام كلها لله ولا معبـود سـواه . أنـظر تفسير البرهان للسيد البحراني (ره) ج ٢ ص ٣٠٥ ط طهران ١٣٧٥ هـ .

من بغداد ٨/١/٣١

حجة الإسلام آية الله في الأنام ، الأستاذ الكبير مولانا الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء .

بعد تقبيل أيديكم أبدي لحضرتكم السامية أنّه قد وجّه إليّ بعض الشبّان العصريّين سؤالاً عن الأسباب الّتي دعت إلى غياب الحجّة عجل الله فرجه وهل هو حيّ الآن ؟ وكيف يمكن أن يظلّ طيلة هذه المدّة حياً ؟ وما الفائدة من تغيّبه ؟ ولماذا لم يظهر خصوصاً في هذا العصر الّذي فيه المسلمون أرقّاء ؟ وكذلك يسئل عن سبب تغيّب الخضر ؟ وحيث لا ملجأ في مثل هذه المعاضل سواكم نرجو أن تعيروا المسألة اهتماماً ، وتتفضّلوا بجواب تفصيلي يلائم عقليّة السائل ويناسب مشربه ، أدام الله ظلّكم على رؤس الأنام .

خادمكم : حسن عبّاس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[1] لا شك أنّ دين الإسلام من حين ظهوره إلى الآن لم يظهر ويغلب على جميع الاديان بحيث لا يكون على

---

(١) سورة ٩ آية : ٣٣ وسورة ٦١ آية : ٩ .

وجه الأرض دين سواه ، وقد وعد الله سبحانه بذلك في هذه الآية ، وآيات أخرى ، والله سبحانه لا يخلف الميعاد ، فلا بدّ في وقت من الاوقات ان يقوم داع إلى الله سبحانه وإلى دينه الحقّ بحيث لا يعبد في الأرض غيره تعالى شأنه كما لا يعبد في السماء سواه .

هناك يملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وهذا فرع من أصل بل أصول يبتني بعضها على بعض ، يبتدء من إثبات الحكيم بنعوته الجلالّية وتنتهي إلى وجوب وجود الإمام في كلّ عصر . وإنّ الأرض لا تخلو من حجّة ؛ وإنها لولا وجود الحجة لساخت وانقلبت بمن فيها كما ورد في الحديث المروي من طرق الفريقين وهنا أسرار وأستار لا يمكن كشفها ورفع الحجب عنها .

أمّا السؤال عن الأسباب الّتي دعت إلى غيبته فاللازم أوّلاً أن يعرف السائل أن الانسان إذا عرف أنّ له خالقاً لم يخلقه عبثاً ولم يتركه سدىً بل كلّفه بتكاليف يؤهّله بها للفوز والسعادة الابديّة في دار أخرى هي دار القرار ودار الجزاء فإذا عرف ذلك جيّداً وجب عليه ان يعرف التكاليف والاحكام الّتي أمره الله بها ، ويأخذها من الحجّة عليه والسفير بينه وبين الله سبحانه .

ولا يلزم عليه أن يعرف حكمة تلك الأحكام ، ومصالح تلك التكاليف وإن كنّا نعتقد على الإجمال أنّ جميعها مشتمل على أشرف الحكم والمصالح ولكن ليس كلّ العقول تستطيع الوصول إلى تلك الأسرار الربوبية والحكم الإلهيّة ، وهناك مراتب ومقامات حتّى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام تقف دونها ولا تستطع الوصول إليها ، فما ظنّك بأمثالها ؟ ومهما اتّسعت علوم البشر واكتشافاتهم عن أسرار الطبيعة ، ومكنونات الخليقة والحقيقة إتّضح لهم أنّ نسبة معلومات جميع البشر من أوّل التاريخ إلى اليوم نسبتها إلى مجهولاتهم نسبة القطر إلى البحر بل أقلّ بكثير .

---

(١) نقل في بعض كتب المحدثين من الإخباريين : « أن عيسى (ع) لما دعى أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب بأن عيسى رسول إلى ضعفاء العقول وأما أنا وأمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء » .

قيل لأفلاطون[1] عند قرب موته . ما تقول في الدنيا ؟ قال : ما أقول في دار جئتها مضطراً وسأخرج منها مكرهاً ، وبقيت فيها متحيّراً ولم أستفد من جميع علمي سوى أني لا أعلم ؛ ولجميع أكابر الحكماء من إسلام وغيرهم الكثير من أمثال هذه الكلمات ، والشافعي يقول : كلّما ازداد علماً زادني علماً بجهلي ؛ والفخر الرازي يقول من أبيات له :

نهاية إدراك العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وكفاك شاهداً على ضعف الإنسان وقصور مداركه مهما كان قصّة موسى (ع) مع الخضر مع أنّ موسى (ع) كان يومئذٍ نبيّاً ولله كليماً ، ومع ذلك عجز عن معرفة أسرار أمور جزئيّة كخرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار فما ظنّك بأسرار الأحكام الكليّة ، والنواميس الإلهيّة ، فإذا قامت الأدلّة القطعيّة عقليّة ونقليّة عن وجود إمام يتردّد في الأمصار ولكنّه غائب عن الأبصار وجب الإلتزام بذلك ولا يجب علينا أن نعرف أسباب غيبته ومتى يظهر ؟ وكيف يظهر ؟ ولماذا لا يظهر الآن ؟ وقد فشى الجور والعدوان ، فإن كلّ هذه الأسئلة عبث وفضول وتلك أسرار تعجز عنها العقول .

روى الصدوق عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق (ع) يقول : أنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل فقلت ، ولم جعلت فداك ؟ قال لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم ، قلت فما

= وأفلاطون عند الإطلاق هو أفلاطون « بلاطن » وهو ولد سنة : (٤٣٠) قبل الميلاد وتوفي سنة : (٣٤٨) أو (٣٤٧) قبل الميلاد فكيف يمكن وقوع هذه القصة بينه وبين المسيح (ع) فلا يمكن الركون إلى تلك القصة الواهية واضف إلى ذلك أنه كيف يسيغ وجدان عاقل صدور هذا الكلام من حكيم إلهي يدعو الناس إلى الصانع وتوحيده ويحارب مع الشرك والوثنية .

ورأيت في بعض المواضع من مصنفات بعض المحدثين نسبة هذه القصة إلى جالينوس وهو ولد سنة (١٣١) من الميلاد وتوفي سنة ٢٠٠ بعد الميلاد وقال المسعودي : (كان جالينوس بعد المسيح (ع) بنحو مأتي سنة) ـ وقيل ظهر أمره في سنة : (٢٥٠) بعد الميلاد فعلى ما ذكرنا لا شك أن جالينوس كان بعد المسيح (ع) وقول بعض أنه كان معاصراً معه (ع) غير صحيح أنظر قاموس الأعلام ج ٢ ص ١٠٠٤ وج ٣ ص ١٧٥٦ ط تركية ومطرح الأنظار لفيلسوف الدولة التبريزي (ره) ج ١ ص٢١٢ و ٣٢٠ ـ وغيرها .

وجه الحكمة في غيبته ؟ قال : وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره أنّ وجه الحكمة لا ينكشف إلّا بعد ظهوره إلى أن قال : يا إبن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من الله وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنه عزّ وجلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا .

وقال (ع) لمهزم الأسدي يا مهزم كذب الوقاتون ؟ وهلك المستعجلون ونجى المسلمون الصابرون ، ولعلّه سلام الله عليه أشار بقوله : إنّ وجه الحكمة لا ينكشف إلّا بعد ظهوره إلى أنّه بعد ظهوره ومشاهدة العجائب والآيات الباهرة الّتي تكون معه ، والّتي لم يقع نظيرها لنبيّ ولا وصىّ نبيّ مدّة عمر الدهر ، هناك يعرف أنّ هذا الأمر العظيم يستحقّ ذلك التأخير وطول المدّة وأن يكون قريباً للساعة ، وفناء العالم وإنقضاء دور من أدوار الكون وإدراكه أو لعلّ مراده بوجه الحكمة الّذي ينكشف بظهوره هو الحكمة الغامضة ، والسرّ المخزون المكنون الّذي استأثر الله به في علم الغيب عنده وإلّا ففي تفاريق أخبارهم سلام الله عليهم قد أشاروا إلى وجوه كثيرة من الحكمة في غيبته (ع) .

منها أنّ دولته سلام الله عليه آخر الدول ولا دولة بعدها لكفّار ولا غيرهم وإنّما بعده فتن تتّصل بيوم القيامة . ولا يقبل الجزية من أحد ، ويخرب البيع والكنائس ، ولا يبقى على وجه الأرض صليباً ولا صنماً ، ولا يقبل صلحاً ولا هدنة وكيف يقبل الصلح من تعبر جيوشه البحار بأقدامهم ، وتهدم الحصون والقلاع بتكبيراتهم ، والحاصل كلّ شئونه وأحواله سلام الله عليه آيات باهرات وخوارق عادات ، ومثل هذا لا يكون إلا في آخر هذا العالم وفي نهاية الدور من السنوات الإلهيّة ، ولهذا الدور أمد وحد معين في علم الله والحكمة في غيبته إنتظار إنقضاء هذا الدور حتى يخرج .

ومنها أنه سلام الله عليه يخرج بالسيف ويقتل العالم قتلاً ذريعاً قال محمّد مسلم : سمعت الباقر (ع) يقول : لو يعلم الناس ما يصنع المهدي (ع) إذا خرج ما أحبّ أحد خروجه ممّا يقتل من الناس ، وليس بينه وبين

العرب وغيرهم إلّا السيف حتّى يقول كثير من الناس ما هذا من آل محمّد (ص) لو كان منهم لرحم الناس ، وحيث أنّ الله عز شأنه جعله نقمة على الكافرين وقاطعاً لدابر الظالمين ومعلوم أن الله سبحانه قد أودع نطف المؤمنين في أصلاب الكافرين ، وقد رأينا في العصور المتقدّمة وفي هذه العصور أيضاً كثيراً من المؤمنين الأخيار وآبائهم من الكفّار والأشرار .

أيظنّ أحد أنّ مثل الحجّاج بن يوسف الثقفي وهو أكفر من نمرود وأعتى من عاقر الناقة يخرج من صلبه مثل ذلك الشاعر الشيعي البليغ ؛ الحسين بن الحجّاج[١] صاحب القصائد الغرر الّتي يمدح بها أهل البيت عليهم السلام الّتي أنشدها في النجف بمحضر عضد الدولة لمّا بنى القبّة البيضاء على قبر أمير المؤمنين (ع) الّتي يقول في أوّلها :

يا صاحب القبّة البيضاء على النجف   من زار قبرك واستشفى لديك شفى

من كان يظنّ أن يزيد بن معاوية يخرج من صلبه مثل معاوية بن يزيد الذي خلع نفسه من الخلافة وقال : هي حقّ علي بن الحسين (ع) حتّى قتله بنو أميّة سرّاً ، ولو شئنا أن نعدّ الألوف من هذا القبيل لما عجزنا وحينئذٍ فلا بدّ أن يكون ظهوره (ع) في زمان لا يكون في أصلاب الكافرين ودائع نطف المؤمنين حتّى لا تضيع باستيصال شافة الكفّار . والله سبحانه أعلم بمقاديرها وزمان خلّو الأصلاب منها .

وقد أشار إلى ذلك الصادق (ع) في حديث رواه الصدوق في العلل حيث قال : إنّ القائم (ع) لن يظهر أبداً حتّى يخرج ودائع الله عز وجلّ فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم ، وبهذا فسّر قوله تعالى : ﴿ لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا عذاباً أليما ﴾[٢] .

---

(١) الحسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي الإمامي من شعراء أهل البيت (ع) كان كاتباً فاضلاً أديباً شاعراً له قصة مع السيد علم الهدى (ره) تتعلق بهذه القصيدة تشهد بجلالته ووجاهته عند الأئمة (ع) ذكرها صاحب روضات الجنات ودار السلام فراجع توفي (٣٩١) .

(٢) سورة ٤٨ آية : ٢٥ .

وببالي قديماً في بعض الكتب أنّ الحسين (ع) في حملاته يوم الطفّ يعترضه الفارس من أعدائه فلا يضربه بسيفه ، وكذلك أبوه يوم صفّين ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : كشف عمّا في صلبه من المؤمنين فتركته ، وفي آية ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾[١] كفاية .

ومن الحكم في غيبته ـ عجّل الله فرجه ـ ولعلّها من أهمّ الحكم والأسرار هو تمحيص المؤمنين بهذه المحنة ، وابتلائهم بهذه الفتنة ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّاً وهم لا يفتنون ﴾[٢] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الّذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتّى يقول الرسول والّذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب ﴾[٣] ﴿ حتّى إذا استيأس الرسل وظنّوا أنّهم قد كذّبوا جائهم نصرنا ﴾[٤] والأخبار بهذا المعنى كثيرة وأنّ بطول مدّة غيبته يمتاز الإيمان الثابت من المستودع ، والمؤمن الخالص من المغشوش ، فهي غربلة وتصفية للمؤمنين ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾[٥] .

روى الصدوق عن الكاظم موسى (ع) إذاً فقد الخامس من ولد السابع فالله في أديانكم لا يزيلكم عنها أحد يا بنيّ لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به ، إنّما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه ـ إلى أن قال ـ يا بنيّ عقولكم تصغر عن هذا وأحلامكم تضيق عن حمله . وفي احتجاج الطبرسي[٦] في التوقيع الصادر من الناحية المقدّسة على يد العمري : أمّا علة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ

---

(١) سورة ٦ آية : ٩٥ ـ وغيرها .
(٢) سورة ٢٩ آية : ٢ .
(٣) سورة ٢ آية : ٢١٤ .
(٤) سورة ١٢ آية : ١١٠ .
(٥) سورة ٣ آية : ١٤١ .
(٦) الطبرسي منسوب إلى « طبرس » « طبرش » معرب « تفرش » الحالية بإيران والشيخ صاحب=

يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم ﴾[1] إنّه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيع لطاغية زمانه وإنّي أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي .

وهناك أسرار وحكم أخرى لا يتّسع الوقت والمجال لبيانها ، على أنّ كلّ ذلك تطفّل وفضول بعدما عرفت من أنّ الله في عباده شئوناً لا تدركه العقول ، ونحن حتّى الآن لم تصل عقولنا إلى أسرار خلقتنا وكنه أرواحنا وحقيقة حياتنا ؛ فكيف نحاول معرفة أسرار الملك الملكوت ، والعزّة والجبروت ؟ نحن لا نستطيع أن نعرف الحكمة في جعل المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً والصبح اثنين وأمثال ذلك من الأوامر التشريعيّة فضلاً عن الأمور التكونيّة !! نعم وفي مثل هذه المقرّرات المجهولة الحكمة تكمل حقيقة الإيمان وتظهر فضيلة التسليم والإذعان وبهذا مدح الله سبحانه الراسخين في العلم حيث قال عزّ شأنه : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا ﴾[2] مدحهم على الإيمان بما جاء من الله عزّ شأنه وإن لم يعرفوا تأويله وحكمته .

وأمّا قولك : وكيف يمكن أن يظلّ طيلة هذه المدة حيّاً ؟[3] فهو سؤال

= الإحتجاج والطبرسي صاحب مجمع البيان وإبنه صاحب مكارم الأخلاق وحفيده صاحب مشكاة الأنوار منسوبون إليها لا إلى « طبرستان » ـ مازندران ـ كما هو المشهور شهرة لا أصل لها وقد حققنا ذلك في بعض مقالاتنا المنتشرة في مجلة العرفان الصادرة في صيدا ـ لبنان ـ لصاحبها الشيخ العلامة المجاهد الشيخ أحمد العارف الزين . وحققنا أيضاً تفصيلاً في مقدمة تفسير « جوامع الجامع » للطبرسي (ره) بحيث لم يبق فيه شك ولا ارتياب فراجع تجد صدق ما قلناه .

وسوف ينشر هذا التفسير النفيس بخط الكاتب الشهير الحاج ميرزا طاهر (خوشنويس) التبريزي ـ طبع « أوفست » في تبريز . ونسأل الله تعالى إنجازه عاجلاً إن شاء الله تعالى .

(١) سورة ٥ آية : ١٠٢ .

(٢) سورة ٣ آية : ٧ .

(٣) لا استبعاد عند العقل والوجدان في طول عمر مولانا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه فإن =

غريب بل وغريب جداً ، كأنّك نسيت قوله تعالى في نبيّه نوح (ع) : ﴿ فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾[1] ، وذكر أنّ عمره كان ألفاً وستمائة ، وقيل أقلّ ، وقيل أكثر حتّى قيل أنه تجاوز الألفين . ومن تدبّر وأنصف عرف أنّ الإنسان إذا أمكن أن يعيش ألوف السنين فإن من وهبه الحياة سنة يقدر أن يمدّها إلى ما شاء الله .

وأمّا سبب غيبة الخضر (ع) إن صحّ كونه حيّاً موجوداً إلى الآن كما

= من هو قادر على حفظ حياة الإنسان آناً واحداً ويوماً فارداً يقدر على حفظ تلك الحياة آلافاً من السنين لم يكن ذلك محالاً ذاتاً حتى لا يتعلق به القدرة نعم هو خارق للعادة وخرق نواميس الطبيعة في شؤون الأنبياء وأوصيائهم ليس شيء عجيب وأمر غريب .

على أن القرآن الكريم ينص لنا في قصة يونس (ع) ﴿ فلولا أنّه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ ـ سورة الصافات آية : ١٤١ ـ وهو في بطن الحيوان « الحوت » في قعر البحر ـ الآية الشريفة صريحة في أن يونس لو لم يكن من المسبحين لكان يلبث في بطن الحوت على حاله إلى يوم يبعث سائر البشر فكيف لا يعيش إنسان يهتم في رعاية قوانين حفظ الصحة وهو عالم بجميع موجبات سلامة المزاج واستقامة وحفاظة أسباب طول عمره وهو يعيش وينتعم ويتنفس في الهواء الصافي اللطيف ويتجنب عن الهواء الراكد الكثيف . مع إثبات العلم اليوم إمكان الخلود للإنسان في الدنيا آلافاً من السنين .

واحتمال إرادة موت يونس بإزهاق روحه ولبث جسده في بطن الحوت إلى يوم البعث وإحيائه عنده مخالف لظاهر الآية الشريفة لا يصار إليه ما لم يدل عليه دليل ولا دليل لنا على خلاف الظاهر وارتكاب التأويل . وظواهر القرآن حجة ما لم يدل دليل على خلافها من العقل أو النقل .

قال في مجلة المقتطف ج ٣ سنة (٥٩) : أن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون أن كل الأنسجة الرئيسية في جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له وأنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالإمتحان .

راجع إلى أجزاء تلك المجلة تجد فيها البراهين الجلية في إثبات هذا الموضوع على أن من كان من البشر مزاجه في منتهى حد الإعتدال الحقيقي يمكن أن يعيش ويبقى حياً ما دامت أسباب العيش موفورة له وما دام لم يعرض له عارض خارجي يميته

والإعتدال الحقيقي في المزاج يوجد في بعض الناس من الأنبياء والأولياء وما ذكره السابقون من الفلاسفة من الشبهات في وجوده فقد ظهر وهنها اليوم ولا يعبأ بها في العصر عصر انكشاف أسرار الطبيعة .

(١) سورة ٢٩ آية : ١٤ .

عليه أكثر علماء الفريقين فلعلّ العلّة في غيبته كراهته لمعاشرة هذا الخلق المتعوس ، وتجافيه عن مباشرة البشر الذي ثلثاه شرّ ، بل كلّه شرّ إلاّ من عصم الله ممّن يصل إليهم أو يصلون إليه ، ويأنس بهم ويأنسون إليه أراد ـ ونعم ما أراد ـ أن يعيش متباعداً عن هذه الجلبة والضوضاء ، والمدينة الزائغة ، وكان وظيفته بين الأنبياء ـ إن كان نبيّاً ـ تكميل الخواص من عباد الله من السيّاح والزهاد ، والإبدال والأوتاد[1] بخلاف سائر الأنبياء ، فإن وظيفتهم دعوة العامّة من سواد الناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ولو بالإيمان البسيط واليقين الضعيف .

وأرجو أن يكون بهذا القدر مقنع وكفاية لجواب تلك الأسئلة على مقدار عقليّة السائل حسبما طلبت ، وان كنت أرغب ان اوفى الموضوع حقّه بأكثر من هذا البيان ، ولكن كثرة المشاغل وإستغراق الوقت بالوظائف الضرورية من

---

(١) قال السيد المحدث الجزائري (ره) ما هذا لفظه : قيل أن الأرض لا تخلو من القطب لأربعة أوتاد وأربعين إبدالاً وسبعين نجيباً وثلاثمائة وستين صالحاً لأن الدنيا كالخيمة والمهدي كالعمود وتلك الأربعة أطنابها وقد تكون الأوتاد أكثر من أربعة والإبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائة وستين والظاهر كما قيل أن الياس والخضر (ع) من الاوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب .

وأما صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفة عين ولا يجمعون من الدنيا إلا البلاغ ولا تصدر منهم هفوات الشر ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان بل من فعل القبيح ، ويشترط ذلك في القطب . وأما الإبدال فدون هؤلاء في المراقبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعهدون ذنباً وأما النجباء فهم دون الإبدال .

وأما الصالحون فهم المتقون الموصوفون بالعدالة ، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالإستغفار والندم قال الله تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

قيل : إذا نقص أحد من الأوتاد الأربعة وضع بدله من الأربعين وإذا نقص أحد من الاربعين وضع بدله من السبعين وإذا نقص أحد من السبعين وضع بدله من الثلاثمائة وستين وإذا نقص أحد من الثلاثمائة وستين وضع بدله من الناس والله العالم (أ.هـ) هذا ما ذكره المحدث الجزائري (ره) في الأنوار النعمانية أنظر ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ط تبريز .

ولعل المراد من السياح هم الذين يسيحون في الأرض للعبادة وينظرون إلى آثار رحمة الله ويجتهدون في إكمال معارفهم الإلهية والله العالم .

التدريس وفصل الخصومات ، وأجوبة المراجعين في المسائل الفرعيّة وأخذ الفتوى لم يدع لنا فرصة لبسط الكلام في هذه المواضيع وقد كتبت هذا القدر على جري القلم وعفو الخاطر ولله الفضل والمنّة وممّا يحسن التنبيه عليه أنّك مسلم محمّدي لا يليق بك ان تؤرّخ بالتاريخ المسيحي[١] والله سبحانه يقول : ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً[٢] والله وليّ التوفيق وبه المستعان .

١٠ شهر رمضان المبارك

محمد الحسين آل كاشف الغطاء　　　　سنة ١٣٤٩ هـ .

---

(١) ومما هو جدير بالذكر والنقد عليه صريحاً هو ما تداولته الدول العربية من التاريخ المسيحي وتبعهم الأمة الغربية غالباً ونسوا تأريخهم الإسلامي كما تناسوا أحكام القرآن ونبذوها على ورائهم ظهرياً ووقعوا في ذل الخذلان ورزايا الإستعمار واتخاذهم التاريخ الأجنبي تاريخاً رسمياً لأنفسهم ينبيء عن عدم حفاظة الدول العربية والحكومات الإسلامية ـ ظاهراً ـ لاستقلالهم الذاتي ومجدهم وشرفهم الديني وغيرتهم الوطني حتى أن بعض أفراد الأمة لا يعرف ولا يستعمل من التاريخ إلا التاريخ المسيحي أهذا من الحمية العربية ؟ .

أليسوا غيارى على الإسلام والعروبة ؟ ومع أن أصل مجد العرب وأساس عزتهم ليس إلا بالإسلام . فهل يقدم المسلم الغيور على ترجيح التاريخ المسيحي على التاريخ الهجري الإسلامي ؟ أليس هذا تقليداً محضاً للأجانب ؟ والسبب الوحيد في هذا العمل ليس إلا عمال الأجانب وأذناب الإستعمار الذين تربعوا في دست الحكومات الجائرة وأخذوا أمر الأمة بأيديهم الأثيمة الغاشمة عملاً لميول أسيادهم الكافرة .

حتى أن أسماء الأشهر التي أخذتها الدولة المصرية عن أوروبا من زمن وزارة (نوبار باشا) إنما هي أسماء تحمل ذكريات وثنية عند الرومانيين واليونانيين ومأخوذة من ألفاظ أجنبية ولها دلالة أما وثنية أو استعماريّة على إسم بعض قياصرة إيطاليا الأقدمين مضافاً إلى المعايب التي لا مجال هنا لذكرها وأما الدولة الإيرانية جعلت التاريخ الرسمي شمسياً وهو ليس بتاريخ إسلامي فإن التاريخ الإسلامي هو الهلالي القمري يعرفه العالم والعامي وأسماء الشهور الإسلامية هي الأسماء التي يبتدء أولها من المحرم ويختتم بذو الحجة وهي التي نطق القرآن الكريم بأنها إثني عشر شهراً وقال تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ﴾ (سورة ٩ آية : ٣٦) .

نعم إن الدولة الإيرانية اتخذت بداية التاريخ من الهجرة النبوية بالسنين الشمسية لا بالسنين القمرية وهذا أول من جعل التاريخ الرسمي في المملكة الإسلامية هو التاريخ الميلادي المسيحي كما صنعته الدول العربية الإسلامية ظاهراً . ولكن أسماء شهور السنين الشمسية من الأسماء القديمة البالية مأخوذة من المجوسية وليست بإسلامية أيضاً . فإلى الله تعالى نبتهل في إيقاظ الأمة من العرب والعجم جمعاء عن نومة الغفلة .

(٢) سورة ١٨ آية : ٢٨ .

رسالتان

للإمام المصلح كاشف الغطاء موجهتان إلى مؤلف
كتاب (الحركة الفكرية في مصر) الأستاذ
الكبير الدكتور عبد اللطيف حمزة
المدرس بكلية الآداب بجامعة
فؤاد الأول في القاهرة

وقد سبق أن نشرهما المؤلف المذكور في نفس
الكتاب مع تمهيد لهما

بريد من العراق

رسالتان من كبير فقهاء الشيعة الإمامية سماحة الإمام

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

إلى المؤلف

تمهيد :

كـان من عملي في أثنـاء هـذا البحث أن أعـرض الفـاطميّين في مصـر وأوازن بينهم وبين السنيّين بهـا ، فكلّما تحـدّثت عن أمر من الأمـور العقلية أو الأدبيّة ، أو السياسيّة متّصل بإحدى الدولتين الأيوبيّـة والممالـك البحريـة كنت أنتقـل بذهني سـريعاً إلى الفـاطميين ، وكانت هـذه الأمور التي أشيـر أليها لا تستقيم عندي إلّا بإجـراء هذه المـوازنة ، غيـر أنّي كنت أشعر بغنى المصـادر العربيّة في نـاحية ، وبفقـرها المـدقع في نـاحية ثـانية . فـأما المصـادر السنيّة فيسيرة متعدّدة ، وأمّا المصادر الفاطمية فلم تزل في بلادنا قليلة بل نادرة ، وأنا وإن كنت لا أكتب بحثاً خاصاً بالفاطميين إلّا أن حاجتي إليهم كانت ماسـة من أجل تلك الموازنة التي لم أجد بدّاً منها .

ولكم ودّ صاحب هذا البحث أن تصل يده إلى تلك المصـادر الفاطميـة التي ما زال الكثير منها في ثنايا الكتمان والّتي حرص عليها أصحابها طول هذا الزمان فبقيت نائمة في خزائنهم ، مطمئنة إلى اماكنها من منازلهم ، حتى لقـد كرهت مثلهم أن تستقرّ في بيت سنّي ، اللهم إلّا إذا احتال عليها بشتى الحيل حتى يصل منها إلى بغيته .

وليتني أذ تعـذّر عليّ الإتصـال بهـذه المصـادر الفـاطميـة العـزيـزة على

أصحابها استطعت أن أتّصل بأشخاص لا يزالون يستمسكون بهذه العقيدة الفاطميّة ويتعلّقون بأهدابها وأنا أعلم ـ مثلاً ـ أنّ (البهرة) المقيمين الآن بالهند هم البقيّة من الفاطميين الذين كانوا بمصر .

أجل : لم يتيسّر لي أن أتّصل بالمصادر الفاطمية التي أشير إليها ولا يتيسّر لي الإتصال بأحد من (البهرة) ولا من الإسماعلية الذين يظنّ أنهم يملكون عدداً ضخماً من هذه المصادر التي تمنّيت الحصول عليها .

ولكّن الحظّ أسعدني بالاتصال بسماحة فقيه الشيعة ، الإمام الأكبر الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي العراقي المعروف بمواقفه الإسلامية الجليلة ومؤلفاته النفسية ـ أطال الله بقائه ـ وهو وإن لم يكن من الفواطم ولا صلة له بمؤلفاتهم ومعتقداتهم ، فإنّه بصفته إمام الشيعة الإثني عشريّة أعلم من غيره ولا شكّ بالمذهب الشيعي بوجه عامّ ، وأدرى منّي بالفواطم الذين هم فرقة من فرق الشيعة ، فدارت بين سماحته وبيني رسائل سفر فيها أحد أصدقائنا العراقيين الوافدين إلى مصر لتلقي العلم ، وهو السيد المشكور الأسدي ، جزاه الله عنّا خيراً .

وكنت في أثناء إتصالي بسماحة الإمام قد بعثت إليه بفصل من فصول هذا البحث وهو فصل (المذهب الديني) قرأه وجاء في بعض رسائله ردّ على بعض الآراء الواردة فيه ، كما جاء فيها ردّ على طائفة من الأسئلة الّتي كنت ألقيها بين حين وآخر على سماحته ، وأرجوه أن يتفضّل بالإجابة عنها ، وأحالني كذلك على مصادر لها قيمتها ، وتفضّل فأهدى إليّ بعض مؤلّفاته .

وكنت أوّل الأمر وقبل أن أبدء بالطبع أنوي أن أضمّن بحثي هذا ردوده تلك وملاحظاته في مواضعها من الصفحات ، لكنّني بعد أن قطعت شوطاً منهما في طبع البحث بدا لي أن أفرد لرسائل الإمام بحذافيرها مكاناً خاصاً بها في نهاية البحث ولذا لم يرد لهذه الرسائل ما كان ينبغي لها من ذكر في المقدّمة ، وأعترف بأنّني أفدت الكثير من رسائل الإمام ، والّتي آمل أن يجد فيها غيري من الباحثين فوائد أخرى .

وأنا إذ أشكر لسماحة الإمام الجليل تفضّله بالكتابة إليّ ، أعتبر نفسي سعيداً بأن أتحت لسماحته فوق ما أفاض من علم وأفاد فرصة الردّ عليّ وعلى أستاذي الفاضل أحمد بك أمين في هذا الكتاب ، وأنا واثق كل الثقة من أنّ أستاذي هذا لن يغضبه ما جاء في ثنايا الرسائل العراقيّة من ثورة علينا وعلى جمهور الباحثين في الديار المصريّة ، بل إنّي لأنظر إلى هذه الثورة أو الحماسة وأمثالها على أنها نوع من المداعبة العلميّة ، والعتاب الودّي بين علماء مصر والعراق .

وإذا علمنا مقدار ما لسماحة الإمام آل كاشف الغطاء من جهود عظيمة بذلها ، ولا يزال يبذلها في الدعوة إلى التآخي والتقريب بين طوائف المسلمين رأينا أنّ الباعث لما جاء في رسالته من عتاب إنّما هو الغيرة على الإسلام ووحدة المسلمين والدعوة إلى إنصاف الشيعة الّذين يعدّون بعشرات الملايين وفهمهم فهماً صحيحاً يرضاه العلم ، ويطمئن إليه الضمير .

وإنّ من دواعي سروري أن يكون كتابي هذا سبباً لإثارة هذه المعاني بنشر رسالتي الإمام التاليتين ، والله الموفّق للصواب .

عبد اللطيف حمزة

الرسالة الأولى

الإجتهاد والحرية الفكرية عند الشيعة الإمامية

بسم الله الرّحمن الرّحيم وله الحمد

حضرة الأستاذ النبيل الدكتور عبد اللطيف حمزة زاد الله توفيقه .

سلام وتحية .

وردنا كتاب من بعض شبابنا النجيب المهاجرين لارتشاف مناهل العلوم في بلادكم الكريمة لا لأنّ بلادهم جافّة من تلك المناهل ولكن للهجرة معناها وقيمتها ، ولا سيّما طلب العلم .

نعم ، كتب أنّكم عـازمون على تـأليف كتاب في الحـركة الفكـريـة في مصر . إبان الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وقلتم له : إنكم تريدون أن تنصفوا الشيعة ومنهم الفاطميّون ، في كتابكم هذا ـ وحبّذا لو صحّت الأحلام وانقشـع الغمام ـ فإنّ هذه الطائفة لا تزال مجهولة القدر ، مهضومة الحقّ عند سائر فرق المسلمين ، ولا سيّما عند إخواننا المصـريّين ، فإنّهم يـرونهم بعين الشنئآن ، ولهذه الدعوى شواهد كثيرة لا مجال لذكرها ، ويكفي ما ينشره رجالهم كأحمد أمين وأقـرانه في مؤلّفـاتهم ، ولعلّ نـظركم وقع على مؤلّفنـا الـوجيز (أصـل الشيعـة وأصولهـا) وما ألمعنـا فيـه إلى هـذه القضيّـة ، ثمّ ذكـر الشـابّ أنّكم تريدون الجواب على هذا السؤال وهو :

إلى أيّ حـدّ نعتبر بـاب الإجتهـاد مفتوحـاً أمـام علماء الشيعـة الإماميـة ومـا مسافـة هذا الإجتهـاد ؟ وما نـوعه ومـا تأثيـره على الفقـه الشيعي ؟ وهـل حريتهم الفكريّة المعروفة عنهم مطلقـة بالمعنى الصحيـح أم هي مقيدة تقييـداً كبيراً بمذهبهم ؟[1] وقلتم : هـذا ما أنتـظر الجواب عليـه راجياً أن يتـأيّد هـذا الجواب بالأدلّة الكافية والنصوص الواضحة .

وحيث أنّ الجواب عن هذه الأسئلة على اختصارها إن كان بنحو الإجمـال ربّمـا لا يـروي الغلة ولا يحصـل بـه غـرضكم وإن كـان بنحو البسط والإستيفاء وإعطاء الموضوع حقّه إحتاج إلى تأليف رسالة أو كتاب لا يتّسع له وقتنا وحالنا ، لذلك أرسلنا لكم مع البريد بتوسط الشابّ المشار إليه وأحد تلامذتكم والمنوّهين عن فضلكم : الجزء الأوّل من (سفينة النجاة) فإنّكم تجدون في صدرها مباحث وافية وكافية لإرواء ظمئكم إلى ورود تلك الشرائع ، وجواب تلك الأسئلة ، مع إشارة إلى بعض الأدلّة أو المهم منها في تلك المواضيع ، والإيماء إلى مادّة تلك الينابيع ، فإذا سهّل الباري جلّ شأنه وصول الكتاب إليكم وأعطيتموه حقّه من المطالعة والنظر ، وجدتموه وافياً بغرضكم فذاك هو الأمل وإلاّ عرّفونا ما يسنح لكم من سؤال أو أشكال تجدونا عند رغبتكم إن شاء الله .

---

(١) أنظر صفحة ٢٠٠ من كتاب (الحركة الفكرية : . . .) للمؤلف .

ومع ذلك فلا يعوقنا شيء عن الجواب الوجيز ، والإيماء الوامض الـذي يدلّكم على بعض الناحية المهمة في سؤالكم أو كلّها .

١ ـ يعتبر باب الإجتهاد مفتوحاً أمام فقهـاء الإماميّـة بغير حـدّ من ناحيـة المجتهد إلّا حدود تحقيق شرائطه وأهليّته من أيّ عنصر كـان . وفي أيّ بلد أو زمان يكون ، وإلى أيّ نحلة من نحل الإسلام ينتسب ، فهـو من هذه النـاحية حرّ طليق لا يتقيّد إلا بنفسه وتحقّق ذاته .

٢ ـ وأمـا مسافتـه ، فهي كذلـك غير محـدودة لا في أوّل ولا آخر ، بـل مستمرّة ما دام التكليف ، ومـا بقيت العقول التي هي الحجّـة الكبرى للخـالق على المخلوق ، وللمخلوق على الخالق ، وهي ثابتـة في كل زمـان ومكان ، وفي عامة الشرائع والأديان .

٣ ـ وأما نوعه ، فهو من العلوم النظرية الفكريّة الإستقـلاليّة ، وليس من العلوم الآلية ، وهو مقدّمة للعمل وليس تحقّقه منوطاً به ، بل هـو ملكة نفسيّـة كسائر العلوم والفنـون ، ولا تكون ملكـة راسخة إلّا بعـد الممارسـة والمزاولـة وسبر الأدلّة ، واستحضار القواعد العامّة ، والإحاطـة بالأشبـاه والنظائـر ، وهو أحوج ما يكون إلى ذهن نافذ وفهم وقّاد ، وذوق سليم واعتدال سليقة واستقامة طريقة ، ومعرفة بالأمور العرفية يستـطيع بهـا تطبيق الأصـول للفروع واستنبـاط حكم الجزئي من الدليل الكلّي ، ويستحيل عادة أو حقيقة هـذه الملكة ـ أعني ملكة الإجتهاد ـ للبليد والرجل العادي ، ولـذا قالـوا : أنّ الإجتهاد نـور يقذفـه الله في قلب من يشاء ، وأنا أقول نعم هو نور ولكن لا يقذفه الله في قلب أحد جزافاً ، وإنّما ينفحه به بعد طـول الكدّ والجـدّ والتعب والعناء ، وإن نقـل عن بعض الأسـاطين : أنّ ملكة الإجتهـاد حصلت لهم قبل البلوغ ، وهـو إن صحّ فمن النوادر والشواذّ .

٤ ـ هل حرّيتهم الفكريّة مـطلقة بـالمعنى الصحيح أم هي مقيّـدة تقييداً كبيـراً بمذهبهم ؟ قـد أشرنا إلى أن الإجتهاد لا يتقيد بمذهب من المـذاهب ، فهو مطلق من هذه الناحية ، ولكن الإجتهاد الصحيح الذي يجـوز للمجتهد أن

يعمل به ، وللمقلّد أن يأخذ به ويرجع إليه مقيّد بأن يكون على مذهبهم ومن السنّة المعتبرة عندهم ، مثلاً الأحناف قد يفتون على ما يقتضيه القياس والمصالح المرسلة ، وهذا لا يجوز عند الإمامية أصلاً ؛ بل لا بدّ من الإستناد إلى الكتاب أو السنّة المعتبرة عندهم ، أوالعقل القطعي البديهي لا الظنّ أو الإستحسان وحتّى أنّ مراجعتهم العليا في الحديث ـ وهي الكتب الأربعة المشهورة : (الكافي) و (التهذيب) و (الإستبصار) و (ومن لا يحضره الفقيه) ـ مع جلالة قدرها وعظمتها عندهم فهم لا يعملون بكلّ حديث فيها ؛ بل يمحصونه ويفحصونه ويجتهدون في سنده ومتنه ، فقد يقبله مجتهد حسب إجتهاده ؛ وقد يردّه آخر لعيوب يجدها فيه او معارض اقوى حسب اجتهاده ايضاً ، ومن هنا تعرف حريتّهم الفكريّة كيف ترامت إلى امد بعيد قد تجاوز الحدود واخترق التخوم ، ومنه تعرف ايضاً تأثير إنفتاح باب الاجتهاد على الفقه ، فإنّ هذا الانفتاح قد شحذ أذهانهم ، وفتق قرائحهم ، وفتح لهم مدائن واسعة في الفروع والاصول يعرف ذلك جليّاً من راجع مؤلفاتهم في الفقه والاصول ، من المتقدّمين والمتوسّطين والمتأخرين .

ولولا إنحراف الصحّة ، وضعف القوى ، وسوء ملكة العلل والأسقام لنا ساعة كتابتي هذه لذكرت نبذَة وافية من الشواهد على ما كان له من التأثير على الفقه الشيعي ، بل قد تجاوز ذلك إلى تأثيره على الأدب العربي ، والشعر البديع فقد كان لأكثر فقهائنا ، حتّى من غير العرب نصيب من الأدب العالى والشعر الرائق والمؤلفات النفيسة في أنواع علوم العربية حتى متن اللغة ولو نظرت إلى (طراز اللغة) لسيد علي خان صاحب السلافة الذي هو وإن لم يكمل أضعاف القاموس ، نعم لو نظرته لرأيت العجب من تلك السعة والإحاطة وحسن الذوق .

والخلاصة : أنّ انفتاح باب الإجتهاد لم يؤثر على الفقه عندهم فقط بل له تأثيره البليغ في سائر العلوم حتّى الحساب والهندسة والفلك وما إليها وإذا أردت أن تعرف الفرق بين فقههم وفقه بقيّة المذاهب الإسلامية فمن الجدير أن تسيم نظرك في مؤلفنا الجديد الذي فرغنا من تأليفه وطبعه العام الماضي ،

وهو كتاب (تحرير المجلّة) في خمسة أجزاء ، الأربعة الأولى منه في العقود والمعاملات والإلتزامات والضمانات والقضاء والمرافعات ، والخامس في ما يسمّونه اليوم بالحقوق الشخصيّة الذي استدركناه على أرباب المجلّة .

وهذا البيان الوجيز وفق ما أمكن لا وفق ما يلزم ، ولا زلتم موفّقين لخدمة المعارف بدعاء الأب الروحي :

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرسته العلميّة في النجف الأشرف ـ العراق

٤ ربيع الأوّل سنة **١٣٦٥ هـ**

الرسالة الثانية

غيبة المهدي المنتظر لا علاقة لها بالسرداب ـ نسب عبيد الله المهدي الفاطميون والقرامطة ـ مفاخر الفاطميين ـ وصاية علي بن أبي طالب ـ عصمة الأئمة ـ والحركة الفكرية عند الإمامية ـ الفرق بين الفاطميين والاثني عشرية ـ الفرق بين الإمامية والمعتزلة .

بسم الله الرحمن الرحيم : وله الحمد

ولدي العزيز المهذّب النجيب مشكور الأسدي ، شكّر الله مساعيه .

سلام وتحية :

وردني البريد وفي طيّه التحفة السنيّة ، بل الوردة العبقة الذكية ، وهو كتاب أستاذك الفاضل ، بل أستاذ الفضيلة ، ومجموعة السجايا النبيلة والأدب اليانع ، والذكاء الوقّاد ، والفكرة الحرّة : الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة ، حفظه الله وزاده نشاطاً وتوفيقاً ، وقد جعلت كتابي هذا جواباً لكما معاً ، لأنّ روحكما واحدة ، ونحن ننظر إلى الأرواح أكثر من نظرنا إلى الأجسام ، بل لا

ننظر إليها إلّا من جهة الأرواح ، والأشباح مرآة وقنطرة إليها ، ولا أكتب إلّا بمقدار ما تسمح به قوّتي لا ما تنزو إليه رغبتي ، ولكن على قاعدة (لا يسقط الميسور بالمعسور) و (ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه) .

سألت عن (المهديّ المنتظر) وقلت إنّ الشيعة يزعمون أنّه دخل في سرداب في سامرّاء وتغيّب هناك . . . ويقفون في كلّ ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب فيهتفون بإسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ، ثمّ ينفضّون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية . (إنتهى) .

عجبت كيف تسألني عن هذه الخرافة ؟ ونسيت ما قلته ونقلته عنّا في صفحة من صفحات كتابك أنّه (أي محمّد الحسين) لا يرضى عن الرجوع في تاريخ الشيعة إلى ما كتبه إبن خلدون (البربري) الذي يكتب وهو في أفريقيا وأقصى المغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق (إنتهى)[(١)] .

فهل نقلت الأسطورة الخرافية إلّا عن إبن خلدون أو أمثاله ؟ وهل وجدتها في شيء من كتب الشيعة ؟ إذاً فأرشدنا إليه أرشدك الله ، هذا وقد قرأت في كتابنا (أصل الشيعة وأصولها) الذي نوّهت أنت عنه في هذه الصفحة .

نعم لا شكّ أنّك قرأت في صفحة ١٠١ من الطبعة الثالثة المطبوعة عندكم في القاهرة ما نصّه : وقد أوضحنا غير مرّة أنّ من الأغلاط الشائعة عند القوم (أي عند السنّة) من سلفهم إلى خلفهم اليوم زعمهم أنّ الشيعة يعتقدون غيبة الإمام في السرداب ، مع أنّ السرداب لا علاقة له بغيبة الإمام أصلاً ، وإنّما تزوره الشيعة وتؤدّي بعض المراسيم العبادية فيه لأنّه موضع تهجّد الإمام وآبائه العسكريّين ، ومحلّ قيامهم في الأسحار لعبادة الحقّ (إنتهى) .

وأعجب من ذلك قضيّة الوقوف على باب السرداب والهتاف بإسمه

---

(١) أنظر صفحة ٧٠ من كتاب الحركة . . .

ودعوته للخروج ، فإنّ سامرّاء من مشاهير مدن العراق ، ويقصدها كلّ يوم أو كلّ شهر ، أو كلّ عام ألوف من أهل الأقطار النائية من مختلف العناصر والمذاهب ، ومقام السرداب وبابه مفتوح لكل وارد ، إنفتاح سائر المشاهد والمعابد ، فمن ذا الّذي رأى الشيعة يقفون على بابه ويهتفون بإسمه للخروج ، نعم السرداب مزار عند الشيعة ويقفون على بابه أيّ وقت شاؤا لا يختصّ بمغرب ولا غيره ، ويسميه العوام أو بعض الخواص (الغيبة) لأن الإمام غاب في تلك الدار ، وهي الّتي ولد ونشأ فيها ، ويقفون على الباب يستأذنون للدخول شأن الوقوف على الأماكن المقدّسة ، ويسألونه على تعجيل الفرج برفع كابوس هذا الظلم عن العالم ، وإقامة موازين القسط والعدل بظهور إمام يملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، ولا يختصّ السرداب بهذا الدعاء بل يدعون به في كلّ زمان وكلّ مكان وهذه إحدى الإفتراآت التي كانت الدعايات السوداء تنشرها عن الشيعة . وكنا نحسبها زالت أو تزول في هذا العصر الذي يسمّونه عصر النور ـ وهو أظلم العصور ظلماً وظلاماً ـ كنّا نحسبه عصر التمحيص وعصر الحقائق ـ وإذاً الناس تلك الناس ـ والزمان ذلك الزمان ، وكلّ كتاب فجر الإسلام ، وكلّ كاتب أحمد أمين . . . فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

ثمّ ذكرت في ذيل تلك الصفحة الّتي أشير إليها : ويشكّ[1] المؤرخون السنيّون كلّ الشكّ في نسب عبيد الله المهدي (إنتهى) .

مع أنّ كثيراً من مؤرخي السنة يصحّحون نسب الفاطميّين ، ومنهم المقريزي على ما ذكر ، والظاهر أنّ محمّد بن إسماعيل هو محمّد المكتوم لا محمّد بن المكتوم ، أمّا ما نقلته عن المقريزي من أن أصل الدعوة الفاطميّة مأخوذ عن القرامطة[2] إلى آخر ما ذكرت من التحامل إلى هذا الرأي ، أو التحامل على تلك الدعوة . . . فإنّ الحسّ والوجدان ، وسيرة الفاطميّين أنفسهم تفند هذا الرأي وتزيّفه ، فإنّ القرامطة ملاحدة ، وقضيّتهم في مكّة

(١) أنظر ص ٧١ من كتاب الحركة . . .
(٢) أنظر ص ٧٢ من كتاب الحركة . . .

المشرّفة وقلع الحجر ، وقول زعيمهم :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقوله بعد أن قتل في المسجد الحرام سبعين ألفاً من الحجّاج :

ولو كان هذا البيت بيتاً لربّنا لصبّ علينا من صواعقه صبّا

إلى آخر الأبيات ، فإنّ كلّ ذلك معروف .

أمّا الفاطميّون فيمكن أن يصحّ القول عنهم : أنّه ما من دولة نشرت الثقافة الإسلاميّة ، وخدمت الإسلام عموماً ، ومصر خصوصاً مثل الدولة الفاطميّة . ولو لم يكن لهم من المآثر والمفاخر سوى الأزهر الخالد لكفى ، أمن الحقّ والإنصاف أن يكون جزاء هؤلاء إزاء خدماتهم لمصر والإسلام أنّهم ملاحدة قرامطة مذهباً ؟ ويهود بالأصل نسباً ؟ ! الحكم في ذلك لوجدانك النزيه ، وضميرك الحرّ ونعوذ بالله من العصبيّة الّتي من تضع على الأبصار والبصائر كلّ غشاوة .

ومن ملاحظتي على الكتاب أنّكم ذكرتم في صفحة من صفحاته ما نصّه :

فمن عقائد الفاطميّين قولهم بوصاية عليّ بن أبي طالب ، وهي فكرة مأخوذة عن الشيعة الإماميّة . وهم الذين لقّبوا عليّاً بهذا اللقب في حياته وأنّ علياً لم يرض به كما لم يرض بغيره من الأقوال التي ذهبوا فيها إلى تقديسه . إلى آخر ما ذكرت ، وهذه شنشنة قديمة أعرفها من إخواننا السنّيين ، ولا أستطيع أن أثبت لك بهذه الفصاحة وصاية عليّ من كتبهم لأنّه قد يستوعب مجلداً ، ولكن ليت شعري أنظرت في (أصل الشيعة وأصولها) صفحة (٨١) ونسيتها أو تناسيتها أو لم تنظرها ؟ وعلى كلّ فأنا أرشدك إلى شاهد ثبت لعلّك تقنع به ، وتعرف منه أنّ لقب الوصّي لعليّ أشهر ـ كما يقولون ـ من الشمس في رائعة النهار ، هو المسطور في آخر مجلّد من لسان العرب

لإبن منظور المصري تحت مادّة « وصي » أنظر هناك وأعجب[1] ثمّ ليت شعري من أين ثبت عندك أنّ عليّاً لم يرض به في حياته ؟ وهذا (نهج البلاغة) مشحون بما يدلّ على ذلك ، وغير ذلك ، وغير النهج من خطبه وكتبه .

هذا وقد كلّت إلى هنا يدي ، وضعفت عن إمساك اليراع أناملي ، فلا أستطيع إبداء جميع ما يخطر من الملاحظات ، ولكنّي كذلك لا تسمح لي عاطفتي نحوك ، وتشجيع طموحك في آفاق العلوم والمعارف أن أختم كتابي هذا قبل إجابتك من أسئلتك المدرجة في رسالتك الخاصّة ، ومهما كلّفني

---

(١) قال إمام أئمة اللغة جمال الدين محمد المعروف بإبن منظور الأفريقي المصري الأنصاري المتوفي (٧١١) هـ في كتابه الكبير النفيس « لسان العرب » ما هذا لفظه : قيل لعلي (ع) « وصي » لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسببه وسمته (قلت) كرم الله وجهه أمير المؤمنين علي وسلم عليه هذه الصفات عند السلف الصالح رضي الله عنهم ويقول فيه غيرهم لولا دعابة فيه وقول كثير .

تخبر من لاقيت أنك عائذ | بل العائذ المحبوس في سجن عارم
وصي النبي المصطفى وابن عمه | وفكاك أغلال وقاضي مغارم

إنما أراد ابن وصي النبي وابن ابن عمه وهو الحسن بن علي أو الحسين بن علي رضي الله عنهم فأقام الوصي مقامهما ألا ترى أن علياً رضي الله عنه لم يكن في سجن عارم ولا سجن قط قال ابن سيدة أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبي علي الفارسي والأشهر أنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه حبسه عبد الله بن الزبير في سجن عارم والعصيدة في شعر كثير مشهورة والممدوح بها محمد بن الحنفية (أ . هـ) أنظر لسان العرب ج ٢٠ ص ٢٧٤ ط مصر .

وقد خاطب رسول الله ـ أمير المؤمنين ـ (ع) في صدر الإسلام بلقب (الوصي) وذلك حينما نزلت آية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وجمع رسول الله (ص) أعمامه وعشيرته وتكلم فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله تعالى ان أدعوكم أليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعاً قال امير المؤمنين (ع) وقلت اني لاحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً واحمشهم ساقاً انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا قال فقام القوم يضحكون فيقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع .

وقد أجمع المؤرخون على نقل هذه القضية في كتب التواريخ ، أنظر تاريخ الكامل لإبن الأثير ج ٢ ص ٢٢ ط مصر وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦ وغيرها من الكتب المعتبرة التي يطول الكلام بذكرها .

الأمر من العناء وفاءً بالأبوّة الروحية وقياماً بواجبها .

١ ـ سألت عن القول بعصمة الأئمّة عند الشيعة الإمامية يحجب شيئاً من الحريّة الفكريّة عندهم أو يحول دون التمتع بها على الوجه الأكمل[1] .

والجواب أنّي لا أحسب أنّ طائفة من طوائف الإسلام تلتزم الحرية الفكريّة وتطلق سراح العقل في أوسع آفاقه كعلماء الطائفة الإماميّة ، والقول بالعصمة لا يضايق العقل عندهم ولا تقيّده بشيء من قيود ، وللعقل المقام الأعلى في أدلّة الأحكام ؛ وإذا عارضه النقل فالمعوّل على العقل . وكثيراً ما يأتي الحديث الذي هو في أعلى مراتب الصحّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام ـ وهو ما يسمّونه بالصحيح الأعلائي ـ ويكون منافياً للعقل ، فإن أمكن تأويله ألى ما يوافق العقل أوّلوه ، وإلاّ ضربوا به الجدار ، وتأدّباً يقولون نردّ علمه إلى أهله ، ولا يعلمون به .

٢ ـ وسألت ما هي أهمّ الفروق الواضحة بين الشيعة الإمامية والشيعة الفاطميّة الذين هم فرع من الإماميّة ؟!

والجواب ما قلته لبعض علماء الشيعة الإسماعيلية الّذين هم إلى اليوم في الهند (بومباي) فإنّهم بقيّة الفاطميّين تحقيقاً[1] وأعني بهم (البهرة) أتباع « طاهر سيف الدين » لا أتباع « آغا خان » فإنّهم ملاحدة تحقيقاً : لا حجّ ، ولا صوم ، ولا صلاة ، بخلاف الأوّلين .

نعم قلت نحن وأنتم سرنا في طريق واحد وعندما وصلنا منتصفة الطريق فارقتمونا وهكذا الحال فإنهم يوافقوننا في ستّة من الأئمة من عليّ (ع) إلى جعفر الصادق (ص) وينكرون الستة الآخرين ، وللمقال هنا مجال واسع في ذكر أصولهم وفروعهم ، وفي ذكر القاضي النعمان بن محمّد المصري[2] وغيره من أفراد أسرته الجليلة الذين تولوا القضاء للفاطميين أكثر من مائة سنة

---

(١) أنظر ص ٢٠٠ من هذا البحث وما بعدها من كتاب الحركة . . .

(١) أنظر هامش ص ١٩٩ من البحث في كتاب الحركة الفكرية . . .

(٢) القاضي النعمان المصري توفي سنة : (٣٦٣) هـ كان قاضياً بمصر .

وكتابه الجليل (دعائم الإسلام) ولكن لا قوة تساعدني على الإفاضة في ذلك ، فعذراً .

٣ ـ وسألت ما هي الصلة بين الشيعة الإمامية ومنهم الفاطميّة وبين المعتزلة التي هي من فرق السنّة ؟ فقد وجدت الفريقين تتحدّثان عن صفات الله ، وتخصّان صفة العدل من صفاته تعالى بالكلام .

والجواب : أنّ المعتزلة فرق كثيرة ، وقد انقرضت اليوم على الظاهر ، ومنها المعتزلة الشيعة ، ومعتزلة السنة ، ومعتزلة السنّة أيضاً أنواع مفضلة وغير مفضلة ، والذي يجمعها عموماً مع الشيعة عموماً هو قولهم بأنّ من صفاته تعالى العدل الّذي ينكره الأشاعرة . وعلى هذا تبتني مسألة الحسن والقبح العقليّين التي تقول بها الإماميّة والمعتزلة ؛ وتنكرها الأشاعرة أيضاً ، وبهذا الملاك يطلق على الفريقين إسم العدليّة . أمّا الكلام فهي مسألة أخرى ، فإنّ الأشاعرة قالوا بالكلام النفسي له تعالى ، وأنّه من صفاته الثبوتية ، وأنكره العدليّة بأجمعهم ، ومن هذه القضيّة تفرّعت المسألة المهمّة الّتي أخذت دوراً وإسماً في زمن المأمون والمعتصم ، والواثق بل والمتوكل أيضاً ، وهي قضيّة خلق القرآن وهل هو حادث أو قديم ؟ مخلوق أو غير مخلوق ؟ وهي المحنة الّتي ضرب في سبيلها الإمام أحمد بن حنبل بالسياط، وقد أشبعنا بالكلام في هذه المباحث في الجزء الأوّل من كتاب (الدين والإسلام) ولا مجال لتفصيل هذه المباحث العويصة في هذا الكتاب الوجيز مع ما نحن فيه من العجز . ولعلّ كتابة هذا القدر على اختصاره من المعجزة أو المعجز صفحة ٨٧ من أصل الشيعة وأصولها ذكر المعتزلة ، وإذا قرأت كتابنا (تحرير المجلة) بإجزائه الخمسة وأجلت نظرك فيها بإمعان رجوت أن يتجلّى عندك ما للشيعة الإماميّة من عمق الغور ، وبعد النظر في التفقه ، وإتّفاق الأصول والقواعد وتحرير الفروع والمسائل .

وليكن معلوماً لديك أيّها الأستاذ الكريم أنّي ما كتبت كلّ هذا إلّا بدافع الإفادة والإحسان ، فإن كان ما فيه شيء من الخشونة فانعم بمسحها بأنامل العفو والغفران .

والله يحفظكما ويرعاكما بدعاء الأب الروحي البارّ :

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرسته العلميّة في النجف الأشرف ـ العراق

٣ جمادي الثانية : **١٣٦٥ هـ**

بسم الله الرّحمن الرّحيم : وله الحمد

إلى المحروس السيّد نجم الدين الحسيني سلّمه الله .

سألت ـ وفّقك الله ـ عن الحديث الّذي رواه البخاري ومسلم وأرباب السنن كالترمذي وإبن داود وإبن ماجه عن حذيفة أنّ رسول الله (ص) أتى سباطة قوم فبال قائماً . وأنّ بعض أئمّة المساجد لم تستطع أن تقنعه بأنّ هذا الحديث كذب . وتقول هل جاء نصّ بحرمته ؟ وطلبت منّا الجواب .

فاعلم أنّنا وأكثر المذاهب الإسلاميّة على الظاهر نعتقد عصمة النبيّ (ص) ولا شكّ أنّ العصمة فوق العدالة بمراتب والعدالة كما هو معروف ترك الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر ، وعدم إرتكاب منافيات المروّة ، ويمثّلون منافيات المروّة بمثل الأكل في الطريق أو المشي فيه عارياً مستور العورة ، فإذا كان مثل الأكل منافياً للمروّة ومسقطاً للعدالة فكيف لا يكون البول في الطريق منافياً للمروّة ومسقطاً للعدالة ؟ فهل يعقل أن يكون النبيّ (ص) غير عادل ؟ مع أنّ الواجب عقلاً أن يكون معصوماً ، والعصمة فوق العدالة ، ومنافيات المروّة لا يلزم أن تكون حراماً حتّى يقال هل أتى نص بحرمته ، وغير خفي على ذي لبّ أنّ مقام النبيّ الكريم الّذي يقول فيه العظيم : **أنك لعلى خلق عظيم**(١) حتّى في أحواله العادية فضلاً عمّا يعود إلى عالم التشريع هو فوق مستوى البشرية فهو منزّه في كلّ أقواله وأفعاله بعيد عمّا يكون له أيّ مساس بحفظ الكرامة ، والصيانة ، والوقار ، والهيبة ولا ريب أنّ

---

(١) سورة ٦٨ آية ٤ .

البول قياماً ولا سِيّماً أمام جماعة من الناس ممّا تنبو عنه الطباع وتشمئزّ منه النفوس ، ألا ترى أنّ العرب كانوا إذا أرادوا ذمّ الرجل ، وأنّه جلف جافي لا يعقل شيئاً يقولون : (أعرابيّ بوّال على عقبيه) أي يبول قائماً يترشّح البول أو يسيل على عقبيه كالبهائم . فإذا كان أحد أئمّة المساجد الذي لم تستطيع إقناعه بكذب الخبر يرضى أن يكون نبيّه بوّالاً على عقبيه فنحن لا نرضى بذلك وننزّه مقام النبوّة ونقدّسه عن مثل هذه الرذائل . ومن الشائع المعروف عند الإمامية أنّه (ص) ما رآه أحد على بول أو غائط قطّ وإنّ الأرض تبتلع فضلاته .

وهذا أمر جليّ واضح يدركه الذوق والوجدان ، وهو في غنى عن الدليل والبرهان ، فإنّ كلّ ذي شعور إذا وجد رجلاً يبول في الطريق قائماً أو قاعداً يسقط من عينه ، ولا يبقى له أيّ كرامة في المجتمع ، كمن يمشي عارياً في المجامع ، ويستحق الذم واللوم عند العقلاء وهذا في سائر الناس فما ظنّك بالنبيّ والأئمّة سلام الله عليهم ، والعلماء الذين بهم الأسوة والقدوة ؟ !

هذا من طريق العقل والعرف والإعتبار ، أمّا لو أردنا سرد الأخبار الواردة في كراهة البول قائماً أو في الطريق ، وإستحباب التباعد بالبول بحيث لا يرى ، وأن يتوقّى الترشّح ونحوه فهو كثير لا يسع المجال لإحصائه نعم لو رأينا النبيّ (ص) بال قائماً بأعيننا أو ثبت ذلك بالتواتر وجب علينا تخريج وجه لصحّة عمله ، وطلب وجوه التأويل لهذا العمل المنكر عقلاً وعرفاً وشرعاً ، فنقول إنّ مراده بيان الجواز ، ودفع توهّم الحرمة ، أو أنّ الضرورة وشدّة الحصر دفعه إلى ذلك لدفع الضرر ، كما ورد في بعض الأخبار « بُل ولو على ظهر حمارك » أي إذا حصرك البول . وبالجملة إذا قطعنا بصدور العمل منه يلزمنا التأويل .

أمّا بمثل هذا الخبر الضعيف السند المضطرب المتن ، السخيف المعنى والمبنى فنضرب به الجدار ، ومن أصّر عليه فلا ذوق له ، وإن أبى فهو حمار . وقد روى البخاري بنفسه ضدّ هذا الخبر بسنده عن إبن طاووس عن إبن عباس : أنّ رسول الله (ص) مرّ على قبرين فسمع منهما أنيناً فقال

ان صاحبيهما ليعذّبان وما يعذبان عن كبيرة ، أمّا أحدهما فكان لا يستتر ببوله وأمّا الآخر فيمشي بالنميمة .

وفي بعض الأخبار الّتي رواها في بول النبيّ (ص) أن حذيفة كان إلى جنب النبيّ (ص) لمّا بال وهو قائم ، والقصاري أن هذا الخبر يشهد بكذبه العقل والعرف والذوق والأحاديث الكثيرة ، فإن قنع صاحبك بهذا كلّه فالحمدِ لله على الوفاق ، وإلاّ فإنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

حرره في كربلاء

٩ رجب ١٣٦٦ هـ

سؤال :

ورد للإمام كاشف الغطاء من دبي : من عبد الربّ وأخيه محمّد إبنى عبد الله السمعاوي .

مسألة :

ما المراد من الإسم أو الأسماء الواردة في أدعية متفرقة عن أهل الذكر عليهم السلام كما في دعاء السحر « اللهمَ إنّي أسألك من أسمائك بأكبرها وكلّ أسمائك كبيرة » وكما في غيره « وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء » . « وبأسمائك الّتي تجلّيت بها للكليم على الجبل » وأمثال ذلك وكالأسماء الّتي إشتقّها تعالى من أسمائه لبعض أوليائة كمحمّد ؛ وعليّ ؛ وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام مع أنّه جلّ وعلا لم يجعل من أسمائه الّتي تسمّى بها محمّداً ، وفاطمة ، وحسيناً ، كما قد جعل عليّاً وحسناً منها ، وما المراد من الإشتقاق ؟ أفدنا زادك اللّه علماً وشرفاً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الجواب :

المراد من الأسماء في تلك الأدعية الشريفة المظاهر الإلهيّة الّتي يتجلّى بها جلّ شأنه لخاصة أصفيائه في أزمنة خاصة ، وأمكنة مقدّسة فالأسماء الّتي تجلّى بها للكليم هي الظهورات التي ظهر بها الجليل على جبل طور سيناء ، أي الأنوار أو النار التي ظهرت للكليم (**فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى أني أنا الله رب العالمين**)[١] وتوجد الإشارة إلى كثير من هذه الظهورات في دعاء السمات الذي يقراء عصر الجمعة وهو من الأدعية الجليلة وهذه هي الأسماء التي ملأت أركان كلّ شيء ، فإنّ له تعالى في كل ظهور .

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنّه واحد[٢]

وأمّا اشتقاق أسماء بعض أوليائه من أسمائه فالمراد إشتقاقها من المصادر ، والمعاني الشريفة التي هي من أوصافه بالخقّ والإستحقاق ، وعلى الإطلاق كالحمد الذي اشتقّ منه محمّد (ص) وكالعلو الذي اشتق منه عليّ (ع) وكالحسن والإحسان الذي اشتقّ منه الحسن والحسين ، وهكذا . والله وأولياؤه أعلم بمرادهم .

وللإسم معان أخرى لا يتّسع الوقت لبيان أعظمها ؛ العقل الأوّل في لسان الحكماء ورحمته التي وسعت كلّ شيء في لسان الشرع ، وهكذا والله العالم .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) سورة ٢٨ آية : ٣٠ .

(٢) هذا البيت لأبي العتاهية الشاعر المشور المتوفي : (٢١٠) .

مامعنى "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"

من البصرة :

إلى حضرة مولانا حجّة الإسلام وآية الله في الأنام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء أدام اللّه ظله العالي ـ آمين ـ بعد السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

ما تقولون في الحديث النبوي : علماء أمتّي كأنبياء بني إسرائيل ؟[1] ما

(١) هذا الحديث مذكور في كثير من الكتب المتداولة ومشهور في الألسنة ولكن لم يوجد في الجوامع الحديثية للإمامية من روايته وسنده عين ولا أثر بل صرح جمع من مهرة المحدثين وأساتذتهم أنه من موضوعات العامة .

قال المحدث الأكبر السيد عبد الله الشبر (ره) في كتابه مصابيح الأنوار : روى عن النبي ـ ص ـ قال : علماء أمتي أنبياء بني إسرائيل أو كأنبياء بني إسرائيل أو أفضل من أنبياء بني إسرائيل . وهذا الحديث لم نقف عليه في أصولنا وأخبارنا بعد الفحص والتتبع والظاهر أنه من موضوعات العامة وممن صرح بوضعه من علمائنا المحدث الحر العاملي (ره) في « الفوائد الطوسية » والمحدث الشريف الجزائري (ره) وكيف كان فيمكن توجيهه بوجهين الخ . أنظر ج ١ ص ٤٣٤ ط بغداد .

وما نسبه إلى الشيخ الحر العاملي صاحب الوسائل (ره) موجود في الفوائد الطوسية النسخة المخطوطة الموجودة في مكتبتنا .

وفي كلام معالي العلامة السيد محمد على الشهير بهبة الدين « الشهرستاني الذي كتبه في جواب سؤال صديقنا العلامة المتضلع الحاج ميرزا عباسقلي الواعظ الجرندابي التبريزي بعد =

المراد بالعلماء أهم الأئمّة عليّ أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام ؟ أم علماء الشيعة ؟ ! وما المراد بالأنبياء أهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ؟ أم سائر أنبياء بني إسرائيل ؟

بعد تقبيل أياديكم الشريفة نرجو الجواب موضحاً والوجوه المختلفة فيها بأسلوب نفهمه . نفعنا الله بعلومكم ودمتم مؤيّدين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الجواب :

وجوه الشبه والمماثلة بين أنبياء بني إسرائيل وعلماء هذه الأمّة كثيرة :

= أن ذكر مد ظله أن حديث : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل مروى عن رسول الله ـ ص ـ قال ما هذه لفظه : « وفي أكثر الروايات أفضل من أنبياء بني إسرائيل » . أنظر أوائل المقالات ص ٤٤ ط ٢ تبريز .

إن كان مراده من تلك الروايات التي أشار إليها هي الروايات المروية المسندة في الجوامع الحديثية فليت شعري اين تلك الروايات التي في أكثرها لفظ : « أفضل » ؟ ولم لم يقف عليها المحدثون ؟ بل صرحوا بعدم وقوفهم عليها بعد الفحص والتتبع .

ولعل مراده دام بقائه غير ما يتراءى من ظاهر كلامه ومقصود من تلك الروايات هي الدائرة في الألسنة والمذكورة في كثير من الكتب من نسبة الحديث المذكور إلى رسول الله ـ ص ـ مرفوعاً ومرسلاً من دون بيان سند له ومستند من كتب الأحاديث والجوامع الحديثية كنظائر هذا الحديث مثل : « لولاك لما خلقت الأفلاك » الذي لم يوجد له سند ولا راو من المحدثين وكذا ما يروي عن أمير المؤمنين أنه قال (ع) . « ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » فإن هذه الكلمات الشريفة منسوبة إلى أمير المؤمنين (ع) واستدلوا بها كثيراً في الكتب الإستدلالية الفقهية وغيرها ويظهر من كلمات العلامة الفيض القاشاني (ر ه) إنها رواية مرسلة ولكن لم توجد إلى اليوم أسناد لها في الجوامع الحديثية لأصحابنا الإمامية ويحتمل أنها متخذة من بعض الروايات الواردة بذلك المضمون بعبارات مختلفة واحتمل المحدث الحر العاملي صاحب الوسائل أنه من روايات العامة وكيف كان فتلك الكلمات المشرقة في غاية المتانة والقوة وفي نهاية الشباهة بكلمات الإمام أمير المؤمنين (ع) وما أجود ما قال بعض علمائنا الأعلام أننا كثيراً ما نصحح الأسانيد بالمتون ـ سبوح لها منها عليها شواهد ـ وقد كتبنا حول هذه الكلمات النيرة في تعاليقنا على كتاب « الأنوار النعمانية » للمحدث الجزائري (ره) كلمة موجزة أنظر ج ١ ص ١٣٩ ط تبريز .

الأوّل : المشابهة عند الله سبحانه في المنزلة والكرامة .

الثـاني : أنّ بني إسـرائيـل كـان أكثـر أنبيـائهم يختلفـون في التكليف بالدعـوة . فبعض يدعـو طائفـة وآخر يـدعو بلداً ، وثـالث يدعـو قريـة وهكذا وكذلك علماء هذه الأمّة .

الثالث: كما أنّ أكثر أنبياء بني إسرائيل لم يكونوا أصحاب شرائع جديـدة بل كانـوا يدعـون إلى شريعـة موسى ، ويبلغـون إلى الناس أحكـام (التوراة) فكـذلك علمـاء هذه الأمـة يدعـون إلى شريعـة خاتم الأنبيـاء ويبلغون أحكـام القرآن الكريم .

الرابع : كما أنّ أنبياء بني إسـرائيل كـانوا في الغـالب تحت أسر البـلاء والشـدة والبـلاغ والمحنـة من جبـابـرة زمـانهم ، فكـذلـك العلمـاء الأمـرون بـالمعـروف والنـاهـون عن المنكـر ، الصـالحـون المصلحـون ممتحنـون مضطهدون .

الخـامس : كما أنّ أنبيـاء بني إسرائيـل زاهدون في الـدنيا راغبـون في الآخرة ، حلماء حكماء ، فكذلك علماء هذه الأمة ، ولعلّ هناك وجـوهاً آخـر يستخـرجهـا الفـطن اللبيب . وعلى أيّ حـال فـالمـراد من العلمـاء هم فقهـاء الأمامية وحملة آثار النبوّة والأمامة ، لا خصـوص الأئمّة المعصـومين سلام اللّه عليهم وإن كانوا أظهر أفراد العلماء .

وباختلاف تلك الوجوه يختلف التعميم والتخصيص من حيث إرادة تمام أنبياء بني إسرائيل حتّى موسى وعيسى (ع) ، أو من عـدا أولي العزم منهم ، واللّه العالم .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

النجف الأشرف

١٣٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب سماحة حجة الإسلام آية الله العلامة الشيخ محمد الحسين
آل كاشف الغطاء دام ظله بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته

أتمنّى أن تكـون بصحّة وعـافية طـالما نعلم أنّ مـرجعنا في كـلّ مشكلة عـويـصة هو سماحتكم لتنويرنـا بنور الحكمـة فلا ريب إذن إذا استفسـرت عن كلّ ما يتعسّر عليّ فهمه أو حكمه (العلم بالشيء خيـر من الجهل بـه) فكيف إذا كان السؤ ال يستوجب الإيضاح عنه علماً وأدباً وشرعاً .

سيدي أنّنا في عصر بغيض والشبّان به دوماً ينقمون على العصر الماضي وعـاداتهم وأخـلاقهم وثقـافتهم ، ويـزعمـون أنّهم أسمى علمـاً وفهمـاً ، وقـد اعترض فرد من بعضهم على بيتين من قصيـدة السيّد حيـدر الحليّ وهي قولـه كمـا يأتي أدنـاه متهجّماً على بني أميّـة وآل سفيان مـاسّاً في عـرضهم ، يدّعي المعتـرض أنّ هذا خـطأ من السيد الحلّي لأنّ نسـاء بني أميّـة وبنـاتهم عـرض النبيّ حيث بني أميّـة وبني هاشم من أب واحـد وإخـوان ، ومن يمسّ بعـرض بني أميّـة ويقول فيهم الفحش قـد مسّ النبيّ ، ولم يقنع من أنّ الإسـلام فرّق بين المؤمن والكافر وبين الأخ وأخيه والولد وأبيه ألـخ . . . فهل من ردّ شـافي أدبي وحكمي وفلسفي لإقناع هذا الجـاهل المجـادل الذي درس في مـدارسنا وكـرس حياتـه في طلب العلم ؟ ولم يقنع كـلّ ردّ مـع العلم هـو (جعفـري) المذهب وعائلته رفيعة ولكنّه يجهل أموراً ويجادل بأخرى ، هذا ما لـزم ودمتم بخير ، الأبيات :

ودونكم والعـار ضمّوا غشـائـه إليكم إلى وجـه من العـار أسـود
يرشّح لكن لا لشيء سوى الخنا وبعـدكم فيمـا يـروح ويغتـدي
وتتـرف لكـن للبغـاء فتـاتـكم فيـدنس منها في الـدجى كل فـرقـد

٢٣,٢,١٩٥١ م

المخلص الحقير

ذياب حسين الزهري

هاشم وأمية ليسا من أب واحد

بسم الله الرحمن الرحيم : وله الحمد

سلام عليك وبقاء لك بالسلامة والتوفيق .

وردني كتابك تذكر فيـه أنّ بعض الشباب يعتـرض على المرحـوم السيد حيدر[1] في قدحه بأعراض بني أميّة وتهجّمه عليهم لأنّ نساء بني أمية وبناتهم عـرض النبي (ص) وأنّ هـاشم وأميـة من أب واحـد . وذكـرت ذيـل الكتـاب الأبيات الثلاثة للسيد المرحوم الى آخر ما سطرت بكتابك .

ولا غـر وأن يعترض امثـال هؤلاء الأغرار والنـاشئة الـذين لا خبـرة لهم بشيء من السير والتأريخ والأمور الضرورية من أحـوال الجاهليـة والإسلام وأنّ الذي ذكره علماء التأريخ من رجال السنّـة وشعرائهم وكتّـابهم من فضائـح بني

(١) سيـد حيدر بن سليمـان الحسيني الحلي أمام شعـراء العراق شـاعـر اهـل البيت على الأطـلاق الجامع بين فصاحة اللسان وبلاغة البيان وشدة التقوى والـورع وقوة الإيمـان ويحق أن يقال هـو فخر الطالبين وناموس العلويين ولد سنة (١٢٤٦) هـ وتوفي سنة (١٣٠٤) هـ له ترجمـة ضـافيـة في البابليات مترشحة من قلم استاذ أديب شاعر بارع اعني الشيخ محمد علي اليعقوبي .
انظر ج ٢ ص ١٥٣ـ ١٦٨ ط النجف وانظر أيضاً إلى مقدمة ضافيـة لديـوانه ـ الجـزء الأول ط النجف ـ بقلم صديقنا الأديب البارع الاستاذ صالح الجعفـري آل كاشف الغطاء مدرس الأدب العربي في ثانوية النجف الأشرف .

أميّة ومخازيهم والقدح في أعراضهم وبيان (عهرهم) وفجورهم أكثر ممّا ذكره علماء الشيعة وشعرائهم بكثير ، وقضايا هند أم معاوية زوجة أبي سفيان وفجورها قد نظمه الشعراء في زمن النبيّ (ص) شهرّها من شهرها شاعر النبيّ حسان ثابت بقوله :

لمن الصبيّ بجانب البطحاء ملقىً عليها غير ذي مهد
بخلت به هيفاء آنسة من عبد شمس صلة الخدّ

في أشعار كثيرة كلّها مخزية ، وما رواها إلّا علماء السنّة وشعرائهم ولماذا نذهب بعيداً إلى ثلاثة أو أربعة عشر قرناً وهذا الشاعر الفحل الذي لم يبعد عن عصرنا بقرن واحد وهو (عبد الباقي) وهو سنّي عمري فاروقي يقول في الباقيات الصالحات من جملة أبيات مشهورة :

واحربا يا آل حرب منكم يا آل حرب منكم واحربا
فيكم وعنكم وبكم ومنكم ما لو شرحناه فضحنا الكتبا

فرحمة الله على السيد حيدر فإنّه أقصى ما صنع بشعره أنّه فضحهم ولكن العمري فضح الكتب بفضايحهم ، وعلى أي فقل لذلك الجاهل المعترض (بأن نساء بني أميّة عرض النبي (ص)) ليتك أيّها الغرّ قرأت كتاب ابن أبي الحديد أو نهج البلاغة الذي طبع مئات المرات ليتك تقرأ وتتدبّر أنّ أمية وهاشم ليس أبوهما واحداً فإنَّ أميَّة ليس من صلب عبد شمس ولكنه لقيط أي ابن زنا وولد فاحشة تبناه عبد شمس[1] ويشهد لهذا أقوى شهادة قول أمير

(١) من ينعم النظر إلى التاريخ بالبحث والتنقيب والتحليل الصحيح يجد في صفحات التاريخ الخالي عن الافائك ودسائس السياسة الغاشمة في العهدين الأموي والعباسي حقائق راهنة ويقطع بالوجدان أن بنى أمية ـ تلك الشجرة الملعونة ـ لم يكونوا من العرب ومن بني عبد شمس بن عبد مناف فإن أمية كان فتى من الروم تبناه عبد شمس على عادة العرب في الجاهلية من تبنيهم اولاد الأسرى كما في قضية زيد ورسول الله صلّى الله عليه وآله .

وقد بنى لنا أهل البيت (ع) في جملة أسرارهم المودعة عند علماء شيعتهم إن بني أمية ليسوا من القريش ولذا ورد عنهم عليهم السلام في تأويل قوله تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم ﴾ إن الروم هم بنو أمية وعن أمير المؤمنين (ع) قال قوله تعالى : ﴿ الم غلبت الروم ﴾ فينا وفي بني أمية .
=

المؤمنين ـ سلام الله عليه ـ في كتاب له ذكره السيد الرضي رضوان الله عليه في محاسن كتب النهج جواباً بالكتاب من معاوية يقول فيه لأمير المؤمنين

= قال الباحث النقاد المتضلع علي بن احمد الكوفي المتوفي : سنة (٣٥٢) في كتاب « الاستغاثة » : لقد روينا من علماء اهل البيت (ع) في اسرارهم وعلومهم التي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم ان قوماً ينسبون من قريش وليسوا من قريش بحقيقة النسب وهذا مما لا يعرفه إلا معدن النبوة وورثة علم الرسالة وذلك مثل بني امية ذكروا انهم ليسوا من قريش وان اصلهم من الروم وفيهم تاويل هذه الآية الم غلبت الروم معناه انهم غلبوا على الملك وسيغلبهم على ذلك بنو العباس (ا هـ) .

ومن هنا يظهر للقارىء الفطن أن قصة تولد هاشم وعبد شمس توأمين من الأساطير التي وضعتها يد السياسة في العصر الأموي لاثبات اتصال نسبهما ووحدته وهي أكذوبة اختلقتها يد الأثيمة ونقلها بعض المؤرخين من دون تحقيق وتثبت كما هو ديدنهم في نقل اغلب القصص والقضايا كما يقول المقريزي في كتابه « النزاع والتخاصم » ص ١٨ ط مصر ما هذا الفظه :

(وقد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم وبني عبد شمس بحيث أنه يقال أن هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع احدهما بجبهة الآخر فلما نزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك ويقال أن عبد شمس وهاشماً كانا يوم ولدا في بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فاخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف ـ فقال بعض العرب إلا فرق ذلك بالدرهم فإنه لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد) .

وفي بعض التواريخ كان ظهر كل واحد منهما ملتصقاً بظهر الآخر ففرق بينهما بالسيف .

وليسمح لي القارىء العزيز ان أقول : هذه قصة كاذبة منحوتة وضعتها يد السياسة الغاشمة الأموية لاثبات اتصال نسب بني هاشم وبني أمية وأنهم من قريش والستر على كون أمية لصيقاً ولبيان علة العداوة الواقعة بين بني هاشم وبني أمية أيضاً ـ وهي علة منحوتة مجعولة واضطرابها دليل على بطلانها .

ونظراً إلى أن اصل بني أمية من الروم كان لمعاوية مثل أبيه صخر ميلاً ومحبة لهم .

ففي خبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان أيه بني الأصفر وإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان :

وبنو الأصفر الملوك ملوك الـر ... وم لم يبق منهم مذكور

فحدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسلمين فقال الزبير قاتله الله يأبى ألا نفاقاً أو لسنا خيراً له من بني الأصفر ؟

قلت نعم كنتم خيراً له من الروم ولكن عداوته للاسلام دعته للتكلم بتلك الكلمة الخبيثة ومن سبر سيرة معاوية وامعن النظر الى احواله واعماله يظهر له ميله ومحبته الى الروم واضحاً جلياً ولذا صالح مع الروم على تفصيل مذكور في التواريخ .

وصار هذا الصلح سبباً لزوال هيبة الإسلام عن قلوب الكفار وفي اتخاذ معاوية سرجون بن =

(ص) : ألسنا نحن ـ أي بني أميّة ـ وانتم ـ أي بين هاشم ـ من شجرة واحدة أو ما هو بهذا المضمون فيقول له سلام الله عليه في الجواب : نعم ولكن ليس المهاجر كالطليق ولا الصميم كاللصيق يعني أنّ هاشماً الولد الصميم وأمية الولد اللصيق ، قل لذلك الجاهل لو كانت نساء أميّة عرض النبي (ص) لنهى شاعره حسان عن التعرض لها ، ومالنا نذهب بعيداً وهذا كتاب الله العظيم يقول لنبيه نوح حين قال : إنَّ ابني من أهلي ، فنفاه تعالى عنه بقوله : إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، ولكن أكثر شبّان هذا الزمان يدخلون المدارس ويخرجون بعد ستّ سنوات أو أكثر يحملون الشهادة أو شهادة (الدكتوراه) لا يحفظون آية واحدة من كتاب الله العظيم حتى ولا فاتحة الكتاب ، لأنَّ الشيطان والتمدّن الغربي بحمدالله قد اسقط عنهم كل تكليف وكلّ أدب إسلامي .

أمّا معاويةَ فلا فيه رأي خاص لعلي قد انفردت به ـ على الظاهر ـ وهو أن هنداً حملت به من . . .[1] ولا أدري أكان ذلك في الجاهلية أو الإسلام ولكنّه . . ولي على ذلك شواهد كثيرة لا مجال لذكرها في هذه اللمحة العابرة ولو وجدت متسعاً في الوقت ومهلة من الأشغال وفترة من الاسقام لشرحت لك قدراً وافياً من فضايح بني أمية ومخازيهم ما يصدق قول الفاروقي : (ما لو

منصور الرومي ـ وهو بطريق مسيحي وكان على دين النصارى ـ نديماً ومشاوراً لنفسه في الأمور وكان عاملاً على آرائه في أكثر الشؤون دليل واضح على ما ادعيناه وفيه تأييد لما رمناه ولنا شواهد كثيرة لا مجال هنا لذكرها والله الموفق والمعين .

انظر الى تفسير لوامع التنزيل ـ ذلك التفسير الكبير ـ للمجتهد المفسر المتبحر السيد علي الرضوي اللاهوري (ره) ج ١٥ ص ٢١١ ط هند . وكتاب « كامل البهائي » لعماد الدين الطبري (ره) ج ١ ص ٢٦٩ ط قم . والزام النواصب ص ١٠٤ والأنوار النعمانية ج ١ ص ٦٧ ط تبريز . والنزاع والتخاصم للمقريزي ص ١٨ ط مصر والتدوين في أحوال جبال شروين لوزير العلوم محمد حسن خان « اعتماد السلطة » المراغي وقد تعرض لمعاهدة معاوية وصلحه مع الروم وكشف عن أحوال سرجون بن منصور الرومي البطريق « بتريك » فراجع وانظر إلى كتاب : رد على رد السقيفة للعلامة السيد محمد الكاظمي القزويني نزيل البصرة اليوم ـ دام بقاه ص ١٤٠ صيدا .

(١) ذكر شيخنا الإمام (ره) في هذا المقام اسم رجل اقتضت المصلحة العامة للمسلمين اليوم عدم التصريح باسمه .

شرحناه فضحنا الكتبا) ولعرفت القائل في صحيفته السوداء من المتعصبين لهذه الشجرة الملعونة في القرآن والقرود التي رآها رسول الله (ص) تنزوه على منبره ، نعم لو فسح لي المجال لعرفته ضلالته بقوله : الإسلام بلغ ذروته في أيام بني أمية . وأريته بالعيان والوجدان فضلاً عن الدليل والبرهان أنّ الإسلام ما ضربه أحد الضربة القاضية سوى بني أمية وكلّ الحروب والرايات التي قامت ضدّ الإسلام ما رفعها سوى أبي سفيان وقومه قبل الإسلام وبعده وسواء كان أمية من العرب أو من غيرهم ، فلقد سوّدوا وجه العرب بشنائعهم ومخازيهم في الجاهلية وأول الإسلام كما سوّد ملوك العرب اليوم جبين العروبة الأغرّ بخيانتهم في قضية فلسطين[1] ولله أمر هو بالغه ، ولا حول ولا قوّة إلا به .

حرّر في مدرسته العلمية في النجف الأشرف

٢٧ جمادى ١ سنة ١٣٧٠هـ

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) يا ليتك أيها الرجل الغيور على الدين وعلى القرآن المبين كنت حياً ورأيت أيضاً كيف سود ملوك العرب جبين العروبة بخيانتهم ترى أنهم نبذوا نصوص القرآن والسنة ورائهم ظهريا ، وشروا عذاب الله بثمن بخس وسحقوا آخرتهم لدنيا غيرهم من المستعمرين ، جاءوا بقوانين ليس لها من سلطان مبين فواحد يقول: إذا عارض الصوم مع العمل يجب أن يعمل ويترك الصوم قياساً على ترك الصوم في السفر وآخر يسن القوانين المخالفة لنصوص القرآن وضرورة الإسلام ويضعها في المحاكم الشرعية للعمل عليها كللذكر مثل حظ الانثى وان الأبوين في الطبقة الثانية في باب الأرث وأمثالها انظر الى الأحوال الشخصية العراقية ربنا لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا أنت ولينا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

سؤال عن حديث من رآنا فقد رآنا

سمعنا أنّ أهل البيت عليهم السلام قالوا : من رآنا فقد رآنا فهل هذا صحيح ؟ وكيف يتفق مع إنكار العلم الحديث صحة الحديث ؟

الجواب :

أمّا صحّة الحديث فهو من الشهرة والإستفاضة بمكان وقد اتفق على روايته في الجملة رواة العامة والخاصّة وهو وأن وقع الاختلاف في الفاظه وتراكيبه ولكن القدر المشترك منه وهو : عن النبي (ص) من رآني فقد رآني فإنَّ الشيطان لا يتمثل بصورتي[1] مستفيض ، وقد رواه الصدوق (ره) في الأمالي والعيون ، وتعرّض أبو الفتوح الكراجكي (ره) لهذا الحديث في كنزه[2]

---

(١) صحيح البخاري ص ٥٤ ج ٨ عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: « ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل صورتي » .

(٢) انظر كنز الفوائد للعلامة الكراجكي (ره) ص ٢١٢ ـ ط تبريز وفي اسئلة السيد مهنا بن سنان (ره) عن آية الله العلامة الحلى (ره) : إنه صح عن سيدنا رسول الله (ص) أنه قال : « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » .
ولكن السيد الإمام المرتضى علم الهدى (ره) قال في الأمالي ما هذا لفظه : فإن قيل : فما تأويل ما يروى عنه (ع) « من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي » . . . =

ونقل عن شيخه المفيد رضوان الله عليه كلاماً عالياً في شرحه ووجوهه .

أمّا صحّة الأحلام في الجملة وإصابة كثير منها للواقع فأمر لا يقبل الإنكار ويشهد به الوجدان قبل الشريعة والقرآن واتّفقت عليه حكماء الهند واليونان ، امّا علماء الغرب واهل العلم الحديث فلا احسبهم متّفقين على إنكاره ، وان وجد فيهم من ينكره فهم المادّيّون المنكرون للارواح المجرّدة والجواهر المفارقة ، امّا المثبتون للارواح والذاهبون إلى صحّة التنويم المغناطيسي وإستحضار ارواح الاموات والأحياء فهو محقق عندهم وبالجملة فصحّة بعض الاحلام ممّا لا يرتاب فيها ذوو الأحلام .

سؤال :

حول عصيان آدم أبو البشر لربّه في أكل الشجرة التي نهاه عنها ، فكيف يجوز ذلك على الأنبياء ؟

الجواب :

فهي مسألة جدّاً بسيطة ، فإنّها فرع من أصل ؛ وينبغي البحث والنظر في ذلك الأصل فإن كان محقّقاً كان ترتّب الفرع عليه ضرورياً وإلّا فلا ، أمّا الأصل فهو قضية عصمة الأنبياء ، فإن قامت الأدلة العقليّة القاطعة على لزوم عصمتهم فلا محيص من تأويل كلّ ما ورد في النقل مما هو بظاهره معارض لحكم العقل ، إذا الدليل النقلي يقبل التأويل مهما كان قويّ الظهور بخلاف الدليل العقلي ، أمّا حكم العقل بوجوب عصمة الأنبياء في الجملة مما لا ريب فيه[1] وإلّا لا تنقض الغرض من بعثتهم ولكن شمول الأدلّة لاثبات

= قلنا : هذا خبر واحد ضعيف من أضعف اخبار الاحاد ولا معول على مثل ذلك . . .
وللسيد كلمة في المنامات ينبغي ملاحظتها انظر الأمالي ج ٢ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٥ ط مصر سنة ١٣٧٣ هـ.

(١) غير خفي على الباحث الخبير إن الأدلة العقلية القطعية والنقلية من الكتاب والسنة وضرورة مذهبنا دلت على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر من أول عمرهم إلى آخره =

العصمة حتى لآدم الذي هو بدء الخليقة وأول التكوين ولم تكن هناك أمّة أرسل إلى هدايتها وإرشادها ولا دعوة قام باعباءها نعم شمول الأدلة لوجوب عصمة مثله مشكل ، وشمول العصمة حتى لمثل هذا الذنب اشكل وصدور المعصية منه بمعناها الحقيقي لا يمنع منه العقل ويشهد به النقل ، ولكن علمائنا الأساطين ولا سيما السيد المرتضىٰ والمفيد رضوان الله عليهم أبوا ألّا تنزيه عن المعصية كتنزيه سائر الأنبياء حتى الصغار منهم وتأويل كل ما ورد في الكتاب الكريم مما هو كالنص في صدورها منه مثل قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾[1] ونظائرها كثيرة .

نعم كافة الأمامية نزّهوا آدم عن المعصية ولعلّهم أرادوا أن يكونوا لأبيهم ابناء بررة ، ولا يعقونه كما عقه سائر المسلمين بل وغيرهم بل أفرط بعض الفلاسفة الأدباء من حكماء الإسلام حتى القى أعباء مسؤولية جميع ابنائه عليه ، فهذا الفيلسوف ابن شبل البغدادي[2] في قصيدته الكونية المشهورة التي يقول في أوّلها :

بربّك أيها الفلك المدار ... أقصدٌ ذا المسير أم إضطرار
فإن يك آدم أشقى بنيه ... بأمر ماله منه إعتذار
ولم ينفعه بالأسماء علم ... ولا نفع السجود ولا الحوار

قبل بعثتهم وبعدها فما ورد من الآيات القرآنية أو بعض الأحاد من الأحاديث الشريفة وظاهرها نسبة الذنب اليهم لابد من تأويلها ورفع اليد من ظاهرها كما نرفع اليد عن ظاهر بعض الآيات الشريفة الظاهرة في التجسيم والتشبيه ورؤية الله تعالى وامثالها المخالفة للأدلة العقلية والنقلية المحققة ولذا لا ينبغي التأمل في أنه لابد من تأويل تلك الآيات الشريفة .

وقد تحقق في محله ان ظواهر القرآن الكريم حجة ما لم يدل دليل على خلافها من العقل أو النقل وإذا دل الدليل على الخلاف فنرفع اليد من الظواهر والله العاصم .

(١) سورة ٢٠ آية : ١٢١ .

(٢) حسين بن عبدالله بن شبل البغدادي المتوفى بها سنة (٤٧٥) هـ. من رجال الأدب والفلسفة والطب والشعر له قصائد مشهورة عالية انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي « ولغت نامه » لدهخدار ومعجم ادباء الأطباء للنطاسي الأديب الشاعر الكبير ميرزا محمد الخليلي النجفي ـ وغيرها .

فيـالـك أكلة مـا زال منهـا   علينـا نقمـة وعليـه عـار

وزاد فيلسوف المعرّة[1] على ذلك عدّة مقاطيع من لزوميّاته بمثل قوله مخاطباً بني آدم :

أكـان أبـوكم آدم بـالـذي أتى   نجيباً فترجـون النجابـة للنسل

ولكن تلطّف المتنبّي[٤] وابدع في تقريع أبيه أبي البشر ونبزه بالمعصية حيث يقول على لسان حصانه :

أبـوكـم آدم سنّ المعـاصي   وعلّمكـم مفـارقـة الـجنـان

نعم والتأويل في قضيّة عصمة الأنبياء لابدّ منه في القرآن ولا محيص عنه والايات الظاهرة في ارتكاب الأنبياء للمعصية كثيرة سيما في حق نبيّنا سيّد الأنبياء صلوات الله عليه وآله مثل :

﴿ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ﴾ وللجميع وجوه من التأويل معقولة ومقبولة . وقد ذكر كثير منها في بعض مؤلفتنا ومؤلفات غيرنا فليراجع إليها من شاء .

(سؤالان)

١ ـ هل وجد المسلمون ثمرة للخلاف ؟ وما هي الأسباب التي دعتهم إلى ذلك ؟

٢ ـ لماذا بعض العلماء يحرمون ضرب القامات والسلاسل والطبول والنقّارة في المواكب الحسينية ويحرمون الشبيه ؟ وفريق منهم يشجّع العوام ويؤيّدهم فما الصواب في ذلك ؟

ـ جواب هذين السؤالين ـ

إعلموا أوّلاً أن الإختلاف ليس ضروريّاً في البشر فقط بل هو

(١) أبو العلاء المعري المتوفي (٤٤٩)هـ.

(٢) أبو الطيب احمد الكوفي الشاعر المشهور بـ (المتنبي) ولد سنة (٣٠٣) هـ كان يتحقق بولاء أمير المؤمنين (ع) تحققاً شديداً وله في قصائد سماها العلويات توفي سنة (٣٥٤) هـ مقتولاً .

ضروري في طبيعة هذا الكون أيضاً ، أعني عالم الكون والفساد ، ليل ونهار وظلم وأنوار ، وحرّ وبرد ، وصيف وشتاء ، وغيم وصحو ، وهلمّ جرّاً واختلاف الآراء من أدقّ نواميس الكون وأقوى قاعدة لحفظ نظام العالم ، ولا يزالون مختلفين ، والوحدة التي ندب إليها القرآن الكريم ليست هي الوحدة في الآراء والمذاهب فذلك مستحيل بحسب طبيعة البشر ومعطّل لأكبر المواهب وأي موهبة أشرف من موهبة حريّة الآراء وعدم الحجر على العقول وإخماد جذوة الذكاء والفهم والحث والتنقيب ، إنّما المراد بالوحدة المندوب إليها في القرآن العزيز والّتي هي إحدى دعامتي الإسلام ـ الوحدة والتوحيد ـ هي الوحدة الأخلاقيّة ، الوحدة الإيمانية ، وحدة الآخاء والمودّة . وذلك بأن لا يكون إختلاف المذاهب والآراء سبباً للتباغض والتقاطع والجفاء والعداء بل يأخذوا بالمثل الأعلى والقدوة الحسنة من خيار الصحابة في صدر الإسلام ، فقد كانوا على كثرة ما بينهم من الإختلاف في القضايا الفرعية والمسائل العلميّة على أقصى ما يرام من الآخاء والصفاء ، ودفاع بعضهم عن بعض وحماية بعضهم لبعض كأنّ الإسلام جسد وهم أعضاء ذلك الجسد تجمعهم روح واحدة روح المبدء المقدّس وتضحية كلّ عزيز في سبيله ، أما من هو المسئول عن إدارة الشئون الأخلاقية في الأواسط الإسلامية فالجواب الصحيح عن ذلك : كلّكم راعٍ وكلّكم مسئول ، كلّ على حسب شأنه وبمقدار قابليّته وكل ذي شعور هو أعرف بنفسه وبقدر ما في وسعه ، والحقيقة أنّ الجميع مكلّف ، والكلّ مقصّر ، يتطلّب لنفسه العلل والمعاذير ، والحقائق لا تخفى والمعاذير لا تنفع ، يوم تبلى السرائر فما له من قوّة ولا ناصر ومن هذا الباب يتطرق الجواب عن السؤال الأخير ، ولا يمكن مدّ الباع وكشف القناع أكثر من هذا (فإنّ في الفم ماء) (وحفظت شيئاً وغابت عنك أشياء) (إنّ اللبيب من الإشارة يفهم) .

يقولون حدّثنا فأنت أمينها   وما أنا إن حدّثتهم بأمين

ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هـ

محمّد حسين آل كاشف الغطاء

جواب عن سؤال سبب ظهور المبطلين على المحقّين

ما يقول : شيخنا وملاذنا في سبب ظهور المبطلين على المحقّين ؟ وما سرّ غلبة روح الشريرين على الخيّرين ؟ مع علمك بأنّ الناموس الطبيعي ينادي بلسان فصيح : ﴿ ألا إن حزب الله هم الغالبون ﴾ ، فنرجو من حضرتكم أنّ تبيّنوه لنا بصورة فنيّة فلسفيّة تحليليّة .

الجواب :

لا شكّ أنّ مرادكم السؤال عن سبب الظهور في الدنيا وغلبتهم في هذه العاجلة ، وحينئذٍ فلا أجيبكم عن ذلك بما ربّما يجيب به الزاهدون المتقشّفون من أنّ سبب ذلك هو احتقار الدنيا عند الله جلّ شأنه ، وأنّه لـو كان من القـدر عند الله جناح بغوضة لما سقى الكافـر منها قـطرة من الماء كـلاّ لا أجيب بهذا الجواب الذي لعلّه لا يـوافق ذوق هذا العصـر وروح هذا النشأ الجديـد ، بل ربما لا يوافق ذوقي وذوق أمثالي من الروحانين المشذّبين الذين يرون أنّ الدنيا مهما زادت حقارتها وخسّتها ، وقصرت أو طالت مدّتها فهي مـزرعة الآخـرة ، وبها تحصل السعـادة والشقاوة ، وهي نعم دار المتقين وأنّ دين الإسم متكفّـل بالسعادتين ، وأنّ السعيـد حقيقة من فـاز بنعيم الدنيا والآخرة وأخـذ حظّاً من هذه وحظاً من هذه كما صـرّحت به جمهـرة من الأخبار وأشـارت إليه نبـذة من الآيات .

إنما الجواب الفلسفيّ التحليلي في سبب غلبـة المبطلين على المحقّين هو أنّ أهل الحقّ مقيّدون بقيود العقل والدين فـلا يتوصّلون إلى مقـاصدهم إلاّ على ضوء الفضيلة وفي مناهج الشرع والعقل .

(وقد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله فيـدعها رأي العين وينتهزها من لا حريجة لـه في الدين)[1] مثـلاً أن معاويـة لا يتأخـر

(١) من كلمات الإمام علي سلام الله عليه .

ولا يتوقف من إعطاء خراج مصر كلّه لعمرو بن العاص وكان خراجها يومئذٍ وإلى اليوم يعدّ بالملايين يعطيه لشخص فاسق ليعينه على أمر باطل وهو محاربة أمير المؤمنين (ع) في حين أنّ أمير المؤمنين (ع) لا يسمح لأخيه عقيل وهو سيّد شريف[1] ولا شكّ أن نعله أشرف من عمرو بن العاص ، لا يسمح له بزيادة دريهمات على راتبه الّذي هو درهمان في كلّ يوم مع كثرة عياله وأطفاله .

نعم سمح له بالحديدة المحماة ، والناس كما تعلم وكما قال سيد أهل الآباء وإمام الشهداء (ع) : الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم ألخ ، وسئل الخليل بن أحمد[2] لماذا مال الناس عن عليّ (ع) إلى غيره مع عظيم فضائله وشهرة مناقبه ؟ فقال : قهر نوره نورهم وغلب جمهوره جمهورهم والناس إلى أمثالهم أميل .

وهناك سرّ آخر لغلبة الأشرار والفجّار على خصوص الأنبياء الأوصياء : وهو ما بسط القول فيه بأحسن بيان نائب الحجّة الخاص الحسين بن روح رضوان الله عليه في جواب من سأله أنّ الحسين (ع) ولي الله ؟

قال : نعم ، فقال الشمر عدو الله ؟ قل نعم فقال : كيف يسلّط الله عدوّه على وليّه ؟ فأجابه بجواب طويل شاف ملخّصه ؛ أنّ الله لمّا أيّد أنبياءه

---

(١) عقيل ابن أبي طالب (ع) يكنى أبا يزيد كان عالماً بأنساب العرب فصيحاً لطيف الطبع حسن المحاورة .

والروايات في سفره إلى الشام في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٢ أنه بعد شهادة أمير المؤمنين (ع) وجزم به العلامة السيد علي خان المدني في كتاب : « الدرجات الرفيعة » المخطوط وهو الحق الذي لا محيص من القول به بعد التحقيق وقد حقق هذا الموضوع سيدنا الحجة السيد عبد الرازق المقرم النجفي في مصنفاته أنظر كتابه « العباس » ص ٣٥ ـ ٤٥ ط النجف .

(٢) الخليل بن أحمد العروضي من علماء الإمامية توفي سنة (١٧٠) هـ كان أفضل الناس في الأدب وقوله حجة فيه واخترع علم العروض قيل أنه دعا بمكة أن يرزق علماً لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه فلما رجع من حجه فتح له علم العروض رحمة الله عليه .

بـالمعجزات وخـوارق العادات فلو جعلهم في كـلّ أحوالهم غـالبين وقـاهـرين لاتخـذتهم الناس أربـاباً من دون الله ، ولكن جعلهم تـارة قاهـرين ، وأخـرى مقهـورين ، ومرّة غـالبين ومرّة مغلوبين ليعلم النـاس أنهم بشر أمثـالهم وعبـاد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، أنتهى .

أما قولـه تعالى : ﴿ إن حـزب الله هم الغالبـون ﴾[1] وأمثالـه نظيـرقولـه تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾[2] وأمثال : الحقّ يعلو ولا يعلى عليـه ، فقد ورد تفسيرهـا في بعض الأخبـار أنّ المـراد الغلبة بالحجة والبيان والدليل والبرهان لا أنّ المراد الغلبة بالملك والسلطان والسيف والسنـان ، ويمكن أن يكون المـراد الغلبة في الـدار الأخرى دار القـرار ومنزل الخلود والأبديّة ، فإنّ هذه الدنيا على سعة مدّتها وطول امتدادها ليست بالنسبة إلى وعاء الدهر والسرمـد وحقيبة أحقـاب الأزليّة والابـديّة إلّا كغمضـة عين أو كلمح بالبصر ، فما شأن الغلبة فيها مع المغلوبيّة هناك .

لا وأيم الله وكـلّا ، بل أنّ حـزب الله هم الغالبـون حتى في هذه الـدنيا مثلاً أنّ يزيـد وإبن زياد قتلوا الحسين (ع) وأصحـابه وغلبـوهم ولكنّ الغالب في الحقيقة والواقع هو المغلوب والقاتل هو المقتول ، فإنّ يزيـد قتل الحسين في جسده وفرّق بين بدنه ورأسه ، ولكنّ الحسين (ع) قتل يزيد في روحـه ، وفرق بين الشرف وإسمـه وقرن اللعنـة به ، فـأصبح الحسين (ع) وأهـل بيته وأصحـابه تمثـال الشرف ورمـز الكرامـة وعنوان الفخـر في الـدنيا فضـلاً عن الآخـرة ، وأصبح يـزيد وبنـوا أميّة مجسّمـة الخبث واللعنة والسفـالة والنـذالـة والسقوط والخسّة في الدنيا مع قطع النظر عن الدار الآخرة ، فبالله عليـك أيّها الفـطن اللبيب أيّ الرجلين هـو الغالب وأيّهمـا المغلوب ، فارجـع واتـل بحقّ وإذعان ويقين وإيمان : ألا أنّ حزب الله هم الغالبون ، ولا يسع المقـام لأكثر من هذا .

٦ جمادي الأولى ١٣٥٥ هـ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) سورة ٥ آية : ٥٩ .
(٢) سورة ٤ آية : ١٤٠ .

بعض التعليقات على الكتاب

صفحة ١٨ سطر ٩ .

كتب بخطه الشريف إجازة لي .

الإجازة التي كتبها شيخنا الإمام الفقيد (ره) بخطه الشريف لهذا العبد الحقير فصورتها كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز لأوليائه من رؤ ية بيّناته ورواية أحاديثه وآياته ما أجاز والصلاة والسلام على سيد أنبيائه محمّد وآله مجاز الحقيقة وحقيقة المجاز وبعد :

فقد جرت واستمرت سيرة السلف الصالح من علمائنا الأساطين على السماحة إجازة الرواية بعضا من بعض ليتّصل سند الحديث عندهم إلى الأئمّة المعصومين ومنابع الدين صلوات الله عليهم وكانوا رضوان الله عليهم لا يمنحون الإجازة إلّا لمن أحرزوا منه الأهليّة للإضطلاع بأعباء النيابة والنهوض بأثقال الأمانة والإمامة علماً وورعاً وشرفاً وعفافاً إلى سائر المزايا التي يتفاوت بها الرجال في معارج الكمال .

وقد كنت وجدت السيد الأجل الشريف حسباً ونسباً المتفوق علماً وورعاً

واجتهاداً ملاذ الأنام حجّة الإسلام السيد محمّد علي القاضي أيّده الله جامعاً وبارعاً في كل تلك الصفات لذلك أجزته أن يروي عني بكل الطرق التي صحّ لي روايتها عن أساتذتي العظام ومشايخي الأعلام كأكابر العلماء من أعمامي وأسرتي كعميّ العباسين عن المرجع الأعلى في عصره الشيخ مهدي حفيد الشيخ كاشف الغطاء صاحب المدرستين الشهيرتين في النجف وكربلاء عن عمّه الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة عن أخيه جدّنا موسى بن جعفر صاحب كشف الغطاء (ح) وعن أستاذي المحدث النوري صاحب المستدرك (ح) وعن الفقيه الحاج مرزا حسين المرزا خليل (ح) وعن الشيخ علي الحاقاني عن الشيخ الأعظم الشيخ مرتضى عن الفاضل النراقي عن السيّد الأعلى السيد مهدي بحر العلوم عن الوحيد البهبهاني عن أبيه محمّد أكمل عن جمال الدين الخونساري عن المجلسي صاحب البحار عن أبيه الملا محمّد تقي عن الشيخ البهائي عن أبيه حسين عبد الصمد عن الشهيد الثاني عن الميسى عن محمّد بن داود عن ضياء الدين علي عن أبيه الشهيد الأوّل عن فخر المحققين عن أبيه العلاّمة عن المحقق عن نجيب الدين بن نما عن محمّد بن إدريس عن الشيخ عربي بن مسافر عن الشيخ إلياس بن هشام الحائري عن الشيخ أبي علي عن أبيه الشيخ الطوسي عن المفيد عن الصدوق عن ثقة الإسلام الكليني عن عدّة من أصحابنا عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ أمّا إني إيّاك آمر وإيّاك أنهي وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب إلى آخر ما رواه في الكافي من الأحاديث الشريفة وما روى في غيره من كتب الحديث المشهورة فله أيّده الله أن يروي كل ذلك مسنداً إلى المعصومين سلام الله عليهم ولا أحتاج أن أوصيه بملازمة الورع والإحتياط في كل أفعاله وأقواله فإنّه أبرّ لله وأتقى وإنّما أرجوه أن لا ينساني من صالح دعواته المباركة كما لا أنساه والله يحفظه ويرعاه بدعاء المخلص :

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

وكتبه بيده الداثرة يوم ٢٨ صفر ١٣٧٠ محل خاتمه الشريف في مدرسته العلميّة بالنجف الأشرف .

المنطق والحكمة والكلام

صفحة ٢٧ ـ ٢٨

كان تدريس المعقول بأقسامه رائجاً معمولاً في جامعة النجف الأشرف حتى أواسط هذا المائة (١٤) وكانت جامعة النجف منذ تأسيسها لم تزل تزدهر بأنواع العلوم ، وتزدان بعلماء في شتى الفنون ، وكانت الحريّة التامة تسير في جانب العلماء في دراستهم العلوم من معقولها ومنقولها ، وتفسيرها وأدبها ، وكان حبّ التوسع في اقتنائها ، وتحصيلها ، ودرسها ، وتدريسها ، سائداً على تلك الجامعة ، واجتمع فيها جمع من أكابر الحكماء ؛ والمتكلمين ، والعرفاء المتشرعين ، المربين للنفوس بالحكمة العملية . والدراسة العلمية ، والمهذبين لأخلاق الجامعة بتخلقهم بأخلاق الله ، وبخشيتهم في جنب الله ، وبتحليهم بالفضائل الإنسانية مع مراعاتهم الطريقة المثلى ، والشرعة الوسطى في بحوثهم ، ودروسهم مع التجنب عن الجمود ، ونبذ الخمود .

وكان من أساتذة المعقول سطحاً وخارجاً في هذه العصور الأخيرة الحكيم المتأله الشهيد الأصطهباناتي ، والمرجع الأعلى المتبحر في أنواع العلوم الشيخ فتح الله الشهير بشيخ الشريعة الأصفهاني ،والشيخ أحمد الشيرازي والمولى علي محمّد النجف ابادي ـ صاحب المكتبة الكبيرة التي أوصى بان توقف من بعده على الحسينية الشوشترية الكائنة في النجف في عقد السلام ، فاوقفوها عليها وهي عامرة إلى يومنا هذا ـ والسيد حسين البادكوبي ، والشيخ محمد حسين الاصفهاني (كمباني) واستاذنا الحكيم المتألة الشيخ عبد الحسين الرشتى ، وابن عمنا المجتهد المرجع الكبير السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي ، واستاذنا المتبحر السيد ميرزا حسن البجنوردي والشيخ صدري البادكوبى ، وفي الحكمة العملية السيد علي التستري استاذ

الشيخ الانصاري في الاخلاق والمولى فتح علي السلطان ابادي ، والمولى اسماعيل القره باغي ؛ والسيد مرتضى الكشميري ، والمولى حسين قلى الهمداني والشيخ محمد البهاري ـ الهمداني ، والسيد أحمد الكربلائي ، والشيخ اقا رضا التبريزي ، والسيد المجاهد السيد محمد سعيد الحبّوبي ، وابن عمنا الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي النجفي ـ رحمهم الله ـ وغيرهم ممّن يعسر عليّ عدّهم وإنّما ذكرنا منهم من حضر حالاً إسمه .

ولكن ـ مع الأسف الشديد ـ في أواسط هذه المائة صار تدريس المعقول مهجوراً ودرس الكلام ممنوعاً وتهذيب الأخلاق متروكاً ، ولا أدري ما الباعث على ذلك ؟

مع كثرة احتياج الناس إليها في هذا الزمان التعيس ، زمان الكفر والإلحاد المنحوس ، زمان هجوم المباديء الهدامة من خارج الحدود ، زمان الذي صار التقليد عن الشرق والغرب تمدّناً ، ويقال لمن نبذ الأحكام الشرعية المقدسة وراء ظهره متنوراً وتقدمياً ، ومن تمسك بها رجعياً ومستثمراً فبالله وهذه الأخلاق الفاسدة والمروق عن الدين ورجوع الناس إلى الجاهلية ربنا عجل في ظهور وليك المصلح الأكبر المنتظر فإن هذه الأيام هي الأيام التي أشار إليها نبينا الأكرم بأن الدين سيعود غريباً كما بدء غريباً .

قاعدة اللطف

صفحة ٣٢ سطر ١٠ .

هذه القاعدة من القواعد المشهورة في الكتب الكلامية تمسك بها الإمامية والمعتزلة في أمور من المباحث الكلامية واستدلوا بها في تشييد بعض عقائدهم الدينيّة ولكن كثرت البحوث العلميّة بين علماء الإماميّة في صحة هذه القاعدة وعدمها وأنها هل هي تامة أم لا ؟ .

فمن قائل إنها صحيحة تامة ومن ذاهب إلى أنها غير صحيحة ولكن من ينعم النظر في هذه البحوث وأجال التفكير في أبوابها يرى أن تلك القاعدة من

حيث الكبرى تامة صحيحة وإنّما الإشكال في إحراز صغرها وكل الإشكالات ترجع إلى صغرى هذه القاعدة .

وقصارى القول أن أصل القاعدة لا ينبغي إنكارها إذ بعد ثبوت تعلق الغرض بشيء على وجه الإطلاق وملاحظة كون بعض الأشياء مقرباً إلى امتثاله تعالى ومبعداً عن مخالفته ووجود المقتضى لذلك الشيء وعدم المانع عنه بالنسبة إلى القابل والفاعل وغيرهما وكونه بحيث لو فات يفوت الغرض فالعقل يحكم حينذاك بالضرورة بوجوب الأتيان بذلك الشيء على الأمر الذي تعلق غرضه بذاك ألا أن يتعلق غرضه بالوجود على وجه خاص أعني بالوجود من غير اقتران بذلك المقرب وإلا كان ناقضاً لغرضه والإخلال به مخالف للحكمة .

وما قيل : أنّ العقل لا يستقل بوجوب حفظ الغرض على الله تعالى الذي هو مدرك القاعدة : فيؤخذ عليه أن نقض الغرض مما لا يقدم عليه الحيوانات فكيف بالإنسان وكيف بالصانع الحكيم سبحانه .

فيا هل ترى الطيور تهدم أوكارها والبهائم العجم تألف مضاربها ؟ نعم ينبغي الإشادة بأن العقول المتعارفة للبشر بما أنها لا إحاطة لها بجميع مصالح الأشياء ومفاسدها غالباً وعدم معرفة تلك العقول بمقتضيات الأشياء وموانعها مما يتعلق بنظام ذلك الأمر سواءاً أكان شخصياً أم نوعياً أم بالنظر إلى النظام الكلي فلذلك يتعسّر على البشر إحراز صغرى قاعدة اللطف .

غير خاف على الباحث الخبير أن صحة القاعدة العقلية غير صحة التمسك بها في بعض الموارد فكم من قواعد مسلمة صحيحة لا يصح الإستدلال بها في بعض الموارد الجزئية للشك في كونها من صغرياتها أو للعلم بعدم شمولها لها .

مثّل بعض الأعاظم بما ذكرنا بقوله : قولنا سؤر المؤمن الكامل شفاء بعد ثبوت هذا المعنى بطريق صحيح لا ينافي صحته عدم إمكان الإحتجاج به

في شيء من أفراد السؤر في هذا العصر التعيس لعدم العلم بأنه مؤمن كامل وكذا قول الطبيب الحاذق إستعمال الروادع نافع أو شرب القوابض مضر لا ينافي صحته عدم الجزم بمعرفة شيء من الروادع والقوابض والحال في قاعدة اللطف أيضاً كذلك .

قال بعض أكابر الإماميّة قدس الله أسرارهم : إن مراد القائل باللطف ووجوبه هل هو وجوبه عليه مطلقاً ؟ من غير اشتراط بوجود المقتضى من جانب القابل أو عدم الموانع الّتي من جهة القابل أو عدم الموانع الخارجية عنه أو يشترط ذلك ؟ .

فإن أرادوا الأول فهو بديهي الفساد ضرورة اشتراط تحقق كل شيء بوجود المقتضى ورفع المانع ولأنه أي دليل دل على وجوب مثل ذلك عليه سبحانه بل مع عدم المقتضى أو وجود المانع لا يكون ذلك لطفاً مع أن هذا ممّا تكذبه المشاهدة والعيان فإن من الأمور ما يدعون القطع بكونه أو مثله لطفاً ومع ذلك لم يقع ولم يتحقق في الخارج ويسندون عدمه إلى المانع ولذا قال المحقق الطوسي قدس سره في التجريد « وجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا » .

وإن أرادوا الثاني أي يجب اللطف عليه بشرط وجود المقتضى في كل فعل وانتفاء الموانع الداخلية والخارجية فلا يفيد لنا هذه القاعدة أصلاً لأن الحكم بمقتضاها والإستناد إليها في كل مورد يراد موقوف على علمنا بالمقتضيات وانتفاء جميع الموانع وهو موقوف على إحاطتنا التامة بذوات الأشياء والأفعال وحقائقها وجميع الأمور الداخلية والخارجية الحسية والمعنوية مع أنا نرى من المقتضيات والموانع ما لا يمكن دركه لنا فأنا نرى أنهم يقولون : أن التكليف لطف ويثبتونه للذكر بتمام خمسة عشر عاماً من سنّه دون خمسة عشر إلا نصف يوم أو ساعة فما الذي يدرك أنه مقتضى لذلك اللطف في تمام خمسة عشر ولا يقتضيه في نصف يوم قبله ؟

وما المانع منه في الثاني دون الأول ؟ وما المقتضى لهذا اللطف في الإثني في تسع سنين دون الذكر ، وما المانع منه في الثاني دون الأوّل ؟ .

وفصل بعض المتبحرين من الإمامية في هذه العصور الأخيرة وفرق بين ما وقع وما لم يقع وذكر أن من الأمور التي يتراءى كونها ألطافاً ما لم يقع في الخارج كالتوسعة على الفقراء والمحتاجين وإنالتهم مايتمنون وإستجابة كثير من الدعوات وابتلاء العاصي دائماً بالآلام والمصائب وتنعم كل مطيع وعصمة جميع الناس عن القبايح وإلجاء الكل إلى الإيمان ظاهراً وباطناً وأشباه ذلك ولم نعلم أن عدم وقوعها لفقد المقتضيات أو وجود الموانع بالنسبة إلى الأشخاص أو النوع أو النظام الكلي .

ومن الأمور ما وقع ولم نعلم وجه المصلحة في وقوعه كإيلام الأطفال والمجانين والبهائم .

ومنها ما وقع وعلمنا بالعقل أو السمع أو كليهما وجوه المصالح فيه وانتفاء المفاسد عنه كبعث الأنبياء بالشرائع والأديان والأنبياء الذين ليس لهم شرع وكتاب ويدعون إلى شرع من قبلهم ونصب الأوصياء لهم بتعيين وأمر من الله سبحانه وعرفنا بضرورة العقل جملة من وجوه المصالح في وجودهم ونصبهم وتأييدهم بالمعجزات والبراهين وقد أعلمنا الله تعالى أنه ينقطع بهم حجة الناس فلا يمكنهم أن يقولوا : لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي ، كما عرفنا انتفاء جميع وجوه المفاسد عنها بعد استمرار وجوده في ألوف من السنين ففي مثل هذا الأمر ربما يجزم العقل بأن وجود مثل هذا الشخص في كل عصر سواء سمي نبياً أو وصياً أو إماماً كان ذا شرع جديد أم لا هو من اللطف الواجد للمقتضى الفاقد للموانع الشخصيّة والنوعية .

وأصل القاعدة أعني وجوب ما يقرب إلى الغرض المقصود بعد إحراز وجود المصالح والمقتضيات فيه وانتفاء جميع الموانع عنه وبعد إحراز أن الغرض لم يتعلق بخصوص صورة فقد مثل هذا الشيء من بديهيات العقل المستقيم وإنما التأمل والإشكال في إحراز الصغرى وبعد إحرازها لا يبقى إشكال أصلاً .

فمن هنا صح للأُمامية دعوى كون وجود الإمام بالمعنى الذي يدعونه

لطفاً وأنه واجب بمعنى أن الإخلال به مخالف للحكمة ، بل ربما يجزم العقل ويحدس حدساً :

ضرورياً بملاحظة ما دون ذلك كما قال رئيس فلاسفة الإسلام إبن سينا (ره) في الشفاء في مقام إثبات وجوب بعثة الأنبياء عقلاً بعد أن شرح كون الإنسان مدنياً وأن قوام تحصلهم وبقائهم بمن يسن لهم سنة عدل لا يتعدون عنها ما هذا لفظه :

(إن الحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إثبات الشعر على الأشفار وتقصير الأخمص من القدمين وأشياء أخر من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء بل أكثر ما لها أنها تنفع في البقاء ووجود الإنسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكن فلا يجوز أن تكون الغاية الأولى تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه المنافع التي هي أسها) .

وربما تمسك بعض من أنكر قاعدة اللطف بفقرات الخطبة الشهيرة بـ (القاصعة) للإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه غافلاً عن الفرق بين ما وقع وجرت سنة الله تعالى عليه في إعصار طويلة وما لم يقع ولم تجر عليه أصلاً وعن كون ما نبّه (ع) به من الموانع عن اللطف المتخيّل لا إنكار اللطف المعلوم عدم وجود مفسدة فيه .

وممّا هو جدير بالذكر أن للإماميّة في مسألة الإمامة أدلة متظافرة وطرق كثيرة في إثبات معتقداتهم الإسلامية ولا احتياج لهم بقاعدة اللطف في إثبات هذا المطلب وهم يثبتون ذلك ولو لم يكن عن قاعدة اللطف عين ولا أثر في الدنيا أصلاً وأساساً .

ومذهبهم هو المستفاد من الكتاب والسنة

هامش صفحة ٨٦ سطر ٤ .

إتفقت الشيعة الإمامية على أن رسول اللّه (ص) قبل البعثة في مدة أربعين سنة سواء عند اشتغاله للعبادة في غار حراء أم في غيره كان متعبداً

بشريعة نفسه دون شريعة من تقدمه من الأنبياء ومن ينعم النظر إلى الكتاب والسنّة ويعطي التدبر حقه فيهما يظهر له أن الحق هو ما ذهب إليه الإمامية ولا بد لنا قبل بيان ذلك من تقديم مقدمة فنقول :

إن المشهور بين علماء الإسلام بل المتفق عليه في الجملة أن الأدلة أربعة « الكتاب ، والسنّة ، والإجماع ، والعقل » ، وإن زاد أهل السنّة عليها القياس وذهب بعض الأخباريين من أصحابنا إلى نفي بعضها ولكن لا شك أن الكتاب والسنّة من الأدّلة التي يرجع إليها ويؤخذ منهما وحجيّة السنّة في الجملة من المقطوع بها .

والسنّة هو ما يضاف إلى النبيّ (ص) أو مطلق المعصوم (ع) وتدل على حجيّتها مضافاً إلى الإجماع والضرورة ، بعض الأيات الشريفة من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم ﴾ ، ولا شك بنص هذه الآية أن الله تعالى أمرنا بالإنقياد لرسوله وأوجب علينا الإطاعة لنبيه في كل ما يأمرنا به من أمور الدين والدنيا من الأصول والفروع ، فالعمل بالسنّة عمل بكتاب الله تعالى فإن الله أمر في كتابه بإطاعة رسوله هذا مع قطع النظر عن أمره بإطاعة أولو الأمر والتحقيق في المراد منهم . وقال تعالى :﴿ ما آتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وما ينطبق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ أي لا تخونوا الله بترك أوامره والرسول بترك سنّته وشرائعه .

فالسنّة من الأدلة الأربعة حجّة قطعيّة في الجمْلة والعمل بها عمل بالكتاب ونحن معاشر الشيعة في عملنا على أحاديث أهل البيت (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً نعمل بالسنّة النبوية واحاديث رسول الله (ص) فإن أئمّة أهل البيت (ع) لا يقولون من عند أنفسهم شيئاً وكل ما قالوه فقد أخذوه عن جدهم رسول الله (ص) ونقلوه عنه فكل أحاديثنا مأخوذة عن رسول الله (ص) ونحن نعمل بما يضفيه أهل بيته المعصومون إليه فنحن معاشر الإماميّة نعمل بالسنّة النبويّة أكثر من سائر الفرق فإنا لا نعمل في أمور ديننا من الأصول

والفـروع سوى مـا أضيف إلى أئمّة أهـل البيت (ع) لعصمتهم ولا نعمل بمـا أضيف إلى غيـرهم لعدم العصمـة في غيرهم ، قـال شيخنـا البهـائي (ره) : جميع أحاديثنـا إلاّ ما نـدر تنتهي إلى أئمتنا الإثني عشـر وهم ينتهون إلى النبيّ (ص) لأنّ علومهم مقتبسة من تلك المشكاة .

فالقارىء الفطن يعرف ممّا ذكرنا مغزى معنى قول رسول الله (ص) في الحـديث المتـواتـر بين السنّـة والشيعـة : إنّـي تـارك فيكم الثقلين كتـاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض .

فإن العمل بـالسنّة المـأثورة عن العتـرة الطاهـرة وأقوالهم في كـل عصر وزمان عمل بالسنّة النبويّة كما عرفت والعمل عليها عمـل بكتاب الله عـزّ وجلّ ولذا نفى رسول الله (ص) افتراقهما بما يدل على التأييد وقال : « لن يفترقا » فمن يدعي قديماً أو حديثاً أن الثقلين يفترقان وقال : كفانا كتاب الله ولا حاجة لنا إلى العترة والسنّة المأثورة عنهم ونعلم كل ما يتعلق بأمور الدين والـدنيا من كتاب الله كما يفهم ذلك من كان من أهل اللسان العربي بالرجوع إليـه ورفض العتـرة فهو نـابذ كتـاب الله على ورائه ظهـرياً وعـامل ببعض الكتـاب وجاحـد ببعضه الآخر ﴿ أفتؤمنـون ببعض الكتاب وتكفـرون ببعض فما جـزآء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشد العـذاب وما الله بغافل عمّا تعملون ﴾[1] .

فـالكتاب والسنّـة توأمـان لا يفترقـان أبداً فـلا بد لنـا في كل أمـورنا من الرجوع إليهما ولا سيما في تفسير بعض الآيات القـرآنيّة التي تحتمـل المعاني المتعددة ولا يمكن الجزم بواحد من تلك المعـاني إذ لا شاهـد لواحـد منها أو يوجد شاهد لعدة معاني منها ولكن لا ترجيح لحمل واحد منها على الآخـر فلا بد في مقام الترجيح من الرجوع إلى بيان النبيّ (ص) وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم[2] ﴾ . فاستفادة الترجيح لا بـد أن يكون

(١) سورة ٢ آية : ٨٠ .
(٢) سورة ١٦ آية : ٤٤ .

من السنّة . إذا تمهدت هـذه المقدّمـة فنقول : إنّ لفظ « الـروح » الواقـع في مواضع متعددة من القرآن الكريم يحتمل المعاني المتعددة :

حياة النفوس . الرحمة . النبـوّة . وعيسى روح الله ـ على الخلاف في وجـه هذه التسميـة ـ . وجبرئيـل . والنفخ كمـا يقال أحييت النـار بروحي أي بنفخي . والـوحي . والـروح ملك من أعـظم خلق الله . وروح الإنسـان . والنفس - فـإذا نام العبـد خرجت نفسـه وبقي روحه وإذا مـات خرجت نفسـه وروحه معاً على ما ذكر هذه الأقسام في مجمـع البيان[1] وأردنـا في نقل هـذه المعاني الإقتفاء على أثره ففي بعض الأيات الشـريفة من القـرآن الكريم جـاء لفظ « الـروح » ويـذهب الـذهن إلى بعض تلك المعـاني ولا يمكن بحكم الـوجدان تعيين واحـد منها وتـرجيحه على آخـر فلا محيص من الـرجـوع إلى السنّة النبويّة في تعيين واحد منها .

ففي قوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمـرنا مـا كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان[2] ﴾ .

يحتمـل أن يكون المـراد من الروح هـو جبرئيـل . أو الـوحي . أو روح القدس ـ وهل المراد من روح القدس هو جبرئيل أو هو غيـره ؟ ـ أو القرآن . فمن ادعى واحداً منها لا بد له من دليل على الترجيـح وإلّا لا يعبأ بقـوله كمن يدعي أن المراد من الروح في هذه الآية الشريفة هو « جبرئيل » فإنه لا شـاهد له لهذا الترجيح وإدعاء الشاهد من آيات آخر معارض بالشاهـد على معنى آخر من آيات غيرها فلا يمكن الركون لهذا القول . فإذا رجعنـا إلى السنّة المأثـورة يظهر لنا الترجيح في تفسير الروح وينكشف لنا الحقيقة الراهنة في تفسير هـذه الآية الشريفة فالذي يستفاد من الكتاب والسنّة في تفسير هذه الآية الشريفة فهو كما يلي ؛ وعلى التفصيل الآتي :

---

(١) أنظر ج ٣ ص ٣٤٨ ط صيدا .
(٢) سورة ٤٢ آية : ٥٢ .

قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك) أي ومثل ما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا إليك (روحاً من أمرنا) أي روح القدس وهو غير جبرئيل وأنزل الله ذلك الروح على رسول الله (ص) وكان فيه وهو في الأئمّة (ع) أيضاً يعني كما أوحينا إلى سائر رسلنا بالوجوه الثلاثة التي ذكرها الله تعالى في الآية السابقة قبل هذه الآية الشريفة فبتلك الوجوه أو بواحد منها أوحينا إليك روح القدس وألقينا فيك كما قال تعالى : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده[2] ﴾ ويستفاد من الآيات الشريفة أن إلقاء روح القدس أمر مشترك بين الرسل والأنبياء وغير مختص ببعضهم دون بعض نعم يمكن أن تكون الخصوصية من جهات أخر غير كون أصل إلقاء روح القدس إليهم أمراً مشتركاً بينهم ولذا قال القمي (ره) : « روح القدس خاصّ برسول الله (ص) والأئمّة (ع) » .

(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) أي ما كنت تدري قبل وحي روح القدس إليك وإلقائه عليك ما الكتاب ولا الإيمان فمنذ وحي ذلك الروح إليه وإلقاء الله تعالى له عليه صار عالماً بالكتاب والإيمان فدلت الآية الشريفة على أن النبيّ (ص) من حين إلقاء الله تعالى عليه روح القدس كان عالماً بالكتاب ومتى ألقى روح القدس إلى النبيّ (ص) ؟ ألقي من حين إلقاء سائر الأرواح ، من حين إلقاء الروح الإنساني والنفس الناطقة الإنسانية أو من حين ما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) في خطبته الشريفة بقوله : ولقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فطيعاً أعظم ملك من ملأئكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره .

ويستفاد من الآية الشريفة الواردة في حق المسيح (ع) إن روح القدس ألقى إليه منذ أن قدم إلى الدنيا وأنّه (ع) كان نبيّاً في المهد كما يأتي شرح

---

(١) سورة ٤٠ آية : ١٥ .
(٢) سورة ١٦ آية : ٢ .

ذلك ورسول الله (ص) أفضل مّن المسيح (ع) وغيره بالضرورة من الدين فالنبيّ (ص) كان نبيّاً من أوّل الأمر منذ أن قدم إلى الدّنيا وألقى إليه روح القدس كما ألقى إلى المسيح (ع) .

وأمّا تفسير الروح في قوله ، « روحاً من أمرنا » بالقرآن وترجيحه على سائر التفاسير كما فعله المفسّر المراغي في تفسيره - ج ٢٥ ص ٦٥ - فهو ترجيح بلا مرجح لا شاهد له يعتمد عليه من الأدلة الأربعة . قال إمام المفسّرين الشيخ الطبرسي (ره) : « روحاً من أمرنا » يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لأنّه يهتدي به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما ، وقيل هو روح القدس عن السدي ، وقيل هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله (ص) عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) قالا ولم يصعد إلى السماء وأنّه لفينا (أهـ) .

يظهر من كلامه أن تفسير الروح بالقرآن منقول عن قتادة وأمثاله ومن الواضح أنه لا يعبأ بأقواله وأقوال أمثاله وأمّا قول السدي أنّه روح القدس يوافقه أحاديث أهل البيت (ع) فيرجح لكونه موافقاً لأقوال أهل العصمة (ع) ولعله مأخوذ منهم وأما ما يظهر من كلام شيخنا الطبرسي (ره) أن ما روى عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام من أن الروح هو ملك أعظم من جبرائيل ألخ وأن هذا القول مغاير لقول السدي فلا وجه له فإنهم عليهم السلام أطلقوا بعضاً على روح القدس إسم الملك وبيّنوا أيضاً من باب أفهام المخاطبين أن روح القدس غير جبرائيل وأن جبرائيل من الملائكة كما يأتي في أحاديث أهل البيت(ع) التصريح بذلك . وقولهما عليهما السلام : « أنه لم يصعد إلى السماء وأنّه لفينا » شاهد على أن المراد من الملك هو روح القدس .

وأمّا تفسير « الروح » في قوله تعالى : ﴿ روحاً من أمرنا ﴾ بالكتاب كما عن الكلبي أو بالرحمة كما عن الحسن فآراء مختلفة منقولة عن السلف لا يمكن الركون والإذعان بها وترجيح واحد منها لعدم المرجّح وعن إبن عباس « روحاً » يعني نبوّة ولعله تفسير بأحد لوازم إلقاء روح القدس ومن ألقى الله

تعالى إليه روح القدس فهو نبيّ فإنّ هذا الروح لا يلقى إلّا عليه وعلى من هو بمنزلة نفس النبيّ (ص) ، وعن الربيع أن المراد من الروح هو جبرائيل يعني أوحينا إليك جبرائيل من أمرنا وهذا القول مضافاً إلى أنّه لا شاهد لرجحانه باطل من أصله والتفوه به غلط من أساسه لا يصدر عمّن له حظ من العلم ولو بنزر يسير . فإنّ اللّه تعالى قال : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليم حكيم[1] ﴾ .

(إلّا وحيا) أي إلّا أن يوحي إليه وحيا أي يكون بالكلام الخفي الذي يدرك بسرعة وهو الّذي يقع في قلب النبيّ بلا ملك يقذف في روعه (أو من وراء حجاب) أي أو إلّا من طريق يسمع النبيّ غير مشاهدة أحد مع سماعه الكلام جهرة كما كلّم الله مع النبيّ (ص) وكما كلّم مع موسى (ص) (أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه) أي ويرسل الله رسولاً مثل جبرائيل فيوحي ذلك الرسول إلى النبي (ص) ما يشاء ربّه ان يوحيه إليه كما كان ينزل جبرائيل على رسول الله (ص) وعلى غيره من الانبياء .

ثم بيّن سبحانه أنّه وبمثل ما أوحينا إلى سائر الأنبياء بالطرق الثلاثة أوحينا إليك روحاً من أمرنا فعلى تفسير الروح بجبرئيل يكون المعنى أوحينا إليك بواسطة جبرئيل - جبرئيل . فإن من وجوه الوحي وطرقه هو الوحي بواسطة جبرئيل : فهل يتفوه بهذا التفسير وهذا الكلام المضحك سليم العقل ؟ وهل يسيغ وجدان عاقل مثقف أن يفسر كلام الله تعالى بما لا يرجع إلى محصل ؟ .

وحقاً أنه لا يتفوه بهذا التفسير إلّا من كان من الجهّال . ولا يصحّ أن يقال أنه لما كان من أحد وجوه الوحي هو الوحي إلى النبيّ (ص) بلا واسطة أحد يقذف في قلبه فعلى هذا يمكن أن يكون أوحى الله تعالى جبرائيل إلى النبيّ (ص) بلا واسطة أحد وألقاه على قلبه الشريف فإنّه يقال بهذا المتوهم الجاهل : فهل جبرائيل وهو من أعظم مخلوقات اللّه تعالى ممّا يصح أن يوحي

(١) سورة ٤٢ آية : ٥١ .

إلى النبيّ (ص) ويلقي إلى قلبه الشريف ويقذف فيه ؟ .

وهل لهذا الكلام معنى محصّل ؟ أو أنّه مثل الكلام السابق في الشناعة والقباحة .

فإن جبرائيل هو واسطة الوحي وبه أرسل اللّه الوحي إلى رسوله (ص) وما يوحي إليه بواسطة جبرائيل غير نفس جبرائيل وأيّ معنى لإلقاء نفس جبرائيل ووجوده على قلب النبيّ (ص) وقذفه فيه ؟ قال سبحانه : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك[1] ﴾ وقال : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه[2] ﴾ فالقرآن نزل بواسطة جبرائيل على رسول اللّه (ص) لا الجبرائيل نفسه .

فالمراد من الروح على التفسير الصحيح هو روح القدس ويدل عليه ويثبت ترجيحه الأحاديث المأثور والسنة المروية عن العترة الطاهرة . فاستمع أيّها القاريء الكريم لما يتلى عليك من السنّة المأثورة :

في الكافي عن أبي بصير قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا : . . . قال خلق من خلق اللّه أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول اللّه (ص) يخبره ويسدده وهو مع الأئمّة من بعده .

عن أسباط بن سالم قال سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول اللّه عزّ وجلّ وكذلك أوحينا . . . فقال : منذ أنزل اللّه ذلك الروح على محمّد (ص) ما صعد السماء وأنّه لفينا .

عن زرارة عن أبي جعفر (ع) في قول اللّه عزّ وجلّ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . . . . قال لقد أنزل اللّه عزّ وجلّ ذلك الروح على نبيّه وما صعد إلى السماء منذ أنزل وإنّه لفينا .

وعن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة قال سألت أبا عبد اللّه(ع) عن

---

(١) سورة ٢٦ آية : ١٩٣ = ١٩٤ .
(٢) سورة ٢ آية :٩٧ .

العلم هو شيء يتعلّمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤ نه فتعلمون منه ؟ قال الأمر أعظم من ذلك وأوجب أما سمعت قول اللّه عزّ وجلّ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . . . ثم قال أيّ شيء يقول أصحابك في هذه الآية أيقرون أنّه كان في حال ما يدري ما الكتاب ولا الإيمان ؟ فقلت لا أدري جعلت فداك ما يقولون فقال : بلى وقد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله عزّ وجلّ الروح التي ذكر في الكتاب فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها اللّه عزّ وجلّ من شاء فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم[1] .

يستفاد من الحديث الشريف أنه منذ أن أعطى اللّه تعالى روح القدس إلى النبيّ (ص) علم بسببه الكتاب .

عن سعد الأسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين (ع) يسأله عن الروح أليس هو جبرائيل ؟ فقال له أمير المؤمنين (ع) جبرائيل من الملائكة والروح غير جبرائيل فكرر ذلك على الرجل فقال له لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرائيل فقال له أمير المؤمنين (ع) أنّك ضال تروي عن أهل الضلال يقول اللّه عزّ وجلّ لنبيّه ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ينزل الملائكة بالروح ﴾[2] والروح غير الملائكة .

عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فقال جبرائيل الذي أنزل على الأنبياء والروح يكون معهم ومع الأوصياء لا يفارقهم يفقههم ويسددهم من عند اللّه ألخ .

وغيرها من الأخبار الكثيرة الدالة على أن الروح غير جبرائيل وأن المراد من الروح في قوله تعالى : ﴿ روحاً من أمرنا ﴾ وكذا في غيرها من الآيات

---

(١) أنظر الروايات في تفسير البرهان للسيد البحراني (ره) ج ٤ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٢) سورة ١٦ آية : ١ ـ ٢ .

الشريفة هو ﴿ روح القدس ﴾ ويستفاد أيضاً من الأحاديث الكثيرة المأثورة عن أهل البيت (ع) أنه الروح الخامس الّذي يكون في الأنبياء عليهم السلام .

روى الكليني (ره) في الكافي [١] بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال سألته عن علم العالم فقال لي يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان، وروح الحياة ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ثم قال يا جابر إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب .

وفي الحديث الطويل عن أمير المؤمنين سلام الله عليه[٢] : جعل الله فيهم خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن . فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الأشياء وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوة جاهدوا عدوّهم وعالجوا معاشهم ، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء ، وبروح البدن دبوا ودرجوا ، ثم قال (ع) في حق المؤمنين : جعل الله فيهم أربعة أرواح ؛ روح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، وقال في حق الكفار من اليهود والنصارى : « وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح : روح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن » . إلى غيرها من الأخبار الّتي تجدها في الجوامع الحديثية ، وهي صريحة أن في الأنبياء روحاً ليس في غيرهم وهو روح القدس .

ثم ينبغي للقاريء الكريم لفت النظر إلى الآيات التي يستفاد منها أن عيسى (ع) كان نبيّاً في المهد لأنّ الله تعالى ألقى إليه روح القدس وتكلم في المهد وتكلمه في المهد كان مسبّباً عن روح القدس وهو السبب لتكلمه فمن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني

---

(١) ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) أنظر تفسير الصافي ص ٢٦٥ ط الحجري تبريز سنة (١٢٦٩) هـ ق .

نبياً ﴾[1] ظاهر هذه الآية الشريفة أنّ الله تعالى أعطى النبوّة لعيسى (ع) وهو في المهد وآتاه الكتاب في ذلك الحين فإن صيغة الماضي ينبغي استعمالها في معناها الحقيقي وحملها عليه هو الأخبار عن وقوع فعل دل على ما قبل الزمان الذي أنت فيه وضعاً عن وقوع أمر تحقيق قبل زمان التكلم كما أن لفظ « الماضي » معناه اللغوي هو الزمان الذي انصرم .

وما دام يمكن استعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية لا داعي لنا ولا يجوز علينا العدول عنها واستعمالها في المعاني المجازيّة فإن الأصل في الإستعمال هو الحقيقة بعد أن علمنا المعنى الحقيقي والمجازي فلا ينبغي العدول عن ظاهر والقرآن ما لم يدل على خلافة دليل وبرهان يصرفنا عن الظاهر من العقل أو النقل .

فاستعمال صيغة الماضي في المستقبل وجعل قوله : « آتاني الكتاب » الّذي هو أخبار عن وقوع أمر تحقق في الزمان الذي قبل المخاطبين وتأويل الظاهر بـ « أي سينزل علي الإنجيل » وقوله « وجعلني نبيّاً » أي و« سيجعلني نبيّاً » باعتبار الأمر المحقق الوقوع في الزمان الآتي فهو وإن كان صحيحاً ولكنه معنى مجازي لا يصار إليه بدون داع وسبب ومن دون قرينة في الكلام تصرف الذهن من المعنى الحقيقي إلى المجازي فلا يمكن لنا رفع اليد من ظاهر الآية الشريفة بمجرّد انّ ارادة المعنى المجازي صحيح في مرتبة الثبوت من غير ان يتحقق ذلك ويثبت في مرحلة الاثبات لعدم دليل يدل على خلاف الظاهر .

ومن المعلوم أن في قدرة الله تعالى أنّ يجعل أنبيائه في حال صغرهم بل في بطن أمهم أنبياء وأن يعطيهم العلم والعقل والفهم والنبوة وأن يكمل عقولهم كما صرح القرآن الكريم بذلك في حق يحي بن زكريا وقال تعالى : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً ﴾[2] أي وأعطيناه النبوّة والحكمة والفقه في الدين والكمالات في المعارف الإلهية وهو صغير والأمر له

---

(١) سورة ١٩ آية : ٣٠ .

(٢) سورة ١٩ آية : ١٢ .

على أخذ الكتاب شاهد على نبوّته فهل أعطاه الله تعالى هذه كلها ولم يكن له علم وعقل وفهم ؟ وأيّ برهان عقلي يمنع عن مفاد ظاهر الآية في حق عيسى (ع) مع عموم قدرة الله تعالى ؟ وليس المورد من الموارد التي لا يتعلق عليها القدرة كمورد المحال الذاتي . فهل فرق في تعلق القدرة بين كون يحيى في حال صغره وبين كون عيسى في المهد بل في بطن أمّه حتى تتعلق بالأوّل دون الثاني ؟ حاشا وكلّا لا فرق في عموم القدرة وهو على كل شيء قدير .

فإذا ثبت نبوّة عيسى (ع) في المهد يلزم ثبوتها في حق خاتم الأنبياء (ص) قطعاً لكونه أفضل من جميع الأنبياء بالضرورة من الدين فإنّه إن لم يكن نبيّاً في المهد لا يكون أفضل من المسيح (ع) لقبح ترجيح المرجوح لذا قال (ص) على ما رواه الفريقان : « كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين » وليس هذا الكلام تدخلاً في مشيئة الله وحكمته كما توهّمه بعض جهّال العامة بل كشف لمسألة من مسائل النبوة من ظاهر القرآن والدليل الآخر وهو الإجماع بمعنى ضرورة الدين فهل الإستدلال بالكتاب وبضرورة الدين والمذهب تدخل في مشيئة الله وحكمته ؟ فهل يتفوه بذلك من له حظ من العلم والعقل ؟ ومن المضحك خلط بعضهم بين كون عيسى نبياً في المهد يعني حائزاً لمقام النبوة وأوصافها والكمالات التي لا يكون جامعاً لها إلّا النبي وبين كونه رسولاً في المهد وقال لا معنى لرسالة عيسى (ع) وهو في المهد .

أنظر أيّها القاريء الكريم إلى انحطاط الفكر وقصور الفهم حيث لم يفرق المسكين بين الرسول والنبي ولم يفهم أن كون عيسى (ع) نبيّاً في المهد كما هو ظاهر الآية لا يلزم منه كونه رسولاً مبعوثاً للتبليغ في ذلك الحين ولم يقل أحد أنه كان رسولاً في المهد .

وإدعاء أن عيسى (ع) في حال التكلم كان لا يفهم ما يقول . فهو رجم بالغيب ليت شعري أنّه من أين علم أن عيسى (ع) لا يعقل ولا يفهم ما يقول ، هل في الآية الشريفة دلالة عليه ؟ أو ثبت ذلك بغير الكتاب من الأدلة فكما أن عيسى (ع) تكلم بقدرة الله واذنه في المهد فذا يفهم ويتعقل ويعلم الكلام الذي يتكلم به بقدرة الله تعالى وإقداره وتفضّله . والذي يهون الخطب

أنه قاس عيسى (ع) في مهده بالطفل الذي في بيته وهو لا يفهم ولا يعقل وليس له إدراكات عادية حتى بعد أن بلغ حدّ التميز ولم يفهم أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الصديقة لا يقاس على الطفل الّذي في بيته .

وعلى وفق ظاهر الكتاب جاءت السنّة النبوية عن طريق أهل بيته العترة الطاهرة (ع) وبعض الصحابة .

روى الكليني (ره) بطريق صحيح عن يزيد الكناسي قال سألت أبا جعفر (ع) أكان عيسى بن مريم (ع) حين تكلم في المهد حجّة الله على أهل زمانه ؟ فقال كان يومئذٍ نبيّاً حجّة الله غير مرسل أما تسمع لقوله حين قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً .

قلت فكان يومئذٍ حجّة الله على زكريا في تلك الحالة وهو في المهد فقال كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها وكان نبيّاً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال ، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان . وكان زكريا الحجّة لله عزّ وجلّ على الناس بعدما صمت عيسى سنتين ثم مات زكريّا (ع) فورثه إبنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير أما تسمع لقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيّاً .

فلما بلغ عيسى (ع) سبع سنين تكلم بالنبوّة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين . وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحد بغير حجة لله على الناس منذ خلق الله آدم (ع) وأسكنه الأرض فقد جعلت فداك كان عليّ (ع) حجّة من الله ورسوله على هذه الأمّة في حياة رسول الله (ص) ؟ .

فقال نعم يوم إقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته قلت وكان طاعة علي (ع) واجبة على الناس في حياة رسول الله (ص) وبعد وفاته ؟ فقال : نعم ولكنه صمت فلم يتكلم مع رسول الله (ص) وكانت

الطاعة لرسول الله (ص) على أمته وعليّ (ع) في حياة رسول الله (ص) وكانت الطاعة من الله ومن رسوله على الناس كلهم لعليّ (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) وكان عليّ حكيماً عالماً[1] . أنظر إلى غيره من الأحاديث الشريفة أيضاً في الجوامع الحديثية .

وفي الدر المنثور للسيوطي[2] : أخرج إبن أبي حاتم عن أنس (قال كان عيسى قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه فذلك قوله إني عبد الله آتاني الكتاب) .

لعل المراد أن عيسى (ع) لمّا كان في بطن أمّه ألقى الله تعالى عليه روح القدس فدرس عن ذلك الروح الإنجيل وعلّمه إيّاه .

ويدل بعض آيات القرآن الكريم أيضاً على وفق الظاهر المستفاد من قوله تعالى : قال إنّي عبد الله . . . قال سبحانه : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة . . . ﴾[3] .

قال ابن خالنا وأستاذنا العلامة الأكبر السيد محمّد حسين الطباطبائي دام ظله في تفسير « الميزان »[4] : الظاهر أنّ التأييد بروح القدس هو السبب المهيّىء له لتكلم الناس في المهد ولذلك وصل قوله تكلم الناس من غير أن يفصله بالعطف إلى الجملة السابقة إشعاراً بأن التأييد والتكليم معاً أمر واحد مؤلّف من سبب ومسبّب واكتفى في موارد من كلامه بذكر أحد الأمرين عن الآخر كقوله في آيات آل عمران المنقول آنفاً[5] : ﴿ وتكلم الناس في المهد

---

(١) تفسير البرهان ج ٣ ص ١٠ .
(٢) الدر المنثورج ٤ ص ٢٧٠ .
(٣) سورة ٥ آية : ١١٠ .
(٤) ج ٦ ص ٢٣٦ .
(٥) حكى الله تعالى في سورة آل عمران تحديث الملائكة مريم عند بشارتها بعيسى (ع) وقال سبحانه : ﴿ وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه أسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ إلى أن قال ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً . . . ﴾ ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾ الخ ٤٥ ـ ٥٠ .

وكهلاً ﴾ وقوله : ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ﴾ (البقرة / ٢٥٣) .

على أنّه لو كان المراد بتأييده بروح القدس مسألة الوحي بوساطة الروح لم يختص بعيسى بن مريم (ع) وشاركه فيه سائر الرسل مع أنّ الآية تأبى ذلك بسياقها (أ . هـ) .

ظاهر قوله تعالى : إذ أيّدتك بروح القدس هو أن هذا الروح مختص بعيسى (ع) فإن الله سبحانه أفرد كاف الخطاب ولم يقل : إذا أيّدتكما مع أنه في مقام الإمتنان على عيسى (ع) وعلى والدته معاً وعدم الخطاب بالتثنية دليل على الإختصاص مع أنه وأمّه معاً منعّمان بالنعمة الإلهيّة وهما معاً آية واحدة لا آيتين من آيات الله ولذا قال : ﴿ نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجعلناها وإبنها آية للعالمين ﴾[١] ولكن لما كان (روح القدس) مختصاً بالنبيّ فقال : « أيّدتك » فمن هنا نعرف أنه ليس المراد من الروح القدس في الآية الشريفة هو (جبرائيل) كما توهم[٢] قياساً على بعض الآيات الأخر فإنه إن كان المراد منه هو جبرائيل ينبغي حينئذٍ أن يقول : « أيّدتكما » فإنّ الله تعالى أيّد (مريم) (ع) بجبرائيل قال تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً ﴾[٣] وقال سبحانه : وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك . . . فعدم خطاب الله تعالى بخطاب التثنية دليل على أنه ليس المراد من « روح القدس » هو جبرئيل بل المراد هو الروح الخاص بالنبيّ - يعني أذكر نعمتي عليك إذ أيّدك بالروح الذي لا يكون هو إلّا فيمن له النبوة والولاية - ونعمتي على والدتك إذ أعطيتها ووهبتها ولداً مثلك يصدر منك هذه المعجزات وشرع سبحانه لبيانها وعدّها كما أنه تعالى ذكر تلك النعم في سورة آل عمران بقوله : ﴿ وإذ قالت الملائكة . . ﴾ أنظر إلى آيات ٤٥ - ٥٠ - خطاباً لمريم

---

(١) سورة ٢١ الآية ٩١ .

(٢) كما في مجمع البيان أنظر ج ٢ ص ٢٦٢ ط صيدا .

(٣) سورة ١٩ آية : ١٧ .

ولم يذكر فيها « روح القدس » مع ذكره كلام عيسى (ع) في المهد وكهلاً .

وممّا هو جدير بالذكر أنّ في القرآن الكريم آيات شريفة ربما يتوهّم منها أن النبيّ (ص) قبل البعثة ونزول جبرائيل عليه بالبعث إلى التبليغ والرسالة ما كان نبيّاً يعني لم يكن فيه النبوة وكمالاتها العلميّة .

منها قوله تعالى : ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربّك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾[1] يظهر من الآية الشريفة أن النبيّ (ص) كان يرجو أن يلقى إليه الكتاب من رَحمة ربّه وليس في الآية شاهد أنه ما كان يرجو قبل البعثة أو بعدها نعم ما كان يرجو في حال لولا رحمة ربّه وهو قبل أن يلقي إليه روح القدس الذي يلقى إلى النبيّ فأيّة دلالة في الآية على عدم رجاء النبيّ قبل أربعين سنة أو بعدها ؟ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾[2] يعني نحن نقص عليك أحسن القصص أي القرآن أو قصّة يوسف بوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبل وحي القرآن إليك لمن الغافلين .

تدل الآية الشريفة أن بوحي القرآن خرج النبيّ (ص) عن زمرة الغافلين وصار من العالمين نعم في حال كان من الغافلين وهو قبل وحي القرآن ولكن متى أوحى إليه القرآن ؟ أوحي من حين ما أوحى الله إليه روحاً من أمره وبعد وحي روح القدس صار عالماً بالكتاب وقد تبين ذلك ممّا تقدم في تفسير آية : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ ولا دلالة في الآية الشريفة على أن هذا الوحي كان قبل البعثة أو بعدها بل دلت على أن قبل وحينا إليك القرآن كنت في غفلة من أحسن القصص وبعد وحي القرآن خرجت عنها وصرت

---

(١) سورة ٢٨ آية : ٨٦ .

(٢) سورة ١٢ آية : ٣ .

عالماً بأحسن القصص بسبب وحي القرآن إليك والقول بأن هذا الوحي كان بعد البعثة ادعاء لا شاهد له .

ولا شك أن للوحي أقسام وفي القرآن الشريف استعمل فيها وليس الوحي يختص بكونه بعد البعثة والرسالة .

وقد قال سبحانه : ﴿ وأوحى ربّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾[1] و ﴿ أوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه ﴾[2] وقوله في الأرض : ﴿ بأنّ ربك أوحى لها ﴾[3] و ﴿ إذا وحيت إلى الحواريين ﴾[4] و ﴿ إذ أوحينا إلى أمّك ﴾[5] ووحي يكون قبل البعثة ووحي بعد البعثة والرسالة كما في قوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ وقد عرفت أن هذا الوحي كان في حين إلقاء روح القدس إلى النبي (ص) قبل البعثة ، والوحي من لوازم النبوّة وقد ثبت من آية : ﴿ قال إنّي عبد الله . . . ﴾ كما عرفت أن النبيّ كان من أول الأمر نبيّاً ولا شك أن من لوازمه الوحي . ولو أردنا شرح أقسام الوحي لطال الكلام وفي الإشارة كفاية[6] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر أن العاقبة للمتقين ﴾[7] تلك أي تلك الأنباء أو قصة نوح من أخبار ما غاب عنك معرفته نوحيها إليك أي تلك الأنباء والأخبار التي أعلمناكها لم تكن تعلمها أنت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل هذا يعني من قبل إيحائنا إليك ومن قبل نزول القرآن عليك .

---

(١) سورة ١٦ آية : ٦٨ .
(٢) سورة ٢٨ آية : ٧ .
(٣) سورة ٩٩ آية : ٥ .
(٤) سورة ٥ آية : ١١٤ .
(٥) سورة ٢٠ آية : ٣٨ .
(٦) وكذا لو أردنا الإشارة إلى نزول القرآن دفعة ثم تدريجاً في مدة ٢٣ سنة لطال الكلام أنظر في هذا الموضوع إلى تفسير الميزان ج ٢ ص ١٣ ـ ١٦ .
(٧) سورة ١١ آية : ٤٩ .

يظهر من الآية الشريفة أن معرفة النبيّ (ص) بتلك الأنباء إنما هي بواسطة الوحي ومنذ نزول الوحي هو عالم بها ولا دلالة في الآية على أن هذا الوحي هو الوحي الذي بعد البعثة ولم يكن قبلها . نعم كان النبيّ (ص) في حال قبل الوحي بحيث تلك الأنباء بالنسبة إليه في تلك الحال كانت من أنباء الغيب ولكن بالوحي صار عالماً بها وعلم النبيّ (ص) بتلك الأنباء وبتمام الكتاب كان من حين أن أوحى الله إليه ألقى عليه روح القدس كما عرفت من آية : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . . . ﴾ فهذا الوحي المذكور في الآية الذي وقع قبل اربعين سنة من أن يبعثه الله إلى التبليغ والدعوة إليه .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ فوجدك ضالاً فهدى ﴾[1] فلفظ « الضال » له معاني متعددة وحمله على معنى أن النبيّ (ص) كان قبل النبوة في الضلالة والإنحراف عن دين الحق وكان على طريقة قومه ضالاً عمّا كان عليه في حال النبوّة بعد البعثة وكان في مدّة أربعين سنة غافلاً عن النبوّة والشريعة ـ مخالف للأدلة القطعيّة من العقليّة والنقليّة وقائله خارج عن مذهب الشيعة الإماميّة ومنتحل مذهب الحسن البصري والضحّاك والجبائي وعكرمة الخارجي وغيرهم من المنحرفين عن طريقة أهل البيت عليهم السلام وكذا حمل قوله تعالى : ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ وقوله : ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ على هذا المعنى الذي أوعزنا إليه ـ ليس من مذهب الإماميّة والقائل به خارج عن طريقة الأئمة (ع) وداخل في زمرة مخالفيهم فإن الشيعي الحيّ التابع لأئمته لا يقول بهذه المعاني الفاسدة فيجب حمل لفظ « ضال » على معنى من معانية التي يوافق الأدلة العقلية والنقلية الدالة على عصمة النبيّ (ص) من أول عمره إلى آخره فلا بد من حمل الآية الشريفة على أحد المعاني الصحيحة التي ذكرها سيّدنا الإمام المرتضى (ره) في كتابه النفيس « تنزيه الأنبياء » أنظر ص ١٠٨ ط تبريز .

أو أحد المعاني الصحيحة التي ذكرها الطبرسي (ر ه) في مجمع البيان

---

(١) سورة ٩٣ آية : ٧ .

ج ٥ ص ٥٠٥ نعم بعض المعاني التي نقلها عن المنحرفين عن العترة الطاهرة (ع) المخالف للأدلة القطعيّة فأضرب به على الجدار . ولاحظ سياق الآيات الشريفة أعني قوله تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى ﴾[1] تجدها ألصق بحال صغر رسول الله (ص) وترجيح المعنى الخامس الذي ذكره الشيخ الطبرسي (ره) فراجع .

وليسمح لي القاريء العزيز أن أقول أن لفظ « الضال » و « الضالة » في اللغة جاء بمعنى الشيء المفقود الّذي تسعى ورائه فليكن لفظ « الضال » في الآية الشريفة بهذا المعنى كما قال الإمام علي بن موسى الرضا سلام الله عليه : « ووجدك ضالاً ، أي ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك » وهذا المعنى أيضاً يوافق الأدلة العقلية والنقلية وأيّ ترجيح للمعنى الفاسد عليه ؟ وليت شعري ما السبب لترجيحه على المعنى الصحيح ؟ ولعل السبب هو الجهل وإعوجاج الفكر .

ولينعم القاريء العزيز النظر إلى صفحة (٢٦٤) من هذا الكتاب ويطالع كلمات شيخنا (ره) .

وأمّا أمر الله تعالى على النبيّ (ص) باتباع ملّة جدّه إبراهيم (ع) فهو بالنسبة إلى العقائد كما قال تعالى :

﴿ ثمّ أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾[2] يظهر من الآية الشريفة من قوله : حنيفاً، وقوله : وما كان من المشركين ، أن الأمر بأتباعه في التوحيد لا الأحكام وإلا لما جاز النسخ كما يأتي في كلام المحقق القمي (ره) في القوانين .

ولا بأس بنقل كلمات جمع من العلماء في مسألة تعبد النبيّ (ص)

---

(١) سورة ٩٣ آية : ٦ ـ ٧ ـ ٨ .
(٢) سورة ١٦ آية : ١٢٣ .

قبل البعثة وأنه كان بشريعة نفسه وأنّه معصوم من أول عمره إلى آخره . قال الشيخ الصدوق (ره) في اعتقادات الإمامية : اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنّهم معصومون مطهّرون من كل دنس وأنّهم لا يذنبون ذنباً لا صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ومن جهلهم فهو كافر . واعتقادنا أنّهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل (أ . هـ) .

قال الشيخ الإمام المفيد (ره) في ضمن جواب المسألة المتممة للخمسين من المسائل العكبريّة : وقوله أن النبيّ (ص) ولد مبعوثاً ولم يزل نبياً فإنّه مجمل من المقال وباطل فيه على حال فإن أراد بذلك أنّه « لم يزل في الحكم مبعوثاً وفي العلم نبيّاً فهو كذلك » وإن أراد بذلك أنه لم يزل موجوداً في الأزل ناطقاً رسولاً وكان في حال ولادته نبيّاً مرسلاً كما كان بعد الأربعين من عمره فذلك باطل لا يذهب إليه إلّا ناقص غبي لا يفهم عن نفسه ما يقول والله المستعان وبه التوفيق .

قوله : لم يزل في الحكم ألخ . . . هو مراد الإماميّة لا أن النبيّ (ص) كان في حين ولادته نبيّاً مرسلاً مبعوثاً فإن قيامه بالرسالة والتبليغ كان بعد البعثة .

قال شيخ الطائفة الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي النجفي (ره) شيخ الإماميّة على الإطلاق في كتابه النفيس « عدة الأصول » ما هذا لفظه : فصل في أنّه (ص) هل كان متعبداً بشريعة من كان قبله من الأنبياء أم لا ، عندنا أن النبيّ (ص) لم يكن متعبدا بشريعة من تقدمه من الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وإن جميع ما تعبد به كان شرعاً له ، ويقول أصحابنا أنّه (ص) : قبل البعثة كان يوحى إليه بأشياء تخصه وكان يعمل بالوحي لا إتباعاً لشريعة . وأمّا

الفقهاء فقد اختلفوا في ذلك والمتكلمون[١] فالذي ذهب إليه أكثر المتكلمين من أهل العدل وهو مذهب أبي هاشم وأبى علي أنه لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه وإن جميع ما تعبد به كان شرعا له دون من تقدّمه ، وحكى أبو عبد الله[٢] عن أبي الحسن أنّه ربّما نصّ هذا وربّما نصّ خلافه وفي العلماء من قال أنه كان متعبداً بشريعة بعض من تقدمه واختلفوا . . . .

والذي يدل على ما ذهبنا إليه أجماع الفرقة المحقة لأنّه لا اختلاف بينهم في ذلك وإجماعها حجّة على ما نستدل عليه إن شاء الله .

ويدل على ذلك أيضاً ما ثبت بالإجماع من أنّه (ع) أفضل من جميع الأنبياء ولا يجوز أن يؤمر الفاضل باتباع المفضول على ما دللنا عليه في غير موضع فإن قيل : فمن أين يعلم أنّه كان قبل النبوّة أفضل من سائر الأنبياء، قيل له : لم يخصّ أحد تفضيله على سائر الأنبياء بوقت دون وقت فيجب أن يكون أفضل في جميع الأوقات .

ويدل على ذلك أيضاً أنّه لو كان متعبداً بشريعة من تقدمه بأن يكون شرعاً لذلك المتقدم ويكون في حكم المؤدّي عنه فكان يجب أن يضاف جميع الشرع إليه كما لا يضاف الشرع إلى من يؤدّي عنه (ص) لما كان مؤدّياً عنه (ص) وفي علمنا بإضافة جميع الشرع إليه دليل على أنّه لم يكن متعبداً بشرع من تقدمه .

ويدل على ذلك أيضاً أنّه لو كان متعبداً بشرع من تقدم لم يخل من أن يكون متعبداً بشريعة موسى أو عيسى عليهما السلام لأنّ شريعة من قبلهما مندرسة وهي مع ذلك منسوخة بشريعتهما . . .

(ثم شرع قدّس الله روحه على الإستدلال ونقل الأقوال وأدلتها ودحض الشبهات ونسفها إلى أن قال) : وتعلقوا ـ يعني الذين قالوا أنّه كان عاملاً

(١) مراده فقهاء أهل السنّة ومتكلميهم كما هو واضح .
(٢) يقصد به أستاذه وشيخه الشيخ المفيد (ره) .

بشريعة من تقدمه ـ بقوله تعالى : ﴿ واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾[١] وبقوله : ﴿ فبهداهم اقتده ﴾[٢] وبقوله : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون ﴾[٣] وهو (ص) من جملتهم وذلك يقتضي صحّة ما قالوه قيل له : أمّا الملّة التي أمرنا باتباعها فهو دين إبراهيم لأنّ الملّة هي الدين لأن المراد بذلك التوحيد والعدل بيّن ذلك قوله ﴿ ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾[٤] وقد علمنا أن الملة التي يستحق الراغب عنها هذا الوصف هي العقليات أما قوله اقتده فإنه أراد بذلك أدلّتهم التي تدل على العقليات لأن ذلك هو الذي يضاف إليهم ، فإمّا الشريعة فقوله هو الدليل فيها فالإضافة لا تصحّ فيها وأمّا قوله تعالى فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون فالمراد به ما قدمناه يدل على ذلك قوله تعالى يحكم بها النبيّون فظاهر ذلك يقتضي أن كل من كان قبل موسى قد حكم بذلك ولا يصح مع ذلك حمله على الشرعيات في هذا الباب (أهـ) أنظر ج ١ ص ٦٠ ـ ٦٤ ط هند .

وقال الشيخ الشهيد السعيد إبن فتال النيسابوري (ره)[٥] في روضة الواعظين : أعلم أن الطائفة قد اجتمعت على أن رسول الله (ص) كان رسولاً نبيّاً مستخفياً يصوم ويصلي على خلاف ما كانت قريش ، يفعله مذ كلفه الله تعالى فإذا أتت أربعون سنة أمر الله عزّ وجلّ جبرائيل (ع) أن يهبط إليه بإظهار الرسالة وذلك يوم السابع والعشرون من شهر الله الأصم ألخ أنظر ص ٦٥ ط قم .

وقال المحقق الأردبيلي (ره) في بعض تعليقاته ـ المخطوطة الموجودة

---

(١) سورة ١٦ آية : ١٢٣ .
(٢) سورة ٦ آية : ٩٠ .
(٣) سورة ٥ آية : ٤٤ .
(٤) سورة ٢ آية : ١٣٠ .
(٥) لم يعلم عام شهادته على التحقيق ولكن يدعى بعض المعاصرين أنه استشهد سنة (٥٠٨) هـ وبما أنه لم يذكر مصدراً لنقله وسنداً لادعائه ولذا إني لا اعتمد على هذا التاريخ الذي ذكره اللهم إلا أن يعلم مستند هذا الإدعاء والله الموفق .

في مكنبتنا ـ على الكشاف ما هذا ملخصه : القول أنّه (ص) ما كان يعبد الرب أصلاً قبل البعثة مدة أربعين سنة ظاهر البطلان، بل ما ذهب إليه أحد فكاد أن يكون إسناده كفراً وكان يتعبد بالفروع السمعيّة مثل الطواف وكان معتزلاً في غار حراء ليتجنب المعاصي وليفعل العبادات ولم يكن (ص) في أربعين سنة خالياً من العبادات الشرعية الفرعية (أهـ) .

وقال المحقق القمي (ره) في القوانين : الحقّ أن نبيّنا (ص) قبل البعثة كان متعبداً ولكن لا بشريعة من قبله من الأنبياء (ع) لنا أن ضرورة ديننا يقتضي أفضليّته (ص) عن الأنبياء (ع) وفيما ذكروه يلزم تقديم المفضول وهو قبيح ولأنّه لو كان كذا لكان إمّا بالوحي أو بالتعليم من علمائهم ، والأوّل هو معنى الرسالة[1] والموافقة لا يقتضي المتابعة ، وإمّا الثاني فلو ثبت لافتخر أهل الأديان بذلك ولو افتخروا به لشاع ولم يعاشر أهل الكتاب ولم يأخذ منهم شيئاً وإلاّ فالعادة تقتضي بنقله ولا من كتبهم لأنّه .(ص) كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب مع ما روى الخاصّة والعامة أنه (ص) قال : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين . وأيضاً كون عيسى (ع) في المهد نبيّاً ، ويحيى (ع) في الصبى دون نبيّاً (ص) إلى أربعين سنة ينافي أفضليّته . وأمّا بطلان القول بعدم تعبّده بشيء فأوضح لاستلزامه كمال النقص وكونه أسوء حالاً من آحاد الناس مع ما ورد ممّا كان يفعله من الأعمال والحج في الأخبار .

وأمّا بعد البعثة فالحق أيضاً أنّه (ص) لم يكن متعبداً بشريعة من قبله وتوافقه مع غيره في كثير منها ليس نفس المتابعة - إلى أن قال رحمة الله - وأمّا الآيات مثل قوله تعالى : ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم وبهداهم اقتده ، وشرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، فهي محمولة على أصول العقائد وإلاّ فلم يجز النسخ سيما مع ملاحظة قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملّة

---

(١) الأولى التعبير بالنبوة فإن الكلام في حاله قبل البعثة كما أن الأولى في التعبير عن حاله بعد البعثة : بالرسالة . هذا مع قطع النظر عن معناهما اللغوي بل الإصطلاحي وقد وقع هذا التسامح في كثير من العبارات .

إبراهيم إلّا من سفه نفسه ﴾ وكذلك المراد بهدى الجميع ما اتفق الجميع فيه وهو أصول العقائد وإلّا فأديانهم مختلفة ويظهر من ذلك الجواب عن سائر الآيات (أهـ) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه : « معالم أصول الدين » ما هذا نصه : الحق أن محمّداً (ص) قبل نزول الوحي ما كان على شرع أحد من الأنبياء (ع) وذلك لأنّ الشرائع السابقة على شرع عيسى (ع) صارت منسوخة بشرع عيسى (ع) وأمّا شريعة عيسى (ع) فقد صارت منقطعة بسبب أن الناقلين عندهم النصارى وهم كفار بسبب القول بالتثليث فهم قليلون فلا يكون نقلهم حجّة، وأمّا الذين بقوا على شريعة عيسى (ع) مع البراءة من التثليث فهم قليلون فلا يكون نقلهم حجة وإذا كان كذلك ثبت أن محمّداً (ص) قبل البعثة على شريعة أحد (أ هـ) أنظر هامش نقد المحصل (تلخيص المحصل) ص ١١١ ط مصر .

في كلامه مواضع للنظر أعرضنا عن الإشارة إليها خوف الإطالة فالقارىء الكريم جد خبير بعد الإحاطة بما ذكرناه تفصيلاً أن رسول الله (ص) كان نبيّاً من أول الأمر وقد ألقى الله تعالى عليه روح القدس وكان في مدّة أربعين سنة قبل الرسالة والبعثة متعبداً بشريعة نفسه ويشهد بذلك أيضاً سيرة رسول الله (ص) وأحواله الخاصة ويظهر ما أدعيناه لمن سبرها على نحو التحقيق والتحليل الصحيح .

وبعد هذا كله فإن وجدنا في بعض المؤلّفات أو في بعض كتب الحديث أو التفاسير وغيرها من الكلمات أو الأخبار والآثار التي يتراى منها خلاف ما حققنا فاللازم توجيهها وتأويلها إن أمكن وإلّا يضرب بها الجدار ويطرح على القفار .

راجع الصحيحين تجد ذلك جلياً واضحاً

صفحة ١٢٨ سطر ١٨ .

ذكر فقيدنا العظيم مضامين الروايات الواردة عن النبيّ (ص) في حق الصحابة . وأنا أذكر نصوصها عن الصحيحين لئلاً يقال : ليس في كتب الصحاح هذه الأحاديث بهذه العبارات ، ولئلاً يرد على راحلنا الغالي ما أورده الفاضل الشامي على الشيعة في جواب الشيخ البهائي كما في روضات الجنات ص ٦٣٦ س ٣٥ : « إنّه قال : كنت في الشام مظهراً أني على مذهب الشافعي فقال لي يوماً أفضل فضلائهم : يا فلان تحصل عند الشيعة حجة يعتمد عليها . فقلت له : حججهم كثيرة . فطلب مني أن أحكي له شيئاً منها . فقلت : يقولون : أن البخاري روى في صحيحه عن النبيّ ص ٢٦ وص ٣٦ ج ٥ أنه قال : فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني ؛ ثم روى بعد هذا بأربع ورقات ص ٩٦ ج ٤ إنها خرجت من الدنيا وهي غاضبة عليهما يعني على الشيخين . فما ندري كيف الجواب ؟ فأطرق مليّاً وقال هذا كذب على البخاري أنا أراجعه الليلة . فغدوت عليها من الصباح فلما رأني ضحك ثم قال : أما قلت لك أن الرافضة تكذب راجعت صحيح البخاري البارحة فرأيت بين الحديثين أزيد من خمس ورقات ، وكان يتبهج بهذا الجواب » .

في صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ طبع محمّد على الصبيح : كتاب الفتن « بإسناده عن النبيّ (ص) قال : أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني . فأقول : أمتي . فيقول لا تدري مشوا على القهقري . أيضاً بإسناده قال النبيّ (ص) أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي ربّ أصحابي يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك .

أيضاً بإسناده عن النبيّ (ص) يقول : أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم . قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش

وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلاً ، فقلت نعم قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : أنهم منّي . فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي .

وفي صحيح مسلم طبع محمّد علي صبيح بمصر ج ٨ ص ١٥٧ « بإسناده عن إبن عباس : قال : قام فينا رسول اللّه (ص) خطيباً بموعظة . . .

إلى أن قال (ص) : ألا وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كلّ شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

قال : فيقال لي : إنّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . وفي حديث معاذ فيقال ، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

يا رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليك ما ذر شارق ولاح بارق إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، ونحن أيضاً ما كنا في ذلك العهد حتّى نرى بأعيننا ما أحدثوا بعدك لكن البخاري يحدثك ويحدثنا في صحيحه المتفق عندهم على صحة ما فيه من الأحاديث أن بضعتك التي قلت في حقها : فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني ومن أغضبها أغضبني ماتت وهي غضبى على الأول .

خلق اللّه الجنة لمن أطاعه ألخ

صفحة ١٤٧ سطر ١١ ـ ١٢ .

الظاهر أنّه إشارة إلى القصّة التي تنسب إلى الأصمعي أنّه قال : بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : . . . فإذا هو علي بن الحسين (ع) فقلت سيّدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس اللّه تعالى يقول : ﴿ إنما يريد اللّه ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ قال : هيهات هيهات يا أصنمعي . إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قريشياً أليس الله يقول : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ﴾ وفي بعض النسخ : ولو كان سيّداً قريشيّاً . وفي بعضها دع عنك ذكر أبي وجدي .

من هو الأصمعي هذا ؟ هل هو الأصمعي الشهير ؟ أعني عبد الملك بن قريب المتولد سنة ١٢٣ هـ والمتوفي سنة ٢١٣ هـ ـ أو سنة ٢١٧ هـ ـ وهو من أئمّة الأدب ـ كيف يمكن لقائه الإمام السجاد (ع) المتوفي سنة ٩٥ هـ أو سنة ٩٤ هـ ـ أين الأصمعي ولقاءه الإمام (ع) وهو في أيّام شبابه ويستبعد لقاءه الإمام (ع) على سبيل المودّة ويقول : بكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده الشريف .

مع أن الأصمعي في نصبه لأهل البيت (ع) مشهور قال أبو العيناء : كنا في جنازة الأصمعي فحدثني أبو قلابة حبيش بن عبد الرحمن الجرمي الشاعر فأنشدني لنفسه :

لعن الله أعظماً حملوها ... نحو دار البلى على خشبات
أعظماً تبغض النبي وأهل البيت ... والطيبين والطيبات

أهو أصمعي آخر غير الأصمعي الشهير الناصبي ونحن لا نعرفه ؟ .

قرأنا هذه القصّة في بعض كتب أهل السنة مرسلة من دون ذكر سند لها ولم يروها الشيعة وما ذكروها في كتبهم إلّا نقلاً عن بعض كتب أهل السنة وفي بعض الكتب نسبة نقلها إلى طاووس الفقيه مع اختلاف في بعض العبارات ، وغير خفي على الباحث المنقب أنه يظهر من مساق هذه القصّة أنها من الموضوعات وضعوها في قبال ما ورد في حقّ أهل البيت النبوي من الأحاديث النبويّة ، ولما تفطن بعض الوضاعين أن نسبة نقلها إلى الأصمعي يعد من الأغلاط فنسبها إلى طاووس الفقيه وهو على الظاهر المشهور من متصوفة

العامة ، ولكن سيّدنا الإمام المجتهد الأكبر فقيد الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ره) ذكره من الشيعة في كتابه القيم : « المراجعات » أنظر ص ٧٠ ط ١ صيدا .

وقد روى الفريقان كما عن الإمام الرضا عن آبائه قال رسول الله (ص) كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلّا نسبي وسببي .

والظاهر أن معنى هذه الكلمة النيرة أنه لا ينتفع يومئذ بسائر الأنساب وينتفع بالنسبة إليه (ص) .

وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول اللّه (ص) يقول على المنبر : ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول اللّه (ص) لا تنفع يوم القيامة بلى واللّه إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة الحديث .

وقال عمر سمعت رسول اللّه (ص) يقول : كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم . أنظر إلى كتب الحديث للفريقين .

وأنظر أيضاً إلى قوله في تلك القصّة : « دع عنك ذكر أبي وجدي » كيف يقول السجاد (ع) هذا الكلام ؟ .

خال المؤمنين

صفحة ١٥٨ سطر ١٢ .

قال العلامة الكراجكي (ره) في كتابه « التعجب » ما هذا لفظه الشريف :

ومن عجيب أمر الحشوية ووقاحتهم في العناد والعصبيّة أنّهم يقولون أنّ معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين ويقولون انه استحق ذلك بسبب أن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى أزواج النبيّ الذين هم بنصّ القرآن للمؤمنين أمّهات ولا يسمّون محمّد بن أبي بكر خال المؤمنين بل لا يذكرونه بذكر جميل وأخته عائشة أعظم أزواج النبيّ (ص) عندهم قدراً وأجلّ الأمهّات في مذهبهم فضلاً وذكراً وليس يدانيها عندهم أمّ حبيبة ولا يقاربها ولا أبوها كأبيها فلم لا يسمّون محمّد بن أبي بكر خال المؤمنين ويكون أحق بذلك من معاوية ابن أبي سفيان الفاسق اللعين الطليق لعنه رسول الله (ص) وقال إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه وكان من المؤلفة قلوبهم[1] ولم يحفظ قط حسنة يبسط معها في تفضيلهم له عذراً ولا ورد في الأثر عن النبي (ص) تسميته بخال المؤمنين فيصحّ قولهم وبأيّ وجه استحق معاوية هذا الإكرام دون محمّد بن أبي بكر ؟ وكيف يجب أن يحفظ أمّ حبيبة في أخيها معاوية ولم يجب أن يحفظ عائشة في أخيها محمّد ؟ .

كـلّا ليس يخفى على العاقـل أن بغضهم لأميـر المؤمنين (ع) حملهم على تفضيل محاربيه وتبجيل أعاديه ومعانديه وإهمال ذكر اوليائه المنسوبين إليه من أصفيائه وقد علم أنّ معاويـة كان لأميـر المؤمنين (ع) عدواً وحـربـاً ، وأن محمّد بن أبي بكر كان له ولياً وحزبـاً بذلـك صار معـاوية خـالاً للمؤمنين دون محمّـد بن أبي بكر ربيب أميـر المؤمنين مـع مـا أنّـه على الحقيقـة واليقين لا يصح أن يكون أحد من أخوة أزواج النبيّ (ص) خالاً للمؤمنين وذلك أنّ الله تعـالى إنّما جعـل أزواج نبيّه أمّهـات لهم ليحرم عليهم بعـده العقد عليهن فلو كان معاوية عليه الهاوية أو غيره خالاً للنـاس لأجل أن أختـه في حكم الأمّهات لحرم عليه وطيء مؤمنة لأن الخال لا يحل ان يطأ بنت أخته ، أترى لـو اجتمع اخوة أزواج النبي (ص) كعبد الرحمن ومحمّد بن أبي بكر أخوي عائشة وعبد الله وعبيد الله وعاصم ومعاوية بنو عمر بن الخطّاب أخوة حفصة ويزيد ومهاجر إبناً أميّة أخوي أمّ سلمة ومعاوية بن أبي سفيان أخو أمّ حبيبة كيف كان يترتبون في منـزلة الخئـولة ؟ وهـل كان بعضهم خـالاً لبعض ؟ أم هـذا النعت مختص بمعاوية فقط .

وأيضاً : قولهم أن معـاوية كـاتب الوحي وقـد كان بين يـدي النبيّ أربعة عشـر نفساً يكتبـون وأقومهم أميـر المؤمنين (ع) فبمـاذا يستحق معـاويـة هـذا النعت دونه ودون غيره من الكتاب ؟ .

قد علم أن معاوية عليه الهـاوية لم يـزل مشركـاً مدة كـون النبيّ (ص) مبعوثاً يكذب بالوحي ويهزء بالشرع وكان باليمن يـوم الفتح يـطعن على رسول الله (ص) ويكتب إلى أبيه صخر بن حـرب يعيّره بـإسلامـه ويقول لـه صبوت إلى دين محمد (ص) وممّا كتب به إلى أبيه من قبل أن يسلم قوله :

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا	بعـد الذين ببـدر أصبحـوا مـرقـا
جـدّي وخـالي وعم الأم يـالهم	قـوماً وحـنظلة المهدي لنـا الأرقا
لا تـركـنن إلـى أمـر تكـلّفـنـا	والراقصات بهم في مكـة الخرقـا

---

(١) أنـظر « المحبر » لمحمـد بن حبيب النسابـة المتـوفي (٢٤٥) هـ ص ٤٧٣ ط حيـدر آباد والمعارف لإبن قتيبة ص ١٤٩ ط مصر .

فالموت أهون من قبل الصبات لنا   خيل ابن هند عن العزى كذا فرقا
فـإن أبيت أبينا مـا تـريـد ولا   تدع عن اللات والعزى إذا اعتنقا[1]

والفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبيّ (ص) المدينة ومعاوية يومئذٍ مقيم على شركه هارب من النبيّ (ص) لأنّه كان قد هدر دمه فهرب إلى مكّة فلمّا لم يجد له مأوى صار إلى النبيّ (ص) مصير الإضطرار فأظهر الإسلام قبل وفاة النبيّ (ص) بخمسة أشهر أو ستة أشهر وطرح نفسه على العباس بن عبد المطلب فسئل فيه رسول الله . فعفا عنه ثم شفع له أن يشرفه ويضيفه إلى جملة الكتاب فأجابه وجعله واحداً من أربعة عشر كاتباً فكم ترى يخصه من الكتبة في مدة ستة أشهر حتى يستحق هذا النعت بكاتب الوحي لولا ما حملتهم عليه العصبية الّتي أصدت السمع وأعمت البصر وليس يلتبس أهل العقل أن مجرد الكتابة لا يحصل بها الفضل ما لم يقارنها صحيح الإيمان وعقد القلب لأنه قد كتب لرسول الله عبد الله بن أبي سرح ثم ارتدّ مشركاً وفيه نزل - ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب الله ولهم عذاب أليم ﴾[2] - .

وروى أن آخر كتبة الوحي إبن أبي سرح وارتد من الإسلام ومات على الكفر ودفن فلم تقبله الأرض فكيف حصل لمعاوية هذا النعت تميّز به عن الخلق والمأثور أنّ رسول الله لعنه على منبره وأخبر أنه يموت على غير ملّة .

ممّا روى في ذلك : أنّ النبيّ (ص) قام يخطب أخذ معاوية بيد أبيه فقال النبيّ (ص) لعن الله القائد والمقود أيّ يوم يكون لهذه الأمّة من معاوية ذي الأستاة .

وروى عن عبد الله إبن عمر أنه قال أتيت النبي (ص) فسمعت يقول يطلع عليكم رجل يموت على غير سنّتي فطلع معاوية . وفي خبر آخر يطلع

---

(١) هكذا وجدنا هذه الأشعار في النسخة المطبوعة سنة (١٣٢٢) هـ من كتاب « التعجب » ولكنها تحتاج إلى تصحيح .
(٢) سورة ١٦ آية : ١٠٦ .

عليكم رجل من أهل النار فطلع معاوية . وعن جابر أنّ النبيّ (ص) قال يموت معاوية على غير ملّتي . ومن طريق آخر يموت كافراً . واشتهر عنه لم يمت إلا وفي عنقه صليب ذهب وضعه له في مرضه أهون المتطبب وأشار إليه بتعليقه فأخذه من كنيسة يوحنّا وعلّقه في عنقه .

وروى أيضاً أنّه تشافى بلحم الخنزير فأكله قبل موته وغير ذلك ممّا لا يحصى وانما تناسى القوم هذه الاخبار وأمثالها ولم يتلفتوا إلى شيء منها لما جاهر به معاوية من معالجة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) وتناهيه في جهاده وحربه وإنّه قتل خيار أصحابه وشيعته ولعنه على المنابر وجعل بغضه يتوارث نصاً، ولذلك قيل كاتب الوحي وخال المؤمنين والخليفة الحليم والسميح الكريم ونسي جميع ما روى فيه بالويل الطويل ويلهم من ربّ العالمين (أ . هـ) .

وليعلم القاريء الكريم أنّ العلامة الإمام الكبير أبا الفتح الكراجكي القاضي وهو محمّد بن علي بن عثمان المعروف بالعلامة الكراجكي من أكابر علماء الإمامية والمشهور بين الأمة بعلمه المتدفق مقبول القول عند علماء أهل السنة والشيعة وقد ذكره المؤرخ الكبير إبن العماد الحنبلي في كتابه « شذرات الذهب » ج ٣ ص ٢٨٣ وقال ما هذا لفظه : وفيها ـ يعني في سنة ٤٤٩ هـ توفي ـ أبو الفتح الكراجكي الخيمي رأس الشيعة وصاحب التصانيف محمّد بن علي مات بصور في ربيع الآخر وكان نحوياً لغوياً منجماً طبيباً متكلماً متفنناً من كبار أصحاب الشريف المرتضي وهو مؤلّف كتاب تلقين أولاد المؤمنين (أ . هـ)

قلت : الخيمي نسبة إلى الخيم من بلاد مصر وقد كان (ر ه) سائحاً في البلاد وكان مدة بحلب ودمشق الشام وطرابلس وأطال المقام بها ونزل مدة برملة والقاهرة وجال في بلاد مصر كثيراً وصرّح في الشذرات كما سمعت أنه توفي بـ « صور » وذكره اليافعي في « مرآت الجنان » وقال في حقه قريباً ممّا سمعت من إبن العماد ويعبّر عنه شيخنا الشهيد الأوّل (ره) كثيراً في كتبه

بـ « العلاّمة » وقـال المجلسي (ره) : وأمّا الكـراجكي فهو من أجلة العلمـاء والفقهاء والمتكلمين أسند إليه جميع أرباب الإجازات وكتـابه كنـز الفوائـد من الكتب المشهورة التي أخذ عنه جل من أتى بعده وسائـر كتبه في غـاية المتـانة (أ. هـ) ومن كتبه كتاب التفضيـل طبـع في (١٣٧٠) هـ بـطهـران بـاهتمـام الفاضل المعاصر السيد جلال الدين المحدّث ، كتبه في تفضيل أمير المؤمنين (ع) على جميـع البشـر سـوى رسـول الله (ص) وقـال : إن أميـر المؤمنين (ع) افضل من جميع البشر ممّن تقدّم وتـأخر سـوى رسول الله (ص) وعلى هذا القول إجماع الشيعة الإمامية فراجع .

هل تكلم رأس الحسين "ع" ؟

صفحة ١٨٥ سطر ١ .

وممّا هو جدير بالذكر أنه لا بدع في القدرة الإلهية والحكمة الربانية بأن مكنت رأس الإمام المظلوم الباذل مهجته في سبيل الله وإحياء دينه وإقامة توحيده من الكلام للمصالح التي نقصر عن الوصول إلى كنهها ولا يحيط عقولنا بجميع جهاتها بعد ان أودعت في « الشجرة » قوة الكلام مع نبيّ الله موسى بن عمران (ع) عند المناجات كما نص عليه في القرآن ـ سورة ٢٨ آية : ٣٠ ـ ﴿ وهل يقاس الشجرة برأس لمنحور في طاعة الرحمن وإطاعة السبحان ؟ . . كلاّ ﴾ .

وقد نص القرآن الكريم بإنطاق الجوارح وتكلم الأعضاء من البشر يوم النشور بما فعلته في دار الغرور وقال تعالى : . . . شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم . . .

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء ﴾ . . . (سورة ٤١ آية : ٢٠ ـ ٢١) وقال تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ (سورة ٢٤ آية : ٢٤) .

وحمل هذه الآيات وغيرها على خلاف ظاهرها من دون حجّة وبرهان

ممّا لا يقبله العقل والوجدان مع تأييد العلم والعيان في هذا الزمان ظواهر تلك الآيات من القرآن ولذا لا يقدم على فتح باب التأويل عليها من كان من أهل الإيمان اللهم إلّا ممّن ليس هو من أهل العلم والفرقان وأن يدعي التمسك بالقرآن .

فبعد تصريح القرآن بأن الجوارح تنطق وتتكلم وتشهد يوم الحشر بأعمال الإنسان فلا غرو في تكلم الرأس الأطهر من سيّد شباب أهل الجنان بقدرة الله تعالى وأنطاقه وهو بضعة من سيّد الأنس والجان ، وصدور هذه الكرامة الباهرة من ذلك الرأس المطهر ليتم على الظالمين الحجّة ولكن طبع على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة .

﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (سورة ٢ آية : ٧) .

ولرئيس المحدثين الشيخ الصدوق (ره) كلمات نيّرة صدع بها في جواب السلطان ركن الدولة (ره) لها تعلق تام بهذا الموضوع لا بأس بنقلها لتزيد بصيرة القارىء الكريم .

وقد نقل في ترجمة الشيخ الصدوق (ر ه) أن السلطان ركن الدولة جلس يوماً على عرش السلطنة وشرع على الإطراء والثناء على الشيخ الصدوق (ره) لأنه رأى قبل ذلك اليوم بيانات الشيخ (ره) وتكلماته المذهبيّة على ضوء العلم والمنطق . فاعترض أحد الحضار على السلطان : أن اعتقاد الشيخ (ره) على أن رأس سيّد الشهداء يوم حمل على القناة كان يقرأ سورة الكهف فقال الملك : لم أسمع منه هذه المقالة ولكني أسأله فكتب إليه يستفتيه ويسأله عن هذا المطلب فكتب الشيخ الصدوق (ره) في الجواب :

إنّ هذه الرواية محكية ممّن سمع من رأسه المطهر أنّه يقرأ عدّة آيات من سورة الكهف إلّا أنّ ذلك غير منقول من أحد الأئمة المعصومين (ع) ومع ذلك لا ننكره بل هو صواب لأنا إذا جوزنا في يوم الحشر تكلم أيدي الظالمين والعاصين وأرجلهم كما نطق به القرآن وقال تعالى : ﴿ اليوم نختم على

أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ (سورة ٣٦ آية : ٦٥) فكذا يجوز أن ينطق رأس الحسين (ع) ويتلو القرآن لكونه خليفة الله وإمام المسلمين ومن شباب أهل الجنّة وسيّدهم وسبط النبي (ص) وابن وصيّه وأمّه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين بل إنكار هذا المطلب يؤل في الحقيقة إلى إنكار قدرة الله تعالى وفضل الرسول (ص) والعجب ممّن ينكر صدور أمثال هذه الأمور ممن بكى عليه الملائك في مصيبته وتقاطر الدم من السماوات في رزيته وناح عليه الجن بأصواته ومن أنكر هذه الأخبار وخوارق العادات مع كونها صحيحة فيجوز له إنكار جميع الشرائع والمعجزات الصادرة من النبيّ (ص) والأئمّة (ع) بل وجميع الضروريات الدينية والدنيويّة فإنها أيضاً قويّة السند صحيحة الطرق قد حصل لنا العلم بمضامينها .

أقول وليعلم بعض شباب العصر الذين لم يطلعوا على حقائق القرآن ولم يخوضوا في المطالب الدينيّة ان انكار تكلّم رأس سيد الشهداء (ع) على القناة وصدور بعض خوارق العادات من ذلك الرأس المطهر وكذا انكار بعض ما نقل من طريق الاحاد عن الصديقة الطاهرة(ع) او الأئمة المعصومين (ع) من الاعمال والكرامات الخارقة للعادة وان لم يخرج المنكر عن مذهب التشيع وربقة الاسلام ولكن هذا الانكار وسلوك هذا الطريق الوعر يفضي بالآخرة إلى انكار المتواترات والضروريات ويتورط الانسان في المسالك الوعرة والمهالك المظلمة والغياهب المدهشة من انكار المعاد وحشر الاجساد وامثال ذلك . ويعلموا يقيناً ان شيوع انكار هذه المنقولات بطريق الاحاد بينهم ليس الّا من ناحية اعداء الدين وخصماء الاسلام للاخلال تدريجاً إلى الاعتقاديات الضرورية ومحو الاساسيات عن قلوبهم وأذهانهم ونسفها ليصلوا إلى مقاصدهم المشومة ومنوياتهم الممقوتة وتسلّطوا على شئون الأمّة كلها ألا قاتل الله أذناب الإستعمار وقد تداخلوا في جميع شئوننا وأمورنا وأفسدوا أخلاق الأمة لاستجلاب ميول أسيادهم أئمة الكفر والطغيان وأنبياء الشر وأعوان الشيطان . خذلهم الله .

شكر وتقدير

نحمده على ما هيأ لنا من أسباب ترتيب هذا الكتاب القيّم وجمعه من المطالب والأبحاث العلميّة والموضوعات المتنوعة التي جادت بها يراعة شيخنا وأستاذنا الإمام آية الله المغفور له « كاشف الغطاء » قدّس سره . مع ما أضفنا إليها من البحوث العلميّة والتاريخيّة بالبحث والتنقيب والتحليل الصحيح ونسأل الله تعالى أن يوفقنا بأكثر من هذه التعليقات والإضافات في طبعته الثانية إن شاء الله تعالى .

وأقدم جزيل شكري وتقديري لصديقي التاجر الوجيه الحاج محمّد باقر صاحب مكتبة « حقيقت » في نشره هذا الكتاب وطبعه بنفقته وإخراجه إلى الملأ العلمي والمجتمع المذهبي خدمة للدين وبثاً للعلم وترويجاً للمعارف وأقدر جهوده الجبّارة وعمله الصادق .

وأقدر أيضاً جهود الفاضل المهذّب البارع الشيخ « عمران غريبدوستي » في تصحيح هذا الكتاب ومساعدته ليبرز هذا المؤلف النافع إلى عالم العلم والأدب مع لفت النظر إلى أنّه هو الذكر الباقي الجميل والأثر الخالد النفيس في جبين الدهر إلى الأبد .

١٧ - ج ١ - ١٣٨٠ هـ ق .

محمّد علي القاضي الطباطبائي

فهرس المحتويات